جامـــــــــعة وهـــران 2

كلّية العلـــــوم الإجتمـــــاعية

أطروحـــــــة مقدّمة

للحصول على شهـــادة دكتوراه علوم

في علـــــم النفـــس العيادي

مقاربة بسيكوديناميكيّة لعوامل اللّدونة لدى أطفال ضحايا الّطلاق

- دراسة عياديّة مقارنة لأربعة أطفال متمدرسين-

مقدمة ومناقشة علنا من طرف

الطّالب: بن سعيد زمعلاش لواري عبد القادر

أمام لجنـــــــة المناقشـــــــة

سبع فاطمة الزهراء	أستاذ	جامعة وهـــران 2	رئيســـــــا
حدبي محمّد	أستاذ	جامعة وهـــران 2	مشرفا و مقرّرا
لونيس زهير	أستاذ	جامعة الشـــــلف	منـــاقشـــا
طباس نسيمة	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة وهـــران 2	مـــناقشـــا
سبع هاجيرة	أستاذة مخاضرة –أ–	جامعة عين تموشـنت	منـــاقشـــا
بن حليلم أسماء	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة سيدي بلعباس	منـــاقشـــا

السّـــنة الجـــــامعيّة: 2022-2023

جامـــــــــعة وهـــران 2

كلّية العلـــــوم الإجتمـــــاعية

أطروحـــــــة مقدّمة

للحصول على شهـــادة دكتوراه علوم

في علـــــم النفـــس العيادي

مقاربة بسيكوديناميكيّة لعوامل اللّدونة لدى أطفال ضحايا الّطلاق

- دراسة عياديّة مقارنة لأربعة أطفال متمدرسين-

مقدمة ومناقشة علنا من طرف

الطّالب: بن سعيد زمعلاش لواري عبد القادر

أمام لجنـــــــة المناقشـــــــة

سبع فاطمة الزهراء	أستاذ	جامعة وهـــران 2	رئيســـــــا
حدبي محمّد	أستاذ	جامعة وهـــران 2	مشرفا و مقرّرا
طباس نسيمة	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة وهـــران 2	مـــناقشـــا
لونيس زهير	أستاذ محـاضر –أ–	جامعة الشـــلف	منـــاقشـــا
سبع هاجيرة	أستاذة مخاضرة –أ–	جامعة عين تموشـنت	منـــاقشـــا
بن حليلم أسماء	أستاذة محاضرة –أ–	جامعة سيدي بلعباس	منـــاقشـــا

السّـــنة الجـــامعيّة: 2022-2023

إهـــــــــداء

أهدي ثمرة هذا العمل لمن أهدياني الحياة .....

لمن تعبا لراحتي .....

لمن ضحّيا تطلّعا لنجاحي .....

لوالديّ العزيزين.

أهديه لإخوتي و أخواتي وكلّ عائلتي .

أهديه لكلّ مغتبط لنجاحي .....

شكـــــــــر

أحمد ربي وأشكره أوّلا وآخرا على توفيقه لي لإتمام هذا البحث.

أتوجه بالشّكر الجزيل إلى جميع أساتذتي الأفاضل بقسم علم النّفس و الأرطوفونيا بكلّية العلوم الإجتماعية لجامعة وهران2،الذين لم يدّخِروا أدنى جهد توجيها و تشجيعا.

أرى أن أقف شاكرا لأستاذي القدير البروفيسور **"حدبي محمّد"** الذي أغتبط بالأخذ عنه.

لا أتوانى عن تقديم جزيل الشكر أيضا للبروفيسور " **سبع فاطمة الزهرة دلّاج**" لحكمتها توجيها و تحفيزا .

أستاذة قديرة هي الأخرى، لا يمكنني إنكار فضلها ؛ البروفيسور " **ميموني معتصم بدرة** " المتفاعلة دوما مع تساؤلاتي فيما يتعلّق بالبحث.

أتقدم بشكري الجزيل إلى أساتذتي الموقرين في لجنة المناقشة رئاسة وأعضاء لتفضُّلهم عليّ بقبول مناقشة هذه الاطروحة، فهم أهل لتبيان صوابها ولسدّ خللها والإبانة عن مواطن القصور فيها.

وأشكر كلّ من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا البحث؛ وإن لم يسع المقام لذكرهم، فهم أهل للفضل والخير والشّكر

قائمة المحتويات

إهـــداء _____ أ

شكـــــر _____ ب

قائمة المحتويات _____ ج

ملخّص البحث _____ ط

مقدّمة _____ 1

الفصل الأوّل: "مدخل الدّراسة"

تمهيد _____ 5

إشكاليّة البحث _____ 5

التّعريفات الاجرائيّة لمفاهيم البحث _____ 9

وصف عيّنة البحث _____ 10

المعايير المعتمدة لتشخيص اللُّدونة _____ 12

أهميّة البحث _____ 13

أهداف البحث _____ 14

دوافع إختيّار موضوع البحث _____ 14

دراسات سابقة ذات صلة بموضوع البحث _____ 14

الفصل الثّاني " اللُّدونة "

تمهيد _____ 20

1- تاريخ نشأة مصطلح اللُّدونة _____ 21

2- تعريف اللُّدونة 24
3- اللُّدونة في حدودها مع مصطلحات مجاورة 27
4- الُّلدونة بين التّكيّف و الدّفاعيّة الّنفسيّة 28
5- اللُّدونة كسيرورة 30
6- خصائص الشّخص الَّلدِن (profil) 32
7- الصّدمة واللُّدونة 33
7-3- تصنيفات الصّدمة 35
8- الُّلدونة و الآليّات الدّفاعيّة 36
9- عوامل الوقاية والخطر (الهشاشة) 37
9-1- عوامل الوقاية 38
9-2- عوامل الهشاشة (الخطر) 39
10- اللُّدونة و المدرسة 41
11- معايير اللُّدونة 41
12- وصيّ اللّدونة 42
خلاصة 45

الفصل الثّالث: "الطّفل و المدرسة"

تمهيد 47
1- الطّفل و الطّبع 48
2- الفضاء التّخيّلي (l’éspace imaginaire) 50
3- الطّفل خلال مرحلة الكمون 51
4- التّعلُّق،عوامله و مآلاته 53
4-1- العوامل الفاعلة في سيرورة التّعلق 53
4-2- مآلات التّعلّق 55

5- التّعلّق و الفضاء التّخيّلي 56
6- الآليّات الدّفاعيّة خلال مرحلة الكمون 57
7- الطّفل بين الأسرة و المدرسة 58
7-1- الطّفل داخل الأسرة 58
7-2- وظائف الأسرة 59
7-2-1-وظيفة الأب 59
7-2-2-وظيفة الأم 65
8- الطّفل و المدرسة 66
8-1- المدرسة كوسط تنشئة 67
8-2- المدرسة كوسط للتّربيّة 67
خلاصة 68

الفصـــل الّرابـــع " الطّــلاق"

تمهيد 70
1- مفهوم الطّلاق 71
2- عوامل الطّلاق 72
3- انعكاسات الطّلاق على الأطفال 73
4- الأثر النّفسي للطّلاق 75
5- مصير الطّفل بعد الطّلاق 75
6- ردود فعل الطّفل تجاه الطّلاق إعتبارًا للسّن 76
7- ردود الفعل حسب شخصية الطّفل 78
8- العواقب النّفسيّة للطّلاق على الأطفال 80
9- الطّلاق والصّراع العلائقي 82
10- التَّنفير الوالدي و أثرُه على الطّفل 83

11- تشخيص متلازمة التّنفير الوالدي (SAP) ـــــــــــــــــــــــــــ83
12- الطّلاق كعامل صادم ـــ 85
13- الأسرة مقابل التّفكّك ـــ 85
14- الأسرة واللُّدونة ـــ 86
خلاصة ـــ 89

الفصــل الخــامس " منهجيّة البحث "

تمهيد ـــ92
1- أدوات البحث ـــ 93
1.1- المقابلة العيّاديّة ـــ 94
2.1- إختبار الرّوشاخ ـــ 95
1.2.1- خطوات تطبيق الإختبار ـــ 96
2.2.1- تعليمة الإختبار ـــ 97
3.2.1- التحقيق أو التقصي ـــ 98
3.1- الرّسم ـــ 99
2- المؤشِرات الدّالّة على سعة الفضاء التّخيّلي ـــــــــــــــــــــــــــــــ100
3- المؤشِّرات الدّالّة على التّكيّف مع الواقع (اللّجوء للآليّات الدّفاعيّة) ـــــــــ101
4- القيّم المعياريّة لمؤشّرات التّكيّف مع الواقع و سعة الفضاء التّخيّلي ـــــــــ102

الفصل السادس: " عرض الحالات"

1- عرض الحالة الأولى 105
1.1- التّقرير النّفسي والإجتماعي للحالة الأولى 105
2.1- بروتوكول الرّوشاخ الخاصّ بالحالة الأولى 106
3.1- سيكوغرام الحالة الأولى 110
5.1- رسم الشّخص الأكثر أهمية للحالة الأولى 114
2- عرض الحالة الثّانيّة 115
1.2- التّقرير النّفسي والإجتماعي للحالة الثّانية 115
2.2- بروتوكول الرّوشاخ الخاص بالحالة الثّانيّة (م.ن) 116
3.2- سيكوغرام الحالة الثّانيّة 119
4.2- قراءة عامّة للبروتوكول 119
5.2- رسم الشّخص الأكثر أهمية للحالة الثّانية 124
3- عرض الحالة الثّالثة 126
1.3- التقرير النفسي و الاجتماعي للحالة الثّالثة 126
2.3- بروتوكول الروشاخ الخاص بالحالة الثّالثة 127
3.3- سيكوغرام الحالة الثّالثة 132.
4.3- قراءة عامّة لبروتوكول الحالة الثّالثة 133

5.3- رسم الشّخص الأكثر أهمية للحالة الثّالثة _____136

4- عرض الحالة الرّابعة _____137

1.4- التقرير النفسي و الاجتماعي للحالة الرّابعة _____137

2.4- بروتوكول الروشاخ الخاص بالحالة الرّابعة _____138

3.4- سيكوغرام الحالة الرّابعة _____140

4.4- قراءة عامّة لبروتوكول الحالة الرّابعة _____140

5.4- رسم الشّخص الأكثر أهمية للحالة الرّابعة _____143

الفصل السّابع : "عرض النّتائج و مناقشتها

1- فحص الفرضيات _____145

I الحالة الأولى

1- فحص الفرضية الأولى _____145
2- فحص الفرضية الثانية _____147
3- فحص الفرضية الثالثة _____148

II الحالة الثانية

1- فحص الفرضية الأولى _____150
2- فحص الفرضية الثانية _____152
3- فحص الفرضية الثالثة _____153

III الحالة الثالثة

1- فحص الفرضية الأولى _____155
2- فحص الفرضية الثانية _____156
3- فحص الفرضية الثالثة _____158

IV الحالة الرابعة

1- فحص الفرضية الأولى ____ 159
2- فحص الفرضية الثانية ____ 161
3- فحص الفرضية الثالثة ____ 162

2- حوصلة النّتائج و مناقشتها ____ 163
1.2- حوصلة النّتائج ____ 163
2.2- مناقشة النّتائج على ضوء الفرضيّات ____ 167
خاتمة ____ 173
الملاحق ____ 175
قائمة المراجع ____ 191

قائــمة الجـداول

رقم الجدول	عنوان الجدول
1	القيّم المعياريّة للرّوشاخ ،خاصّ بمؤشّرات التّكيّف مع الواقع وسعة الفضاء التّخيّلي للأطفال (8-12 سنة)
2	سيكوغرام الحالة الأولى
3	سيكوغرام الحالة الثّانية
4	سيكوغرام الحالة الثالثة
5	سيكوغرام الحالة الرابعة
6	الدّرجات المتحصل عليها والقيّم المعيارية في الروشاخ لمؤشرات الدفاعية النفسية للحالة الأولى
7	القيّم المعياريّة و الدّرجات المتحصّل عليها فيما يتعلق بمؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي للحالة الأولى
8	الدّرجات المتحصل عليها والقيّم المعيارية في الروشاخ لمؤشرات الدفاعية النفسية للحالة الثّانية
9	الدّرجات المعياريّة و الدّرجات المتحصّل عليها فيما يتعلق بمؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي للحالة الثّانية
10	الدّرجات المتحصل عليها والقيّم المعيارية في الروشاخ لمؤشرات الدفاعية النفسية للحالة الثّالثة
11	القيّم المعياريّة و الدّرجات المتحصّل عليها فيما يتعلق بمؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي للحالة الثّالثة
12	الدّرجات المتحصل عليها والقيّم المعيارية في الروشاخ لمؤشرات الدفاعية النفسية للحالة الرّابعة
13	القيّم المعياريّة و الدّرجات المتحصّل عليها فيما يتعلق بمؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي للحالة الرّابعة
14	حوصلة النتائج إعتبارا للفرضيّات

ملخّـــــص البحث :

يتعلّق بحثنا بدراسة عواملَ بسيكوديناميكية للّدونة لدى أطفال متمدرسين ضحايا الطّلاق. بغية ذلك اعتمدنا على المنهج العيادي المرتكز على دراسة الحالة لدراسة أربع أطفال متمدرسين أعمارهم تتراوح بين ثمانية و إثناعشر سنة .من خلال مقاربة بسيكوديناميكية طرحنا ثلاث فرضيات، تتعلق أُولاها بسلاسةِ و فعاليةِ الدّفاعية النّفسية للطفل اللّدن مقابل دفاعيّة نفسيّة صلبة غير فعّالة تميّز الطفل الغير لدن.تتعلّق ثاني هذه الفرضيّات بسعة في الفضاء التّخيّلي للطّفل اللّدن مقابل فقر في الفضاء التّخيّلي للطّفل الغير لدن. أمّا ثالثها فتتعلّق بوجود نموذج تقمّصي واضح في المحيط العلائقي للطّفل اللّدن تتوفّر فيه صفات وصيّ اللّدونة في حين نجد أنّ الطّفل الغير لدن لا يتمكّن من إيجاد هذا الوصيّ .

لفحص هذه الفرضيّات كانت الملاحظة و المقابلة العياديّة وسيلتانا التي لا غنا عنهما في العمل النّفسي العيادي،ملاحظة مباشرة خلال الحصص النفسية مع الحالة (منفردة أو مرفوقة) وملاحظة غير مباشرة استنادا لأقوال الوالدين (الأمّهات) . فيما يخصّ المقابلة فقد اعتمدنا المقابلة النّصف موجّهة مراعاة لما تتطلّبه طبيعة بحثنا من ترك هامش من الحرّيّة في استرسال الطّفل في تعبيره بما يخدم أهداف البحث.

كان تطبيق اختبار الرّوشاخ كتقنية إسقاطية تتيح استكشاف عمق الطّفل فيما يتعلّق بمؤشّرات اللدونة (مؤشّرات الدفاعية النفسية و مؤشّرات الفضاء التّخيّلي). أمّا الرّسم كتقنية إسقاطية أيضا فقد استعمل لفحص الفرضيّة الثّالثة المتعلّقة بمدى توافر وصيّ اللّدونة في المحيط العلائقي للطّفل ،و ذلك من خلال تعليمة يطلب من الطّفل من خلالها رسم الشّخص الأكثر أهمّية و قربا منه سواءا في الماضي أو في الوقت الرّاهن متبوعة بأسئلة حول سبب اختيار هذا الشّخص بعينه و ماهي الصّفات التي تستهوي الطّفل فيه ، وعن رغبته في أن يصبح مثله حين يكبر.

تبيَّن بعد فحص الفرضيّات أنّ لدونة أطفال العيّنة مرتبطة بدفاعيّة سلسة متنّوعة تسهّل التّكيّف مع الواقع إذ تعدّ هي العامل المحدّد و الفاصل بين الأطفال اللّدنين و الأطفال الغير لدنين ،تبيّن أيضا أنّ النّموذج التقمّصي الموجود في المحيط العلائقي للطّفل يُعتبر عاملا مساعدا و داعما لسيرورة اللّدونة ولكن بدرجة أقلّ أهميّة من الدّفاعية النفسية، لتأتي سعة الفضاء التّخيّلي في المرتبة الثّالثة من حيث الأهميّة ؛فقد تكون عاملا مساعدا دون أن يكون لها وزن المحدّد .وفي المقابل وجدنا أنّ الطّفل يبتعد عن اللُّدونة كلّما تصلّبت دفاعيّته.

الكلمات المفتاحية: اللّدونة – الطّفل – الطّلاق – الدّفاعية النفسيّة – الفضاء التخيلي – وصيّ اللّدونة .

مـقدّمـة:

الصّدمة النّفسيّة، الانقطاع المفاجئ والغير مفسَّر للعلاقات، وفاة شخص عزيز، الطّلاق الغير مُحضّر بالنّسبة للطّفل...إلى غير ذلك من الظّروف يؤثّر سلبا على حياة الطّفل: عاطفيّا، إنفعاليّا، سلوكيّا، فكريّا واجتماعيّا. إلّا أنّه وفي حالات عِدّة نجد أطفالا وفي ظروف قاسيّة يُظهرون أكثر إيجابية بتمكّنهم من التّعامل مع هذه الظّروف وتجاوزها، فهم بذلك أكثر مقاومة وأقدر على المواجهة والإنتاج بالمعنى السّيكولوجي والإجتماعي.

مصطلح اللُّدونة (Résilience) في ميدان علم النّفس مصطلحٌ مهمّ بالنّسبة للباحثين، يشير إلى القدرة على المواجهة (Faire Face) والتغلب على الظّروف الصّعبة للحياة، فقد اجتهد كثير من الباحثين وابرزهم "B.Cyrulnik" في دراستها و تحديد عواملها كظاهرة فرديّة و جماعيّة ،إذ منها العوامل الدّاخلية (النّفسية) كالطّبع و الخصائص الشخصية؛العائلية كطبيعة الممارسات التّربويّة (pratiques éducatives) وطبيعة العلاقة الوالديّة والاجتماعية مثل مدى توفّر السّند الاجتماعي (Anaut, 2008)

في هذا الإطار نسعى من خلال بحثنا في مقاربة سيكوديناميكيّة إلى التّركيز على دراسة العوامل السّيكولوجية العميقة المتدخّلة في سيرورة اللّدونة لدى أطفال ضحايا الطّلاق .

يتضمّن البحث سبعة فصول ,أربعةٌ منها تتعلّق بالشّقِّ النّظري محاولةً منّا الإلمامَ المفاهيميَّ بمتغيّرات الموضوع. خُصِّص الفصل الأوّل كمدخلٍ للدِّراسة من خلال التّطرُّقِ للتّعريف الإجرائيّ بالمفاهيم الأساسيّة إضافة الى عرضِ بعضِ الدّراسات ذات الصّلة بموضوع بحثنا. خُصِّص الفصل الثّاني لمفهوم اللُّدونةِ بصفةٍ عامّةٍ ,ثُمّ تَمّ التّعريج إلى وضعها في سيّاقِ البحثِ مُحاولين قدرَ المستطاعِ إبرازها كسيرورةٍ لا كصِفةٍ ثابتةٍ مُميِّزةٍ لأشخاصٍ دون آخرين.كان الفصل الثّالثُ مُتمَحوِرًا حول الطِّفلِ و المدرسةِ تعريفًا و علاقةً, متطرّقين لمفهومِ اللُّدونةِ المدرسيّةِ .أمّا الفصل الرّابع فقد خُصِّص للطّلاق و لتأثيراته على الطّفل من خلال محاولة تبيان أهمّية العيش في أسرةٍ مكتملةِ الأركان.تطرّقنا في الفصل

الخامس لعرض منهجيّة البحث وأدواته المستعمَلة.أمّا الفصل السّادس فقد تطرّقنا من خلاله لتقديم الحالات بذكر العناصر ذات الصّلة بالطّلاق و بالخصائص الشّخصيّة لكلّ طفل. أمّا الفصل السّابع فقد خُصِّص لفحص الفرضيّاتِ ومناقشة النّتائج المتوصّل إليها على ضوئها.

الجانب النّظري

مدخـل الـدّراســـــة

- تمهيد .
- إشكاليّة البحث .
- التّعريفات الاجرائيّة بمفاهيم البحث.
- وصف عيّنة البحث .
- المعايير المعتمدة لتشخيص اللُّدونة .
- أهميّة البحث.
- أهداف البحث .
- دوافع إختيّار موضوع البحث .
- دراسات سابقة ذات صلة بموضوع البحث .

تمهيـــد:

قد تقسو الحياة بظروفها على الطّفل ،يُظهر خلالها هشاشة في مجالات متعددة غالبا ، يجد صعوبة في التحصيل ،يميل للإنغلاق على نفسه بالحدّ من الإنحراط في علاقات صداقة على الرّغم من أهمّيتها القصوى في مرحلة الطّفولة.وربّما تجعل منه هذه الظروف مستقبلا راشدا هشّا نفسيّا. حالات من الأطفال و على الرّغم من صعوبة ظروف الحياة و قسوتها عليهم قد نجدهم يبرعون في التّحدّي و الصّمود فيعكسون الفشل نجاحا و الضّعف قوّة و يتّحذون من ظروف الحياة الصّعبة وتبا للإرتقاء.

يهتم الباحثون في ميدان علم النّفس باللّدونة "résilience" كمصطلح .إذ يشير الى القدرة على المواجهة "faire face" والإرتقاء أمام الظّروف الصّعبة للحياة، فقد اجتهد كثير من الباحثين وابرزهم "B. Cyrulnik" في دراستها و تحديد عواملها كظاهرة فردية و جماعية، إذ منها العوامل الداخلية (النّفسية) كالطّبع و الخصائص الشّخصية؛ العائلية كطبيعة الممارسات التّربويّة "pratiques éducatives" وطبيعة العلاقة الوالدية،والإجتماعية مثل مدى توفر السند الاجتماعي.

سنعمد من خلال هذا البحث إلى تبيان دور و وزن العوامل البسيكوديناميكية في تفعيل اللّدونة كسيرورة لدى أطفال ضحايا الطّلاق آخذين بعين الإعتبار الطّلاق كعامل مهدّد ،ضاغط لدى أفراد العيّنة.

إشكالية البحث:

العائلة هي الأرضيّة الخصبة للنّمو النّفسي و الإجتماعي لكلّ طفل ،إذ يعد توازنه من توازنها و اضطرابه من اضطرابها حيث تؤكد كثير من البحوث أنه لكل من الممارسات التّربوية للوالدين "pratiques éducatives"

و الوظيفة الوالدية "fonction parentale" دور جدّ هامّ في توفير نموذج متوازن للطّفل يُسهِّل اندماجه اجتماعيا و يمنحه مناعة لمواجهة الظّروف الصّعبة للحياة اليوميّة.**(Abdallah , 2011)**

الطّفل السّويّ هو الطّفل القادر على الإنتاج (الإبداعية و الإيجابية) في جميع مجالات حياته (المدرسيّة، العاطفيّة،الإجتماعيّة)،لكن قد يضعُف هذا الطّفل أمام الظّروف القاهرة التّي تهدّد توازنه النّفسي فتجعله ينشّط دفاعاته النفسية بغية الإستمرار.

الطّلاق واحد من الظّروف أو التّجارب الصّادمة للطّفل خاصّةً إذا لم يكن محضَّرا نفسيّا،حادثٌ يزعزع نفسيّة الطّفل في العمق ،لهذا و كما تؤكِّدُ غالبيّة الدّراسات أنّ الطّلاق لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يُعتبر حدثا عاديا بالنّسبة للطّفل ،قد يشُكُّ الطّفل في نفسه و في غيره ليصل به الحدّ إلى الشّعور بأنّه منبوذ و قد يشعر أحيانا أنّه السّبب في تفكّك الرّابطة بين والديه (Roskam & Manciaux, 2011)

تؤكّد دراسات أجريت في ميدان علم النّفس المرضي للنّمو(psychopathologie du développement) أنّ الأطفال أكثر حساسية للظّروف الضّاغطة كالعيش في بيئة غير صحّيّة بالمعنى السّيكولوجي و ذلك بإظهارهم لمشاكل سلوكيّة و عاطفيّة ليأتي الطّلاق كواحدة من هذه الظّروف إذ تتباين تأثيراته النّفسيّة على الطّفل حسب السّنّ (قلق ،نرفزة،حساسيّة للإحباط،إكتئاب) والسلوكية (سرقة،هروب من المنزل، عدوانية...) إضافة إلي الصّعوبات المدرسيّة (Martin C. , 2015)

معروف إذًا أنّ الطّلاق في غالب الحالات عامل مهدِّد للصّحة النّفسيّة للطّفل وواضح تأثيره على مختلف جوانب حياته إذ غالبا ما تكون سلبيّةً و يكون التّكفّل بها صعبا، هذا و قد نجد الكثير من الأطفال أيضا يُبدون إيجابيّة واضحة على المستوى السّلوكي،الإنفعالي و النّفسي عقب طلاق أبويهم فيتكيّفون بسرعة مع الوضع الجديد رغم

غياب أحد الأبوين لنجدهم يتجاوزون المستوى التّكيّفي السّابق للطّلاق بل أحيانا يكون ملاحظا و بصفة جلية بروزهم في مجال أو أكثر من مجالات الحياة.

إنها اللدونة " la résilience"،يُعرّف هذا المصطلح في ميدان علم النّفس بأنّه القدرة على مقاومة الصّدمات و المواصلة بصفة طبيعية في مواجهة المحن حسب "James Anthony" و "Michel Reutter" (B.Cyrulnik،2006,p07). مفهومٌ تتعدّد دلالاته في إشارةٍ للمهارات التي يتمتّع بها الأشخاص طبيعيّا أو بتحفيز و دعم من المحيط والمسخّرة لمواجهة الظّروف القاهرة: أحداث صادمة، أمراض،حرمان عاطفي عميق،هشاشة .....إلخ (Anaut, 2015, p. 29).هناك فرق إذًا في استجابة الأطفال اللّدنين للظّروف المحيطيّة خاصّة الصّعبة منها إذ يُظهِرون مستوى من اللّدونة مقارنةً بأطفالٍ يظهر ضعفهم و فشلهم في ظروف مماثلة. يشير "Bourguignon" (2000) إلى أنّه لا وجود لمناعة مطلقة ضدّ التّوتّر (pas d'immunité absolue contre le stress) ،وإنّما هناك نماذج مختلفة من ردود الفعل قد تكون متكيّفة بدرجة أو بأخرى ، يضيف بأنّه لكلّ نجاحٍ في عمليّة التّكيف ثمنٌ من خلال بذل الطّفل لجهد تتداخل فيه مجموعة من العوامل (de Tychey, 2001, pp. 55-56).

لا ينتمي مصطلح اللّدونة لحقل نظريّ محدّد، يأخذ معانيه و تفسيراته من مآخذ نظريّة عِدّة .يُنسب المصطلح في الأصل (résilience) لفيزياء المعادن كإشارة لقدرة المعادن على مقاومة الصّدمات إمّا حفاظا على أشكالها أو القدرة على استعادتها بعد الصّدمة؛أُسقِط المعنى على الأفراد ليشير في ميدان العلوم الاجتماعية إلى قدرة الفرد على مقاومة الشّدائد و الصّدمات متخطّيا إيّاها بالإبداع و التّفوّق في مجال أو عدة مجالات.

بالضّرورة هناك عواملٌ تساعد الطّفل على أن يكون لَدُنا "résilient" كما تؤكّده عدّة بحوث و دراسات :فهناك عوامل داخلية نفسية (الطّبع، الخصائص الشخصية،المستوى المعرفي للطّفل...) ، و أخرى خارجيّة عائليّة كطبيعة العلاقة الوالديّة و الممارسات التربوية السائدة و اجتماعية (وجود سند إجتماعي ،الإنتماء الى جماعة الأقران....).

الإشكال المراد معالجته في بحثنا لا يتعلّق بالآليّة التي سمحت بأن يكون أطفالٌ ما لدنين دون آخرين و لا يتعلّق بمدى أهميّة عوامل دون أخرى و إنما تركيزنا سيكون على دراسة العوامل النّفسية العميقة " facteurs intrapsychiques" في تغذية اللّدونة كسيرورة ،لهذا أجد نفسي مضطرّا إلي التّساؤل حول النّقاط التّالية:

- هل يلجأ الأطفال اللّدنون و الغير لدنين إلي نفس درجة التّنوع من الآليات الدّفاعية لتتيح تكيّفا إجتماعيّا أمثلا ؟

- هل يتمتع الأطفال اللدنون و الغير لدنين على حدّ سواء بسعة الفضاء التخيّليّ " éspace imaginaire assez étendu" ؟

- هل هناك تفاوت أو إختلاف بين الطّفل اللّدن و الطّفل الغير لدن فيما يتعلّق بالقدرة على تقمّص نموذجٍ إيجابيٍّ ؟

تأخذ المقاربةُ السّيكوديناميّة اللّدونةَ على أنّها سيرورة ديناميّة من خلال التّركيز على دراسة التّوظيف النّفسي للشّخص. يشير "C.De Tychey" (2004) على أهمّية مرونة التّوظيف النّفسي في سيرورة اللّدونة و بالخصوص القدرة على التّعامل مع الصّراعات و التّهديدات المتولّدة عن الصّدمة، ثراء النّظام الدّفاعي، والقدرات الخاصّة على إرصان الإثارة (excitation) الغير مرغوبة (de Tychey & Lighezzolo, 2004, p. 231).

تركيزنا على دراسة العوامل النّفسية العميقة للّدونة عند أطفال متمدرسين من آباء مطلّقين ليس تجاهلا لدور وأهميّة العوامل العائليّة و الإجتماعيّة و إنّما إدراكا أنّ العامل النّفسي يكون دائما في المحكّ مع العوامل الخارجيّة المتنوّعة.

فرضيات بحثنا نصوغها كالتّالي، كإجابةٍ عن التّساؤلات المطروحة أعلاه :

1. للطفلَ اللّدنَ دفاعيّةٌ سلِسة تتيح له درجة مقبولة من التّكيّف مع الواقع، عكس الطّفل الغير لدن الذي يُبين عن دفاعية محدودة و أكثر صلابة لا تسمح بتكيُّفٍ إجتماعيٍّ.
2. يتمتّع الطّفل اللّدن بسعة الفضاء التّخيّلي كعاملٍ لإرصان الصّدمة على عكس الطّفل الغير لدن الذي يعاني فقرًا في الفضاء التخيلي.
3. يشكِّلُ وجود وصيٍّ للّدونة في المحيط العلائقيّ للطّفل اللّدن سندًا يكون له نموذجا تقمّصيّا إيجابيّا، بينما يعدُّ غيّاب هذا الوصيّ في المحيط العلائقيّ للطّفل الغير لدن عقبَةً أمام التّقمُّص الإيجابي.

التّعريفات الإجرائية لمصطلحات البحث:

-**اللّدونة:** هي ظاهرة أو سيرورة نفسية تتمثل في القدرة على مواجهة الوضعيات الصعبة أو الضّاغطة. في بحثنا نقصد بها قدرة الطّفل على المواصلة بصفة طبيعيّة بعد طلاق والديه فيما يتعلّق بتعلّمه و متابعة دراسته دون ظهور اعراض مَرضيّة على المستوى السّلوكي، العقلي والسّوماتي.

-**الطّلاق:** نقصد به فك الرّابطة الزّوجيّة قضائيّا بين الوالدين بعدما كانت تجمعهما علاقة لمدّة من الزّمن أثمرت طفلا على الاقل.يكون فكّ هذه الرّابطة بالتّطليق،الخلع أو بالتّراضي .

-**عوامل الحماية:** نقصد بها العوامل النفسية،العائلية و الإجتماعية المساعدة للطّفل على تفعيل سيرورة اللّدونة.

-**عوامل الخطر**: هي العوامل النّفسيّة،العائليّة و الإجتماعيّة التي تعمل على إضعاف و إعاقة سيرورة اللّدونة لدى الطّفل.

-**الفضاء التخيلي** (éspace imaginaire) :نقصد به سعة التّخيل لدى الطّفل كمًّا ومدى غِناه نوعاً،يقصد به أيضا القدرة على إعطاء معنى لموقف او وضعية ما إرتكازا على عمليّة التّخيّل ،الأمر الذي يساعده في إيجاد مخارج للوضعيّات الصّعبة الّتي تعترضه .

يُستدلُّ على سعة الفضاء التّخيّلي من خلال الأحلام,القدرة على حبك قصصٍ ذات حبكة,الرّسم,أحلام اليقظة و القدرة على الحوار مع الذّات (monologue) دون إفراط أو مبالغة.

– التّخيّل (imagination): عملية عقلية تمثل أساس الإدراك ،تتمثل في القدرة على جمع وتنظيم صور عقلية لتجارب ماضية في تقاطعها مع تجارب راهنة لإعطائها معنى.

-**الميكانيزمات الدّفاعيّة**: وهي الميكانيزمات الدّفاعية كما هيّ معرَّفة لدى مدرسة التحليل النّفسي، ميكانزمات تسمح بتكيّف الانا مع الواقع وتخفيف التّوتّر في مواجهة الوضعيّات المهدِّدة.

-**نموذج تقمصّي**: نقصد به الصّورة الوالدية أو صورة أيّ شخص بالغ ينتمي لمحيط الطّفل القريب و يمكن أن تكون له الوصاية عليه (الجدّ، الجدّة، العمّ،الخال،العمّة،الخالة....).

-**وصيّ اللّدونة**: شخص من المحيط العلائقيّ للطّفل،يتميّز بصفات القدرة على الإصغاء ، الحضور المتعاطف،التّركيز على الجانب الإيجابي من حياة الطّفل إضافة إلى حرصه على إرساء قواعد و قوانين تسمح بتوجيه الطّفل تحقيقا للإندماج في الجماعة.

وصف عينة البحث:

لفحص فرضياتنا ارتأينا القيام بدراسةٍ مقارِنةٍ لمجموعتين متمدرستين من الأطفال دون إعطاء الأهمّيّة للجنس. المجموعة الأولى تُعتبَر من الأطفال اللّدنين "enfants résilients" و تتكوّن من طفلين،المجموعة الثّانية تضُمّ طفلين كذلك يُعتبَران أنّهما غير لدنين "non résilients" و ذلك استنادا الى معايير تشخيصية سنذكرها لاحقا.

أخذنا من الطّلاق عامل خطرٍ "facteur de risque" بالنّسبة للمجموعتين ليتبيّن على أثره مدى لدونة الطّفل ضحية الطّلاق،إذ سنعمد إلى العمل على عيّنة قوامها أربعة أطفال متمدرسين يتراوح سنّهم ما بين 06 و 12 سنة و ذلك باعتبار أنّ هذه المرحلة هي مرحلة هدوء نسبي بالنّسبة للطّفل إذ تتطوّر خلالها دفاعاته النّفسية و يكون قادرا على التّسامي و أكثر إقبالا على التّعلم حسب نظريّة التّحليل النّفسي.أردنا أن يكون أفراد عيّنتنا من الأطفال دون المراهقين وذلك باعتبار أنّ أزمة المراهقة أزمة جامعة يتعرّض لها جميع المراهقين حيث تختلف ردود فعلهم حينها فمنهم من يتّخذ من التّسامي ميكانزما مميِّزا وتمرّ مرحلة المراهقة بصفة هادئة و منهم من يُطلِق العِنان لحياته الجنسيَّةِ بالمعنى التّحليلي،و عليه كان استبعادنا لمرحلة المراهقة على أنّها ظرف ضاغط بحدّ ذاته إذ كان هدف بحثنا هو دراسة عوامل اللّدونة لدى أطفالٍ ضحايا الطّلاق كعامل ضاغط.

لا يهمّ مع من يعيش الطّفل ضحيّة الطّلاق،المهمّ أن يكون مع أحد والديه سواءا ضمن العائلة النّواة (التي تفتقر لأحد الأبوين طبعا) أو المركَّبة،على أن يكون المستوى الإقتصادي متقاربا (متوسّطا على الغالب) سعيا منّا لعزل تأثير هذا العامل على خطّة البحث و هدفه.

سنُركِّز في اختيار عيّنة البحث على معيارين مهمّين حسب "CLAUDE DE TYCHEY" و " JOELLE LIGHEZZOLO" (2004) أوّلهما التّكيّف مع الواقع الخارجي أو المحيط والآخر يتطلّب توظيفا نفسيّا يسمح بتكيّف الأنا و يُترجَم بغياب التّظاهرات (الأعراض) الجسديّة، السلوكيّة و العقليّة. إستنادا الى هذين المعيارين سنأخذ من

القدرة على متابعة الدّراسة بمستوى يضاهي مستوى الأقران العاديّين من نفس السّن على ألّا ينكص هذا المستوى مقارنة بما كان عليه قبل الطّلاق،و السّلامة من الأعراض المرضيّة (نفسيّا،سلوكيّا و جسديّا) كمقياسين محدِّدين للّدونة.

المعايير المعتمدة لتشخيص اللّدونة:

وضع كل من "C.De Tychey" و "J.Lighezzolo" جملة من المعايير التي تسمح للباحث أو الممارس بتشخيص اللّدونة . قسّماها إلى معايير داخليّة و أخرى خارجيّة؛ كما طرحا مشكلة عدد هذه المعايير الواجب اعتمادها لتشخيص اللّدونة، فالتّشخيص اعتبارا لمعيار واحد فقط فيه نوع من التّبسيط المفرط لسيرورة اللّدونة و لتطوّر الشّخص و لسجّلات التّكيّف لديه، كما أنّ اعتماد معايير عدّة سيقود نحو التّعقيد و نحو المثاليّة المفرطة للّدونة.إقترح "Lecomte" حلّا وسطا وذلك بالإعتماد على معيارين دون تحديد طبيعتهما.تبنّى الباحثان اقتراح "Lecompte" وذلك باعتماد معيار داخلي يتعلق بالتّكيّف مع الواقع الدّاخلي و آخر خارجيّ يتعلّق بالتّكيّف مع الواقع الخارجي. (De Tychey & Lighezzolo, 2004, pp. 8-12)

تبنّينا من جهتنا اقتراح الباحثَيْنِ وذلك باعتماد معيارين (واحد داخلي و آخر خارجي)، نذكرهما فيما يلي:

-القدرة على متابعة الدّراسة بصفة طبيعيّة مثلما هو الحال بالنسبة للأقران من نفس العمر دون أن يُسجِّل الطّفلُ نكوصا في المستوى الدّراسي.

-السّلامة من الأعراض الجسديّة،العقليّة و السّلوكيّة.

بالنسبة للمجموعتين:

-حدوث الطّلاق في المرحلة العمريّة للطّفل الممتدة ما بين 06 و 12 سنة.

-غياب مشاكل نفسيّة و جسدية خطيرة قبل الطّلاق و ذلك استبعادا لتدخّل عوامل أخرى غير الطّلاق.

-سلامة الطّفل فكريّا (intellectuellement) وعدم معاناته من التّأخُّر العقلي.

بالنّسبة لمجموعة الاطفال اللّدنين:

-القدرة على متابعة الدّراسة بصفة طبيعيّة مثلما هو الحال بالنّسبة للأقران من نفس العمر دون تسجيل نكوصٍ في المستوى الدّراسي.

-السلامة من الاعراض الجسدية،العقلية و السلوكية.

بالنسبة لمجموعة الاطفال الغير لدنين:

-إظهار صعوبة في التّعلم و متابعة الدراسة بعد الطّلاق ،مع احتماليّة ظهور أعراض مَرضِيّة جسديّة،سلوكيّة و عقليّة.

أهمية البحث:

كبحث أكاديمي نعالج من خلاله مفهوم اللّدونة وعواملها النّفسية لدى أطفال من آباء مطلّقين يرجع اختيارنا لهذا الموضوع لأهمّيّة النّقاط التّاليّة:

- حساسيّة موضوع الطّلاق و تأثيراته على التّوازن النّفسي و الاجتماعي للأطفال.
- أهمّية اللّدونة كسيرورة و كعملية تفاعليّة في تحقيق التّوازن النفسي و التكيف الإجتماعي.
- تكمن أهمّيّة البحث في كونه يعالج موضوعا يجمع بين الطّلاق كظاهرة ذات تأثير سلبي على الأطفال و اللّدونة كسيرورة تهدف لتجاوز هذه التّأثيرات بمحاولة تسليط الضّوء على حيّز مُهمٍّ من العوامل (العوامل النّفسية).

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

– دراسة العوامل المساعدة في تفعيل سيرورة اللّدونة لدى أطفال ضحايا الطّلاق بالدرجة الأولي.

–فحص وزن و أهمّية هذه العوامل الدّينامية.

–إثراء سجلّ مكتبة معهد علم النّفس بعمل قلّما تُطُرِّقَ له من قبل ليكون كنقطة انطلاقة بالتطوير أو بالثّقة.

–نأمل أن تُعتمَد نتائج هذا البحث في برامج جمعيّات أو هيئات ذات صلة بحماية و تطوير صحّة الطفل.

دوافع اختيار موضوع البحث:

نسمع كثيرا على أنّ الطّلاق يؤثّر سلبا علي التّوازن النّفسي للطّفل ،هذا علما أنّه لديّ شقيقة مطلّقة تعيش بمعيّتنا في المنزل العائليّ رفقة ابنها الوحيد و على العكس ممّا هو شائع بخصوص الطّلاق و تأثيراته وجدت ابن شقيقتي يَبرعُ في أنشطةٍ و ممارساتٍ كالرّياضة ،العلاقات الإجتماعية و كيفية تكوين هذه العلاقات ،الأمر الذي حزّ في نفسي كطالب باحث الإفتراض بأنّ للّدونة دور في ذلك.

– أردت أن أتّخذ البادِرة لإجراء هذا البحث نظرا لأنّ مكتبة قسم علم النّفس لا تحتوي على أطروحة تعالج موضوع اللّدونة، هذا ويبقى أقوى دافع هو الاهتمام الشّخصي بموضوع كهذا.

دراسات سابقة ذات صلة بموضوع البحث:

تتبعت "EMMY WERNER" بهاواي لمدّة ثلاثين سنة (700) طفل بدون أُسَر،غير متمدرسين، متشرّدين،ضحايا لاعتداءات جسديّة وجنسيّة ،غالبيّتهم أصبحوا بالغين منحطّين نفسيّا .الاّ أنّ 28 % منهم تمكّنوا من النّجاح بتعلّم

حرفة ،تكوين أسرة دون مشاكل نفسية جليّة .إستخلصت الباحثة بأنّ لهؤلاء الأطفال قدرات خاصّة تؤهّلهم للتّغلّب على صدمات الحياة و تخطي صعابها ؛ أسمتها "اللّدونة ".

في دراسة تحليليّة لـ " ROBERT LOUIS" (2019) تمحورت حول تفعيل سيرورة اللّدونة لدى أطفال مودعين بمراكز استقبال و مساعدة الطّفولة (SAE) وكذا لدى عائلات مضيفة (familles d'accueil) "بكندا – أنتاريو" بسبب تعرّضهم للتّعنيف ؛من وجهة نظر خمسين من القائمين على رعايتهم (أخصّائيون نفسانيّون،أخصّائيون اجتماعيون،مساعدون تربويّون) ؛خلص الباحث الى أنّ الآلية التي تسمح بتفعيل أو تنشيط اللّدونة لدى أطفال العينة هي علاقة الطّفل مع وصيّ اللّدونة **(le tuteur de résilience)**؛ حين يتمكّن الطّفل من استثمار حاضره ،والتّغلّب على مخاوفه ،شعوره بوجوده وإيجاد مكانة ضمن مجتمعه.

قدم الباحث من جهة أخرى استنادا الى السّرد (le récit) مجموعة من خصائص وصيّ اللّدونة ،أجملها فيما يلي : القدرة على مسايرة واحترام قدرات الطّفل و إمكانياته ، الحضور المتعاطف (la présence empathique)،إرادة متجلّية لتعبئة قدرات الطفل .

(Louis, 2019, p. 22)

في دراسة حول استراتيجيات المواجهة "coping" المنتهجة من قبل الطّفل في مواجهة التّفكّك الأسري (الطّلاق)، قامت "Geneviève carobene" (2007) بتطبيق استبيانات لقياس الصّراع بين الزّوجين (cpic)، إستراتيجيات المواجهة لدى الطّفل (CCSC-V2,TAS،ES)، وتكيّف الطّفل (RCMAS,CBI,CBCL) على 85طفل وآباءهم.

شملت عيّنة الدّراسة أُسَرا ملتحمة وأخرى مفكّكة منفصلة؛ خلصت الدّراسة إلى أنّه وبالنّسبة لأطفال المجموعتين، أنّ تقييم درجة التّهديد المتولّد عن الوضعيّة (خلاف، طلاق ....) يؤثر على اللّجوء لاستراتيجيات المواجهة وأنّ

الإستراتيجيات الفعّالة أو النشطة تؤثّر على فعالية المواجهة المدركة. خلصت الدّراسة أيضا بأنّ استراتيجيات المواجهة عن طريق التجنب (l'évitement) والبحث عن السّند (le soutien) لها تأثرات مختلفة على تكيّف أطفال المجموعتين . (Carobene, 2007, p. 17).

في دراسة لها على أطفال متخلّى عنهم (abandonnés) مولودين بين (1963) و (1978) ، موضوعين تحت وصاية الضّمان الإجتماعي و العمل ؛ إذ كان هدف الدّراسة تبيان المصير النّفسي و الإجتماعي لهؤلاء الأطفال حين بلوغهم سنّ الرّشد ؛ خلصت "ب.م.ميموني" (1999) إلى أنّ نسبة معتبرة من أفراد العيّنة أظهرت زيغا وانحرافا خلال نموها :صعوبة في تحقيق الإستقلالية (autonomie) ، صعوبة مغادرة مؤّسسة الإيواء ،ما يقارب 30 % من العيّنة داخل مؤسّسة الإيواء أظهرت مشاكل عميقة (ذهان،تأخّر ذهني)، يعيشون في تبعيّة مطلقة ويشكّلون بالتّالي عبئا على الدّولة. خلصت الدّراسة أيضا إلى أنّ الإضطرابات السّيكوسوماتية كانت حاضرة لدى أفراد العينة بنسبة 35%.نسبة من أفراد العيّنة تقترب حسب الباحثة من التّكوين الحدّي (borderline) على المستوى النّفسي، إضافة إلى مشاكل سلوكيّة عديدة.

لاحظت الباحثة من جهة اخرى أنّه و بالرّغم من الصّعوبات و المشاكل التي يواجهها أفراد العيّنة (ذكورا و اناثا) فيما يتعلّق بانذماجهم المهني و الإجتماعي إلاّ أنّهم لا يعتبرون أنفسهم غير متكيّفين، بل بالعكس من ذلك، متسائلة حول معايير المجتمع المحفة في حقّهم فيما يتعلّق بتكيّفهم و قدرتهم على الإندماج، فغالبيّتهم يقدّرون انفسهم متكيّفين في بيئتهم التي نشأوا فيها ،مستشعرين اختلافهم إيجابا على الرّغم من الألم المترتّب أحيانا ، رافضين مغادرة مراكز الإيواء التي يرون فيها منازلهم التي ضمّتهم لسنين . أرجعت الباحثة تلك القدرة على التّكيّف و الإستمرار إلى اللّدونة متطرّقة إلى عوامل الخطر (لاشرعيّة النّسب وتدنيّ مستوى التّكفّل أو الرّعاية) و عوامل الحماية أو التعزيز

(الطّبع، مظهر الطفل من حيث جاذبيته، وجود أشخاص ممكن اللّجوء لمساندتهم ،العيش في أسرة حاضنة، الشّريك الزّواجي المساند) (Moutassem-Mimouni, 2005, pp. 117-126).

قامت "AMANDINE THEIS" ببحث أكاديمي لنيل شهادة الدّكتوراه في علم النّفس بجامعة "Nancy 2" تحت إشراف "CLAUDE DE TYCHEY"؛ تمحور البحث حول العوامل النّفسيّة العميقة للّدونة (facteurs intrapsychique de la résilience) : الآليّات الدّفاعيّة،سعة الخيال، دور العقلنة (qualité de la mentalisation)، وأهمّية وجود السّند في محيط الطّفل. أجريّ البحث مقارنةً بين ستّة (06) أطفال لدنين و ستّة (06) آخرين غير لدنين تعرّضوا كلّهم للتّعنيف ،موضوعون حين إجراء البحث ضمن عائلات مضيفة (familles d'accueil).إذ استنتجت الباحثة بأنّ الدّفاعيّة النّفسيّة تعتبر العامل الأهمّ في سيرورة اللّدونة، تليها سعة الفضاء التخيّلي و نوعية العقلنة ولكن بدرجة أقلّ أهمّية من الدّفاعية النفسيّة، بينما خلصت إلى أنّ السّند أو ما يسمّى أيضا بوصيّ اللّدونة كسند علائقي منعدم التأثير أو الفاعلية.

نستخلص من خلال الدّراسات السّابقة بأنّ اللّدونة سيرورة تتفعّل حين الصّدمات و الشّدائد كواقٍ للطّفل من التّفكّك، إذ ينتقل هذا الأخير من مستوى المقاومة و التّكيّف إلى مستوى التّميّز و الإبداعية (الإنتاجية) .

يمكن لسيرورة اللّدونة أن تُفعّل طبيعيّا بتدخّل عدّة عوامل (داخليّة، عائليّة،محيطيّة) ،كما يمكن أن تُفعّل بمساعدة المحيط مباشرة حين الصّدمات و الشّدائد بتوفير سندٍ يُرتكز عليه؛ أو أن تُدعَّم كسيرورة لدى الأطفال من خلال العمل على تعزيز عواملها (عوامل الحماية).نتحدّث هنا عن اللّدونة المدعَّمة أو المسانَدة (résilience assistée) .

تختلف الظّروف من حيث درجة تأثيرها على الأطفال لتفعيل سيرورة اللّدونة؛تختلف أيضا تبعا لطبع الطّفل، فما قد يُعتبَر مستطاعا تحمُّله لدى طفل قد يُعتبَرُ ظرفا صعب التّحمُّل لدى كفل آخر .يعتبر الطّبع و مدى توفُّر المساندة عاملين مهمّين من عوامل الحماية المساهِمة في تفعيل سيرورة اللّدونة.

في دراسة "A.Theis" أفضت نتائج بحثها إلى حتميّة تميّز الطّفل بدفاعيّة نفسيّة سلسة تَقِيهِ من التّفكّك و الإنهيار و تسمح بتفعيل سيرورة اللّدونة ،على عكس وصيّ اللّدونة ،إذ أظهرت نتائج بحثها بأنّ فاعليّته تبدو غير ذات وزن،و قد يرجع ذلك احتمالا لطبيعة عينة بحثها.

اللـّدونـــــــــة

- ⊙ تمهيد
- ⊙ تاريخ نشأة مصطلح اللُّدونة
- ⊙ تعريف اللُّدونة
- ⊙ اللُّدونة في حدودها مع مصطلحات مجاورة
- ⊙ اللُّدونة بين التّكيّف و الدّفاعيّة النّفسيّة
- ⊙ اللُّدونة كسيرورة
- ⊙ خصائص الشّخص اللَّدِن (profil)
- ⊙ الصّدمة واللُّدونة
- ⊙ تصنيفات الصّدمة
- ⊙ اللُّدونة و الآليّات الدّفاعيّة
- ⊙ عوامل الوقاية والخطورة (الهشاشة)
- ⊙ اللُّدونة و المدرسة
- ⊙ معايير اللُّدونة
- ⊙ وصيّ اللّدونة
- ⊙ خلاصة

" يهتم التّحليل النّفسي بوصف الدّفاعية النّفسية و استثمار ذلك في العلاج النفسي, ويهتمّ التّعلّق بتبيين كيفيّات التّغلّب على صعوبات الحياة وطرق اكتساب اللّدونة " .

" B .Cyrulnik "

تمهيـد :

يبدو أنّه من السّهل إدراك معنى مصطلح "اللّدونة" إجمالا, لكنّ الأمر قد يختلف حين محاولة حصر معناه وتحديده بدقة . يجمع المختصّون على أنّ المصطلح يلُمُّ بجانبين : أوّلهما "الصّدمة" أي (وضعيّة صعبة قد تطول في الأمد) , وثانيهما " توظيف نفسي غير مَرَضِي" .

مصطلح "résilience" بالفرنسية يعني القدرة على الصّمود , وقد نجد عِدّة استعمالات باللّغة العربية منها : الجَلَد , الإرجاعيّة , الصّلابة النّفسية ....., نرى في بحثنا هذا أنّه من الأنسب استعمال مصطلح اللّدونة و ذلك لتعبيره الدّقيق على القدرة على التّغيّر و إعادة التّشكّل لمسايرة صعوبات الحياة استنادا إلى مدلوله الأصلي المستمدّ من العلوم الفيزيائيّة.

لغةً , يُعَرَّفُ مصطلح اللّدونة على أنّه صفة المادّة المرنة التي يَسهُل تغيُّر شكلِها, و قابِليتُها للتّشكّل.نرى من خلال هذا التّعريف انّ المرونة "élasticité" صفة ملازمة للّدونة .

يأتي مصطلح " résilience" المترجَم للعربيّة باللّدونة من اللّاتينية (resalire) بمعنى قفْزٌ , إلغاءٌ , إنهاءٌ. إستُعمِل المصطلح في علوم الفيزياء للدّلالة على قدرة المعدن على مقاومة الصّدمات واستعادة شكله كالسّابق **;** في

علم النّفس استخدم تعريف هذه الظّاهرة الفيزيائية كمجاز لتوضيح فكرة أنّ الكائن الإنساني بإمكانه أيضا مقاومة الصّدمات النّفسية , الوقوف بعد الصّدمة و المضيّ قُدُمًا (Cyrulnik & Jorlan, 2012)

تُعرَّف اللّدونة إجمالا بأنّها سيرورة بيو–نفس–عاطفية–إجتماعية و ثقافية تسمح بالتّطور و المضيّ قدما بعد الصّدمة النّفسية (Cyrulnik & Jorlan, 2012)

1– تاريخ نشأة "مصطلح اللدونة" :

أوّل الدّراسات و البحوث في ميدان اللّدونة كانت في الدول الأنجلوسكسونية ,إذ يبقى استعماله في الدّول الأوروبيّة , خاصّة في فرنسا كرائدة حديثا نسبيا .

كان ظهوره في أوائل الثّمانينات من القرن العشرين ,إذ لم يكن قبلها معروفا كمصطلح متفرّد بمعنى دقيق , كان مصطلح "الهشاشة – Invulnérabilité " هو السّائد , وكان الإهتمام به واسعا , ظهر مصطلح اللّدونة من خلال التحام مفهومين آخرين : (استراتيجيات المواجهة – coping) و (المناعة النّفسية – Invulnérabilité) (Koninckx & Teneau, 2010)

دُرِست اللّدونة كما ذكرنا في الولايات المتّحدة الأمريكية استنادا إلى النّموذج المعرفي من خلال مفهوم (إستراتيجيات التّكيف – Coping) , دُرِست في أوروبا (فرنسا خاصّة) إرتكازا على نظريّة التعلّق, إذ كانت هذه الدّراسات تتمحور حول نقطتين مهمّتين ,أولاهما التّحول : اي القدرة على مسايرة الأزمات و الضّغوط , وثانيهما القدرة على استثمار الصّدمات للخروج بعدها أكثر قوة (Anaut, 2005).

فيما يخص تعريف " اللدونة" , نستطيع القول أنّه لا يكاد الباحثون في الميدان يجدون اتّفاقا على تعريف جامع موحَّد, الأمر الذي جعل من هذا المصطلح موضوع اختلاف , لكن و بالرّغم من ذلك نجد أنّ هذا الإختلاف لا

يزيد المصطلح كمادّة للدّراسة إلّا إثراءًا و قيمة , مثله في ذلك مثل علبة الأدوات , كلّما ازدادت غِنًا و تنوّعا بالأدوات كلمّا ازدادت نفعا .

قبل سنوات الخمسينات من القرن العشرين ظهر مصطلح (الهشاشة – Vulnérabilité) من خلال اهتمام الباحثين بالأمراض و الإظطرابات النّفسية , الذّهنية و السّلوكية بالخوض في العوامل المؤثّرة , إذ كان هذا المصطلح (الهشاشة) لبِنَة أساسيّة في تفسير هذه الإضطرابات من خلال العلاقة السّببية بين تجارب الحياة الطّفولية و الآنية من جهة , و مآلِ السّلوك و التّوظيف العقلي للشّخص مستقبلا من جهة أخرى.

لم يكن هذا النّموذج القائم على العلاقة السّببية في تفسير السّلوك مُقنِعا في تفسيره لعديد السّلوكات , وكمثال على ذلك الدّراسة التي قام بها (R .SPITZ) على أطفال موضوعين في مؤسّسة للرّعاية , لم يكن اهتمام (SPITZ) خاصّا إلّا بالأطفال الذين أبانوا علامات الخور أو الإكتئاب , على الرّغم من احتماليّة وجود أطفال حينها لم تظهر عليهم علامات الإكتئاب إمّا لاكتسابهم قدرات تسمح لهم أو تساعدهم على تجاوز آثار التّفريق , وإمّا لوجود بديل أمومي . هؤلاء الأطفال السّليمين من أعراض الإكتئاب و اللذين لا يمثّلون اللّوحة الإكلينيكية الموصوفة من طرف (R.Spitz) تمّ تجاهلهم و إبعادهم تماما عن أدبيآت الدّراسة و البحث آنذاك (S.Youcharge, 2015)

كان لزاما انتظار تغيّر النّظرة الضّيّقة لعلم النّفس السّائدة آنذاك لصالح دراسة الشّخص ككلّ , كوحدة متكاملة الأبعاد , أين تؤخذ قدراته و مهاراته في مواجهة الصّعوبات بعين الإعتبار , و الإبتعاد عن التّركيز إلّا على الهشاشة النّفسية و عن المرضيّة.

بالعودة لمصطلح الهشاشة و إسقاطه على أعمال (Spitz) فيما يتعلّق بعواقب التّفريق , نرى أنّ الأطفال الذين لديهم استعداد أو سندٌ لتجاوز آثار هذا التّفريق قد استُبعِدوا من الدّراسة , هم أطفال لا يتميّزون بالهشاشة النّفسية , بل بالعكس إنّهم يتميّزون بمناعة ضدّ الإنكسار و بالتّالي قد تصِحّ تسميّتهم باللّدنين (résilients) . هناك

أدبيّات أخرى تولي لـ (Spitz) فضلا في التّلميح للّدونة من خلال ذكره للمرحلة الرّابعة من مراحل تفريق الطّفل عن الأمّ أو بديلها (مرحلة التّعافي أو الشّفاء guérison) (Cyrulnik, 2005)

قام طبيب الأمراض العقلية "James Anthony" منذ السّبعينات بأبحاث تهدف إلى تبيين نِسبيّة دور عوامل الخطورة .كان من ثمار أعماله بلورة فكرة أنّ شخصيّة كلّ فرد تلعب دورا مُهمّا,أساسيّا في تحديد الإستجابة ضدّ الإعتداء (agréssion) ,بغية ذلك و ليوضّح الباحث المذكور أهمية أعماله و دور الشّخصية الأساسي في مواجهة الصّعوبات , ضرب مثالا مجازيا في ذلك من خلال التّلميح لثلاث دمى **;** الأولى زجاجية سهلة الإنكسار،مستحيلة التّصليح ,الثّانية من الصُّلب (acier) , تعرُّضها للسّقوط لايصيبها بأيّة خسارة **;** والثّالثة من البلاتسيك ,تعرُّضها للسّقوط يترك آثارا تستحيل إزالتها أو نسيانها .نفس الأمر بالنّسبة لهذه الدّمى حسب "James Anthony" فإنّ كثيرا من الأطفال يُظهِرون مقاومة تختلف في الدّرجة في مواجهة الصّدمات.

بعد التّركيز على عوامل الخطر في دراسة السّلوك من خلال علاقة الفرد بمحيطه ,تم الإنتقال أو الإهتمام بدراسة عوامل الحماية (facteurs de protecction) .إهتمّ "RUTTER" في إنجلترا بدراسة تأثير التّفريق على الأطفال من أعمار مختلفة.

وضّح الباحث من خلال أبحاثه أنّ عوامل الحماية هي تلك التي تتدخّل في حماية الطّفل قبل, خلال , وبعد تعرُّضه لحوادث قد تكون عواقبها سيّئة .أسمى "RUTTER" آنذاك أي خلال فترة السّبعينات تلك العوامل باللّدونة . (Moussa & Al, 2010)

توالت بعد ذلك الأبحاث و الدّراسات حول اللّدونة,شهدت ثراءا و كثافة في الولايات المتّحدة الأمريكية ,أمّا في فرنسا فقد كانت بعض الأبحاث و المنشورات لـ "B.CYRULNIK" كسَبّاق في الميدان (Moussa & Al, 2010)

تلقى اللّدونة حاليا كسيرورة اهتماما واسعا من طرف علم النّفس و علوم أخرى ذات صلة,إذ ساهم ذلك الإهتمام في تطويرالتّكفل النّفسي و الإجتماعي.

تفرُّع النّظريات الدّارِسة للّدونة باختلاف توجُّهاتها جعل منها سيرورة متعدّدة الأبعاد ,الأمر الذي دفع بعض الباحثين مثل "TISSERON" يتحدّثون عن اللّدونة بصيغة الجمع (résiliences) (Moussa & Al, 2010)

2- تعريف اللّدونة:

اللّدونة بالفرنسية "Résilience" مشتقّة من اللاّتينية "salire" و "re" , مفادها تباعا "القفز " و "حركة للخلف " , بمعنى القيام بحركة للخلف بغية القفز و الإندفاع. إستُعِمل المصطلح في القرن الثّامن عشر في إنجلترا للدّلالة على ردّة فعلٍ لصدمةٍ ما , إمتدّ استعماله للولايات المتّحدة الأمريكية للدّلالة على مجموعة من الخصائص المتعلّقة بالمرونة و بحسن المزاج . إستُعمِل في فرنسا من خلال مصطلحين : أوّلهما "المقاومة" للدّلالة على القدرة على الحفاظ على الإستقامة أو الثّبات من جهة, و ثانيهما "اللّدونة-résilience" للدّلالة على القدرة على الإستخدام الفوري لدفاعية فعاّلة مواجَهَةً للتّوتّر. يُستخدَمُ المصطلح حاليا على نطاق واسع للدّلالة على الجمع بين هذين الفكرتين أو المصطلحين , أي القدرة على المقاومة و القدرة على إعادة بناء الذّات في مواجهة الصّدمات (contamin, 2021)

إنّ الأشخاص اللّدنين يُظهِرون نوعا من المرونة (plasticité) , الحزم, التّفاؤل و الإنفتاح على التّعلّم, أمّا الإكتئاب,الإنهاك،الإنزعاج الدّائم و الإرتياب (cynisme) , كلّ هذا يوحي بتزعزع أركان اللّدونة إن لم نقل نقصٌ فيها (Pourtois & Desmet, 2022)

بينما يركّز الأنجلوساكسونيون على القيّام بحركة للخلف من أجل الإندفاع أو القفز بطريقة فعّالة في تعريفهم للّدونة , نرى أنّ الفرنسيّين يركّزون في تعريفهم لها على القيّام بتلك الحركة للخلف من أجل فكّ الرّباط (se délier) مع وضعيّة صعبة.

ومهما يكن, نجد أنّ المعنى المتَبنّى هو الوثب و الإرتداد , ومن ثمّ القفز أو الإندفاع من أجل استعادة المكانة أو الوضعيّة التي كان عليها الشّخص قبل تعرّضه لمواقف صعبة (Anaut, 2005).

ميدانيّا و نظريّا ,لا ينتمي مصطلح اللّدونة لأيّة نظريّة تتبنّاه , بل نجده مستعملا و متداولا بالبحث و الدّراسة في عِدّة نظريّات مختلفة المرجعيّة وبمقاربات متباينة أيضا , الأمر الذي سمح بظهور تعريفات عديدة تتّفق أحيانا و تختلف أحيانا . يقول "TISSERON " (2007) عن اللّدونة بأنّها كلمة بألف معنى .

"ANAUT " (2003) تشير إلى أنّه و بالرّغم من اختلاف التّعاريف وتباينها فيما يتعلّق بتحديد معنى اللّدونة , فإنّ هذه الأخيرة بين نوعين من ردود الفعل :

1) تطوّر أو نموّ عادي رغم التّعرّض للمخاطر .

2) التّعافي (ressaisissement de soi) بعد التّعرّض للصّدمة .

في إطار تصوّرهما التّطوري , يُعرِّف كلّ من "J .ANTHONY" و "M.RUTTER " اللّدونة كمقاومة للصّدمات و قدرة على التّطور و الإستمرار بصفة عادية رغم قسوة الظّروف (B.Cyrulnik, 2006)

وحسب نفس التّوجّه النّظري , يرى "TUPPET YATES " أنّ اللّدونة عبارة عن سيرورة مستمِرّة تتجمّع خلالها الموارد التي تسمح للفرد بمعالجة مشاكله الرّاهنة بطريقة تكيّفية , والتي من شأنها توفير قاعدة تسمح أو تُسهِّل الإسترجاع وقت التّحدّيات و تُسهِّل المهمّة لمواجهة التّحدّيات مستقبلا (Ionescu, 2006)

يركّز التّحليل النّفسي في المقابل على مفهوم الصّدمة (traumatisme) و يعتبره عاملا أساسيّا للحديث عن اللّدونة . يرى "D.TYCHEY " (2001) أنّ اللّدونة هي قدرة الفرد على بناء ذاته و العيش بطريقة مُرضِيَّة رغم الصّعوبات و الوضعيّات الضّاغطة التي قد يقابلها في حياته .

هي القدرة على حفظ التّوازن الدّاخلي و حفظ توازن الذّات في العلاقة مع الغير أثناء الظّروف القاسيّة و الوضعيّات الصّادمة (Bessoles, 2001)

في تعريف اخر لـ "MIJOLLA" , فأنّ اللّدونة هي عبارة عن سيرورة نفسية تَنُمّ على القدرة على تحويل العواقب الأليمة للصّدمات إلى غنًا (قوة وثراء) داخلي , إذ يقترب هذا المعنى من معنى مصطلح (الإعلاء, التّسامي) الذي أتى به "س.فرويد" (K.Mekiri, 2010)

مابين تعريف اللّدونة من طرف السّلوكيين و المحلّلين النّفسانيّين, نجد كل من "LECONTE", "CYRULNIK" , "MANCIAUX" , "TOMKIEWICS" و "VANSTANDAEL" يحاولون الجمع بين كلّ تيّار للّدونة باعتبارها قدرة الشّخص أو الجماعة على التّطور أو الإرتقاء ,التّخطيط للمستقبل في ظلّ حوادث مُزعزِعَة للإستقرار ,صدمات خطيرة , وظروف عيش صعبة (Lighezzolo & De Tychey, 2012)

كما تطرّقنا له سابقا ,فإنّ تعاريف اللّدونة تتعدّد فتختلف أحيانا و تتّفق أحيانا أخرى حسب المرجعيّة النّظريّة , ومن أجل أن نُحَوْصِل هذه التّعاريف ارتأينا تقديم التّعريف الذي اقترحته "ANAUT" باعتبار أنّ اللّدونة هي فنّ التّكيّف مع المحن (الوضعيّات الصّعبة) من خلال تنمية قدراتٍ تستند إلى مصادر داخليّة (نفسيّة) و خارجيّة (البيئة الإجتماعية العاطفيّة) تسمح ببناء سيكولوجي مناسب و باندماج إجتماعي (Anaut, 2003)

يتسعمل الباحثون في تعريفهم للّدونة مصطلحات من مختلف النّظريات في علم النّفس , من مثل ذلك (التّكيّف,المقاومة,الدّفاع).تساؤل وجب طرحه هنا وهو هل يختلف معنى كلّ واحد من هذه المصطلحات مع ما يعنيه مصطلح اللّدونة أم أنّها مترادفات تؤول لمعنى واحد ؟.

سنقوم بفحص نظري وجيز لهذه المصطلحات في محاولة لتبيين التّرادف أو الإختلاف مع مصطلح اللّدونة ,بالرّجوع كما ذكرنا سابقا إلى النّقطتين التّاليتين في تعريف اللّدونة :

- إمّا أنّها تطوّر عادي رغم التّعرّض للمخاطر .
- وإمّا أنّها التّعافي بعد التّعرّض للصّدمات.

3- اللّدونة في حدودها مع مصطلحات مجاورة :

نحاول فيمايلي وضع الحدود المفاهيميّة بين مصطلح اللّدونة و كلّ من المصطلحات التالّية: المقاومة, القدرة, و المناعة (invulnérabilité) .

من خلال التّعاريف السّابقة للّدونة , نلمس أنّ الكثير من الباحثين الأنجلوساكسونيين يتّفقون على أنّ اللّدونة هي مقاومة الفرد للآثار المرضيّة المترتّبة عن الصّعوبات النّفس-اجتماعية.في حين يرى باحثون آخرون أنّ هناك اختلاف بين المفهومين ,أمثال "N.GUEDENEY" التي ترى بأنّ اللّدونة تجمع بين مكوّنين (مفهومين) في آن واحد: المقاومة و استدامة (الإستمرار) التّطوّر في مواجهة الصّعوبات .نرى من خلال تعريف "GUEDENEY" للّدونة أنّها أوسع من المقاومة بحيث يتجاوز الأمر مجرّد مقاومة ثابتة سلبيّة إلى السّعي وراء التّطور و إعطاء معنى لكلّ تجربة (K.Mekiri, 2010) .

باحثون آخرون لا يقبلون إطلاقا بوجود علاقة ظرفيّة بين اللّدونة و المقاومة ,معلّلين ذلك بأنّ الأمر لا يتعلّق بمقاومة و حسب ,أي بفعل ساكن سلبي, وإنّما بحركيّة قد يفقد خلالها الفرد توازنه الظّرفي من أجل انطلاقة و استرجاع صائب (reprise réussie) (K.Mekiri, 2010)

الشّخص اللّدن بعيد على أن يكون شخصا نافذ القوى لأنّه و بكلّ بساطة شخص فيه جانب من الهشاشة ." BOURGUINON" (2006) يشير إلى أنّ الشّخص اللّدن هو شخص تعرّض لإصابة (نفسيّة) تاركة أثرا مستمّرا ,بحيث يلعب السّلوك اللّدن دورا لحجب المعاناة المتولّدة عن تلك الإصابة.

"DELAGE " (2001) يشير كذلك إلى أنّ الشّخص اللّدن هو شخص مصاب يلجأ لاستثمار مذّخراته النّفسية لمواجهة الشّدائد (الصّعاب) **;** هذا إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ اللّدونة بعيدة كلّ البعد عن معنى المناعة النّفسية أو اللّاهشاشة (invulnérailité) .

أمّا فيما يتعلّق بمفهوم (القدرة – capacité) نجد ان " ANAUT " (2006) تشير إلى أنّ اللّدونة بوصفها القدرة على تجاوز الصّعاب إلّا أنّ هناك خطأ قد يقع فيه الكثير بتأويل ذلك إلى أنّ اللّدونة صفة أو قدرة ملازمة لأشخاص دون غيرهم.

يشير "B.CYRULNIK" أيضا إلى أنّ اللّدونة لا تعتبر مجرد قدرة مرادفة للقوّة ولكنّها سيرورة قابلة للتّفعيل كلّما اعترضت الصّعاب حياة الفرد , هذه السّيرورة مآلها النّجاح كما الفشل (B.CYRULNIK, 2001) .

4– اللّدونة بين التّكيف و الدّفاعية النّفسية :

حسب "PALERSON" ,إنّ اللّدونة هي القدرة على إيجاد حلول تكيّفيّة لكلّ المواقف الضّاغطة حتىّ ولو لم تكن ذات أهمّية , وفي نفس الإتّجاه يضع "Garmezy" التكيف في قلب عمليّة اللّدونة بتعريفها على أنّها سيرورة, مقدرة أو نتيجة للتّكيّف في ظلّ الظّروف الصّعبة ,في ظلّ التّحدّيات و التّهديدات.

مصطلح "التّكيّف" يرتبط حسب النّظريات المعرفيّة السّلوكية بدفاعيّة (إستراتيجيات) معرفيّة تُعرف باسم "كوبينغ - COPING" أو استراتيجيات المواجهة , إذ قد يكون موجهّا نحو الوضعيّة الضّاغطة أو نحو الحالة الإنفعالية للشّخص. استنادا إلى الوضعيّة الأولى اين يوجّه الجهد التّكيفي نحو الوضعية الضّاغطة نستطيع القول بأنّ استراتيجيات التّكيّف لها علاقة باللّدونة كسيرورة .

ينتقد "DELAGE " علاقة اللّدونة بالتّكيّف من خلال الكوبينغ في إشارة إلى أنّ هذا المفهوم و على الرغم من أنّه يوضح الجانب التّكيفي للأنا إلّا أنّه لا ينمّ بصلة إلى الجانب التّطوري و الزّمني (الإستدامة أو الإستمرارية) للّدونة كسيرورة (K.Mekiri, 2010).

ترى النّظريات المعرفية السّلوكية الدّفاع على أنّه وجه من أوجه استراتيجيات التّكيف يهدف أساسا إلى التّكيف , في حين يرى التّحليل النّفسي أنّ التّكيف أوسع معنى مقارنة مع النّظريات المعرفية السّلوكية , إذ يؤخذ الواقع بعين الإعتبار من خلال استثمار الدّفاعية النّفسية في عملية (الإرجاء – Secondarisation) ,وفي هذا السياق نرى أنّ الفرق الجوهري بين الدّفاعية و التّكيف (حسب التّحليل النفسي) ,أنّ الدّفاعية عبارة عن سيرورة لا شعورية تهدف للحفاظ على التّوازن النفسي ,إذ بإمكانها النّجاح في ذلك سواءا بتحقيق مخرج تكيّفي أو دون تحقيقه. وفي المقابل نرى أنّ التّكيف هو مخرج من مخارج العملية الدّفاعية اللاّشعورية مع أخذ الجهاز النفسي بعين الإعتبار للواقع الخارجي و حفاظه في نفس الوقت على تحقيق التّوازن النّفسي . إعتبارا لهذا فإنّه لا يمكن أن تُعرّف اللّدونة على أنّها مجرّد دفاعية لاشعورية صلبة لا يكون مآلها التّكيف .وفي السّياق ذاته لا يمكن القول بأنّ اللّدونة مجرّد استثمار لسلوكات

تكيّفية و مجرد انتقاء لآليات هدفها التّكيف.فقولنا بأنّها دفاعية صلبة يجعلنا نُهمل الفرق بينها وبين أيّ سيرورة مَرضيّة هدفها الدّفاع, وقولنا بأنّها استثمار لسلوكات تكيّفية أو انتقاء لأليات هدفها التّكيف إنّما هو إشارة لمصطلح (الشّخصيات الشّبه عادية –personnalité pseudo normale) الذي اتى به "BERGERET" .

لتوضيح هذه النّقطة الأخيرة يمكننا الرّجوع لما أتى به "D.WINNICOTT" في تفسيره للسّلوك التّكيفي الذي قد يكون ثمرة تحوّل سطحي (self–faut) كبديل للمعاناة لغاية حدوث صدمة لتظهر بذلك الهشاشة المحجوبة بذلك التكيف كمواجهة ليس إلاّ (adaptation de surface) .

من خلال ما سبق ,نستطيع القول بأنّ اللّدونة مزيج بين الدّفاعية و التّكيّف ,هي دفاعية تهدف لتحقيق التّكيف والتّطوّر.

5– اللّدونة كسيرورة :

عند بداية البحوث حول اللّدونة ,كانت تعتبر إمّا نتيجة كتحصيل لعوامل مُعيّنة, وإمّا أنّها نمط معيّن من أنماط الشّخصية أو سمات من سمات الشّخصية.

هناك ملاحظات مفادها أنّ هناك أشخاص لدنين في أوقات أو خلال وضعيّات,وفي أوقات او مواقف تغيب هذه اللّدونة ,آخرون لدنين رغم الظّروف الصّعبة.

تتّجه الأبحاث الحديثة إلى اعتبار اللّدونة سيرورة ,والمراد بذلك هو دراسة ديناميّاتها التّكيفية المتعلّقة بالتّفاعل المستمرّ مع المحيط, وذلك يعني أنّ :

- اللّدونة يجب أن تؤخذ من مفهوم تطوّري ,أي أنها متعلّقة بمرحلة النّمو ممّا يؤدّي حتما لاختلاف ردود الفعل حسب السّنّ, البنية النّفسية و محيط الفرد.

- هي ليست خاصّية أو سمة ثابتة مميِّزة للشّخص ,وإنما تخضع لتغيّر يتعلّق بالظّروف.هي بنائيّة تطوّرية اذا.

- كبناء,فهي على المحكّ بين التوظيف النّفسي للفرد وبين واقعه المعاش (A.Theis, 2006)

- من وجهة نظر تحليلية (psychanalytique) نجد باحثين ينسبون اللّدونة كسيرورة لآلية التّسامي أو الإعلاء (sublimation) , وآخرون يحاولون إعطاءها معنى أوسع بالسّعي محاولين لفهم فرضيّة اللّجوء لمجموعة من الآليات الدّفاعية خلال سيرورة اللّدونة.

"B.CYRULNIK" يتكلّم عن اللّدونة من خلال التّمييز بين ظرفين أو مرحلتين متلازمتين و متتابعتين: ظرف (زمن التّعرّض للصّدمة) حيث يعمل الشّخص على مكافحة و تجنّب الإنهيّار, وظرف ما بعد الصّدمة أين يعمل الشّخص على تجاوز الوضعيّة الصّادمة وإصلاح تداعياتها باستعادة الآداء النّفسي المعتاد.

سؤال يطرح هنا و هو : هل الآليات الدّفاعية المستثمَرة خلال سيرورة اللّدونة بظرفيها هي الآليات المعتادة المصنّفة من قِبل التّحليل النّفسي ؟ أم أنّ هناك آليات دفاعية خاصة باللّدونة ؟

باحثون امثال "LIGHEZZOLO , ANAUT , DE TYCHEY ,MANCIAUX ," إجتهدوا في تحديد جملة من الآليات الدّفاعية خلال سيرورة اللّدونة و التي منها : اللّجوء للفضاء التّخيلي, روح الدّعابة,الإنشطار, الإنكار,التّسامي,الإيثار, و العقلنة (intellectualisation).

"DELAGE " (2001) من خلال عمل حول اللّدونة وضع ثلاثة مراحل لها كسيرورة ,تتداخل خلالها هذه الاليات الدّفاعية :

1) القدرة على الإنسلاخ من التّجربة القاسية,أين يُنكِر الفرد الوضعيّة جزئيّا مستعمِلا آلية الإنكار أو اللّجوء إلى حالة من انفصال الوعي(mise en œuvre d'états dissociés de conscience).

2) القدرة على التّحكم (maitrise) في الوضعية الصّادمة من خلال اتخاذ مسافة اتجاهها (تفكيكها) , السّيطرة على الإنفعالات , والقيام بجهد (mise en œuvre de l'action), خلال هذه المرحلة يلجأ الفرد إلى الإنكار بالإشتراك مع واحدة من الآليات التالية:

- الفكاهة او روح الدعابة (humour) .
- استثمار الفضاء التخيلي(investissement de l'éspace imaginaire) والحياة الهوامية لتحويل الإعتداء إلى سيناريو ممكن التّحمل .
- تبنّي نظرة للحياة,مرتكزة على الإحساس بالعدل لإعطاء معنى لكلّ ما يقوم به الفرد.

3) القدرة على إقامة علاقات طيّبة مع المحيط بإقبال , وذلك بالإستعانة ب :

- التعاطف (empathie) ,الإيثار,التّمتع بالرّوح الإنفتاحية.
- روح الإبداع و الإبتكار.
- إمكانية وصف التّجربة الصّعبة المعاشة من خلال إعادة سردها.

6- خصائص الشّخص اللّدن (profil) :

في تفاعل الفرد مع محيطه نجد ثلاث ركائز مهمّة بالنّسبة للّدونة كسيرورة : العلاقة مع الذّات , مع الغير ومع المهارات الشّخصية. تتأثّر هذه الرّكائز بخصائص مرتبطة بكيفية إدراك الأمور, بطبيعة ردّة الفعل اتّجاهها, مراقبة الذّات و طبيعة العلاقة المتبنّاة مع الغير. تهتزّ هذه الرّكائز أمام الظّروف الصّعبة إذ يسلك كلّ شخص سلوكيّات تختلف باختلاف الإصابة (الظّرف) و حسب إدراكه لتلك الإصابة.

تشير "kupfer" (1999) إلى مجموعة من الخصائص المتعلّقة باللّدونة :جينية,بيولوجية,جسدية,نفسية ,معرفية,بيئية , وخصائص متعلّقة بتسيير الإنفعالات أو التّحكم فيها .

-الخصائص النّفسية : إعطاء معنى للحياة,غنى الحياة الروحية (spiritualité) , الإعتقاد بالتّميز عن الغير, الإستقلالية , القدرة على التّحكم الدّاخلي.

-الخصائص المعرفيّة: التّفكير الأخلاقي, القدرة على الملاحظة المستمرّة للذات ورؤيتها بصدق من خلال قوّتها و حدودها , تقدير الذّات ,الفعالية الشّخصية,القدرة على التّخطيط لعواقب الإختيارات الشّخصية, الرّوح الإبداعية.

-الخصائص السّيكولوجية:الفعالية في بيئات مختلفة,القدرة على حلّ المشاكل'التّعاطف و الإهتمام بالآخرين،القدرة و القابلية للّجوء لطلب للمساندة أو الدعم,القدرة على التّمتع بالخصوصية.

-الخصائص الإنفعالية:التّمتع بالنّظرة الإيجابية,التّسيير الحسن للإنفعالات,روح الدّعابة (الفكاهة).

7- الصّدمة واللّدونة:

لارتباط اللّدونة كسيرورة بالّصدمة كعامل مؤثّر مخلّ بالتّوازن النّفسي ,فإنّه من المفيد التّطرّق لتوضيح معنى الصّدمة كمصطلح في إطاره التحّليلي (contexte psychanalytique) حاول (س.فرويد) في " les études sur l'hystérie" صياغة نظرية عن الصّدمة ,مفهوم شهد تعديلات متتالية,لفترات إلى غاية 1939 أين وضّحه في صورته النّهائية في كتاب "l'homme moise".

7- 1- الفترة الأولى من تنظير الصّدمة:

قدّمها "فرويد" في إطار تنظيره للمدرّج الأوّلي (première topique) . بالنّسبة له فإنّ العصاب يتجذّر في الإغراء المبكّر للطّفل من قبل الرّاشد ,يقترح لتفسير ذلك نموذجا من فترتين:

- الفترة الأولى أين يتعرّض الطّفل للإغراء ,يستقبل من خلاله سيلا من الإثارة ,إذ يكون حينها غير قادر على تصريفها و التّعامل معها (الإثارة) ,وذلك لعدم نضجه نفسيا و جسديا.

-الفترة الثّانية : بعد البلوغ يأتي مشهدٌ قد يبدو عاديا ليحيِي إثار ذاكرة لاشعورية ,ينشَّط الموقف المبكِّر (الطّفولي) ليسمح ذلك بظهور إثارة جنسية تفوق في تهديدها دفاع الأنا ليصبح حينها مَرَضيًّا .

كان "فرويد" حينها يرى أن الصّدمة واقع موضوعي ,أي أنّه كان مقتنعا بالطّابع الواقعي الملموس لهذه الإغراءات الجنسية على الطفل، تراجع بعدها عن فكرته هذه ليحلّ الهوام في نظريته محلّ الإغراء الممارس من طرف الرّاشد, حيث أصبح الهوام العامل الصّادم الأساسي في تفسيره للعصاب.

7-2- الفترة الثّانية من تنظير الصّدمة:

ظهر تنظير "فرويد" الأخير للصّدمة في (l'homme moise) سنة 1939 .سلّط الضّوء على الخبرات الطّفولية الصّادمة التي تُصدِّع الأنا محدثة بذلك ضررا نرجسيّا ،من جهة أخرى نسب "فرويد" للصّدمة ازدواجية الآثار أو العواقب :فقد يكون للصّدمة آثار إيجابية من خلال جهود من الفرد بهدف إعادة تفعيلها لإعادة التّعامل معها ،أبعد من ذلك لأجل جعلها واقعا ،حقيقة إعادة الرّبط بين التّمثّلات لتخفيف وقعها (l'élaboration du traumatisme) .وفي المقابل قد يكون للصّدمة أيضا آثار سلبيّة بحيث لايمكن لأي عنصر من العناصر الصّادمة البعيدة عن حيّز الشّعور أن يكون موضوعا للتّذكّر أو التّكرار و بالتّالي لا يمكن التّعامل معها على المستوى النّفسي(impensable) .

تنتج الصّدمة حسب فرويد إذا من تراكم الإثارة التي تُضعِف الوظيفة الوقائيّة (la fonction de pare-excitation) ,كما تنتج حسب "ferenzi" عندما لا تسمح إشارة القلق للأنا بحماية نفسه ، عندما تتجاوز طاقة الفرد المسخَّرة للتّكيف مع الصّدمة قدراته ،إذ قد ينتج عن ذلك حالات من الذّهول ،شلل في التّفكير (كفّ) ،إحتضار نفسي (R.Coutanceau & Al, 2012)

يمكن للصّدمة أن تكون وليدة خطر شديد و معاناة حادّة مرتبطان بحادث عنيف و مفاج إذ يجد الفرد نفسه في مواجهة الذّعر في تجربة من الفوضى و شعور بالفراغ بفعل الإعتداء (agression) وفجائيته ،كما يمكن أن تكون نتيجة للتّعرض المستمرّ و المتكرّر على المدى الطّويل لظروف صعبة، هدّامة (R.Coutanceau & Al, 2012)

7-3- تصنيفات الصّدمة:

أمّا تعدّد الأحداث المسبِّبة للصّدمة و اختلاف طبيعتها ،نجد أنّ هناك تصنيفات قد اقتُرِحت من أجل حصرٍ أوسع لمفهوم الصّدمة،إذ كان أوّل اقتراح (تصنيف) قد وُضِع من طرف طبيبة الأمراض العقلية " léonore terr" ، حيث ميّزت بين الأحداث المسبِّبة للصّدمة استنادا للتّواتر أو التّكرار (fréquence) ودرجة القدرة على التّنبّؤ (فجائي و غير منتظر أو متوقع).

7-3-1- صدمات من الصنف الأوّل :

حوادث فريدة (uniques) ،فجائية وغير منتظرة ،تكون بدايتها واضحة و نهايتها دقيقة وكمثال على ذلك :إعتداء،حادث ما ، إذ تكون الأعراض غالبا : التّكرارية ،التّجنّب، تغيّر في الإدراك المتعلّق بالحياة الخاصّة،بالغير و بالمستقبل.

7-3-2- صدمات من الصّنف الثّاني :

عندما يكون الحادث متنبّأً ،متكرّرا،عندما يكون حاضرا على الدّوام أو عندما يشعر الفرد بتهديد تكرارِه في أيّة لحظة خلال فترة من الزّمن تطول في الأمد . كمثال لذلك الإعتداءات الجنسيّة ،العنف السيّاسي و الحروب.

صدمات الصّنف الثّاني تتميّز باستعمال ميكانيزمات دفاعية مثل الإنكار و الكبت ،التفكّك،التخذر العاطفي و التّماهي بالمعتدي، وفي بعض الأحيان عدوانية موجّهة للذات.

صدمات الصّنف الأوّل تتوافق مع الّصدمات الكلاسيكية المبيّنة من طرف "فرويد" ،بينما نجد صدمات الصّنف الثاني لدى الأطفال ضحايا سوء المعاملة,يلقى هذا التّصنيف من خلال الممارسة العيادية حدودا :

ا/ يمكن أن يكون الحادث وحيدا،فجائيا و محتمل الوقوع ، كمثال على ذلك سائق القطار الذي قد يكون محسَّسا،محضَّرا لمختلف الحوادث المرورية (إنتحار أشخاص،صدم عربات) قد يكون معرّضا للصّدمة حين وقوع ذلك الحادث.

ب- قد يكون الحادث وحيدا ،فجائيا و متكرّرا بانتظام ،حال الشّعوب التي تعيش في مناطق معرَّضة باستمرار للكوارث الطّبيعية .

ج- الأطفال و الرّاشدون ضحايا القمع و التّعذيب ،يجدون أنفسهم غالبا معرّضين للذُّعر بصفة متكرّرة و منتظرة ,كمثال على ذلك الكُرْد المعرّضون للتّعذيب باستمرار و على الدّوام ،حيث تختلف أعراضهم النّفسية عن أعراض صدمات الصّنف الثاني :لا إنكار ،لا كبت و لا تماهي بالمعتدي .

د- الصّدمات الجنسية أين يكون الحادث وحيدا ،مفاجئا و غير منتظر ،أين يحتمل ظهور أعراض الصّنف الأوّل و الثّاني للصّدمات (H.Romano, 2013)

8- اللّدونة و الآليات الدّفاعية:

يلجأ الجهاز النّفسي في محاولته للسّيطرة على القلق إلى الحيل الدّفاعية ،قد يكون هذا اللّجوء إمّا موفّقا أو خائبا بالنّظر لنجاحه في التّغلب على القلق و تحقيق التّوازن النّفسي من عدمه،بين الإستعمال البنّاء و السّلبي للآليات

الدّفاعية نجد أنّ الفرق خلال سيرورة اللّدونة هو قدرة الفرد على الإستعمال الإيجابي واختيار تلك الآليات التي تسمح بمقاومة الصّعاب و الأخذ بزمام الأمور للعيش عنصرا فاعلا في الحياة.

الآليات الدّفاعية التي يلجأ إليها الشّخص اللّدن هي من الآليات الدّفاعية المعتادة الموصوفة بالنّاضجة و نخّص منها بالذكر :

1- الإيثار: (ALTRUISME) : يدفع الشّخص الى تفانيه في مساعدة غيره ,ممّا يساعده على التّخفيف من حدّة التّجارب الصّادمة.

2- التّسامي :يسمح بوضع التّجارب الصّعبة في مستوى روحي ، أخلاقي اجتماعي أرفع لإعطائها معنى إيجابيا.

3- روح الدعابة (humour) : يساعد على التّخفيف من الطّابع الدّرامي للصّدمة و للتّجارب الصّعبة.

هذا ويضاف لهذه الآليات بعض الآليات الدّاعمة كالبحث عن السّند أو الإنتماء (affiliation) من خلال بحث الشّخص اللّدن عن آذان صاغيّة يبيح لها مكنونه ،تجنب الأفكار السّوداوية ،و أحلام اليقظة التي تتيح للفرد فكّ الرّباط مؤقّتا مع الواقع الأليم

9- عوامل الوقاية و عوامل الخطر(الهشاشة):

تلعب عوامل الوقاية و عوامل الهشاشة دورا هامّا في سيرورة اللّدونة،إذ ومن خلال تفاعل هذه العوامل يعيش الفرد بين التّوازن أحيانا و فقدانه أحيانا أخرى.

تتدخّل هذه العوامل وتأخذ مكانا حسّاسا في توجيه مصير المحن و الشّدائد ، وذلك من خلال زيادة او تعجيل الآثار السّلبية بفعل عوامل الهشاشة أو على العكس من ذلك من خلال الحدّ من آثار التّهديد أو الخطر و توجيه هذا الأخير إيجابيا بفعل عوامل الوقاية.(G.Koninckx & G.Teneau, 2010)

تتفاعل هذه العوامل بينها تفاعلا ديناميكيا إذ أنّها ليست صفة ثابتة ،قد يكون مصدرها داخليا أو خارجيا أو مزيجا من كليهما ،فإما أن تكون ذات علاقة بالجانب النفسي،البيولوجي ،الإجتماعي،الروحي،البيئي أو جمعا بين كل هذه العوامل.

من الصعب التّنبؤ الدّقيق و السّببي بتأثير أو عواقب عوامل الهشاشة ،إذ إنّ عامل الخطر يأخذ أهميته من الخصائص الشّخصية للفرد،من محيطه إجمالا ،ومن مرحلة النّمو في كلّ فترة ،بالإضافة إلى أساليب الحماية التي يلجأ إليها الفرد.قد ينتج عن تفاعل عوامل الخطورة و الوقاية نتائج تخص كلّ فرد على حدى ،الأمر الذي يفسّر تفاوت ردّات الفعل و الإختلافات الفردية في مواجهة مواقف قد تبدو متشابهة.

قد يكون العامل عامل خطر في مواقف أو وضعيات،و عامل وقاية في وضعيات أخرى،يأتي دور الخصائص الشّخصية للفرد لتحدّ أو تزيد من تأثير صعوبة الموقف و شدّته .

9-1-عوامل الوقاية :

عوامل الوقاية مهمّة لسيرورة اللّدونة و ذلك من خلال تغلّبها على عوامل الخطر بخفض خطر التّفكك أو الإنهيار و الحدّ من وطأة الصّدمة. (B.Cyrulnik & Al, 2012)

"FERGUS " و "ZIMMERMAN" (2005) ميّزا بين الأصول و الموارد (actifs et ressources) . فالأصول هي عوامل الوقاية المتأتّية من الفردانية (قدرات تكيفية ،مهارات،صفات شخصية ....) أمّا الموارد فهي كل ماهو خارجي عن الفرد :السّند العائلي و المجتمعي ،الإنخراط في المحيط و دور الزّمالة الفعّال.

هناك ثلاث محاور أساسية لعوامل الوقاية (اللّدونة): عوامل فردية ،عوامل عائلية، وعوامل بيئية أو محيطية .

9-1-1- عوامل الوقاية الفردية:

قد تكون الكثير من السّمات الشّخصية من عوامل الوقاية،نذكر منها : الجاذبية أو الهيئة (الكاريزما) ،فهم الذات،الحزم،تقدير الذّات،حبّ الذّات،الثّقة في النّفس،النّظرة الإيجابية،المرونة،روح الدّعابة،الإستقلالية،روح المبادرة،التفاؤل،المثابرة،المسؤولية ،الإجتماعية، المزاج المرح و الإنفتاح على الغير،التّعاطف . (G.Koninckx & G.Teneau, 2010).

المهارات الإجتماعية و العلائقية،القيم و الإعتقادات (الثّقة و الإعتقاد بوجود مخرج ،غد أفضل رغم الشّدائد ،إيجابية الإنفعال،بنائية الآليات الدّفاعية ،حسن التّوظيف الإنفعالي و العقلي) ،كل هذا يعتبر من عوامل الوقاية الخاصّة بالفرد ذاته (عوامل داخلية).

9-1-2- عوامل الوقاية العائلية: أو الجوارية ،تلقّي جرعة كافية من الحبّ و الدفء العاطفي خلال الطّفولة ،الإستناد لدعم عائلي و الإنتماء إلى عائلة موحَّدة.

9-1-3-عوامل الوقاية البيئية أو المحيطية : الدّعم المتأتّي من جماعة أفراد من خارج الدّائرة العائلية (مدرِّس،مدرِّب،صديق.....) ،وجود مؤسّسات و تنظيمات تفتح مجال التّعاون،التّضامن والإستقلالية (جمعيات، جماعات ثقافية ...) (Koninckx & Teneau, 2010)

9-2- عوامل الخطر (الهشاشة):

الهشاشة أو الخطر هنا هو احتمال حدوث ضرر أو خسارة ،إحتمال التّعرّض لخطر أو حدوث اصابة (Anaut, 2003,)

تراكم عوامل الهشاشة يعدُّ مصدرا للخطر مقارنة بعامل منعزل،فالتّعرض لهذه السّلسلة من العوامل يهدِّد التّكيف ،كما هو الحال بالنسبة لعوامل الوقاية.

مثل عوامل الوقاية،تنقسم عوامل الهشاشة إلى ثلاث محاور: الفردية (الشّخصية) ،العائلية و المحيطية أو البيئية .

9-2-1-عوامل الخطر المتعلقة بالفرد (الشّخص) :

إستشفاء الرضيع حديث الولادة و مرضيّته المتكرّرة قد تحيد انتباه الوالدين عن حاجاته العلائقية باتجاه هذه الاصابات الجسدية (K.Gueniche, 2002) .قد تنقص الإعاقة من تقدير الشّخص لذاته لتُشعره بالتّهميش و احتقار الذّات. المزاج الخاضع و المنبطح،تجارب الرّفض و الإقصاء السّابقة و الآنية ، التّفريق المبكّر، الإكتئاب و أزمات الهويّة..... كلّ ذلك يعدُّ من عوامل الهشاشة أو الخطر.

اللّجوء إلى دفاعية مرضيّة ،صلبة و غير متكيّفة يعدُّ أيضا من عوامل الهشاشة المتعلّقة بالفرد (M.Anaut, 2003)

9-2-2-عوامل خطر عائلية :

أحداث صادمة تهزّ حياة الأبوين و ذلك على دراية و إدراك من الطّفل،التّعرّض للعنف داخل العائلة،كحولية، تغيّر مفاجئ و غير منتظر في أسلوب حياة العائلة ،التّرحال الدّائم (Blackburn & Cottraux, 2011) ،الطّلاق ،وفاة أحد الأبوين أو كليهما، الإختلاف الدّائم،المرض المزمن لأحد الأبوين (إكتئاب ،مرض عقلي...) (Guehl, 2003) ،إضافة إلى الإضطرابات النفسية للأمّ ، و العيش مع أبوين مسيئَيْن في المعاملة (C.Chiland, 1989)

9-2-3-عوامل خطر محيطية أو بيئية :

" S .ROUSSEAU "(2003) يرى أنّ العوامل الإجتماعية البيئية أو المحيطية بإمكانها أن تضاف لعوامل أخرى لشلّ قدرة الفرد على المقاومة و التّكيف: الفقر،الوضع الإقتصادي المتردّي،العيش في بيئة محرومة أو هشة ، كل ذلك من شأنه المساس أو التّأثير على تقدير الفرد لذاته ، إضافة إلى فقدان العمل و الفترات الممتدّة من البطالة.

يبقى تهديد عامل خطر واحد ضئيلا في إضعاف قدرة الفرد على التّكيف و تحدّي الشّدائد ،وإنما الخطر كلّه في اجتماع عدّة عوامل خطر.

10-اللّدونة و المدرسة :

اللّدونة المدرسيّة هي النّجاح أو التّفوق في الدّراسة عكس تنبّؤات المحيط بسبب وجود عوامل تمنع ذلك التّفوق أو النّجاح. المدرسة شأنها شأن الأسرة ،دورها مهم في دعم و تطوير اللّدونة لدى الأطفال ،وذلك من خلال توفير جو علائقي يساعد الطّفل على تحقيق الإنتماء و تعزيز تقديره لذاته :علاقة مع الأقران،تواصل مع المدرّسين .

تؤكد "M.ANAUT" (2006) في هذا السّياق أنّ المدرسة بإمكانها أن تكون ركنا للّدونة لأنّها تعتبر كمنبع يتيح للطّفل التّزوّد من الرّوابط (العلاقات) نفسيا و عاطفيا مع مختلف الفاعلين.

تسمح المدرسة للطّفل من خلال طبيعتها التّنظيمية بإدراك معنى الإنضباط ،بتوجيهه أهدافه المستقبلية ، كما تتيح له تطوير قدراته المعرفية ،النّفسية و الإجتماعية ،كما تسمح له تجربة النّجاح أو التّفوق باكتشاف و استثمار أعمق لمهاراته ،وتعزّز لديه الثقّة بالنّفس و تقدير الذّات .

يلعب الفاعلون في المؤسّسة التّربوية و التّعليمية دورا بالغ الأهمّية في البناء النّفسي للطّفل من خلال توفيرهم لنماذج تقمّصية للأطفال ،معوّضين بذلك –في أحسن الظّروف- التصدّع الذي خلّفه طلاق الأبوين .

11-معايير اللّدونة:

خلال مرحلة الطّفولة و تحديدا أثناء مرحلة الكمون،يمكن الحديث عن اللّدونة لدى الطّفل بغياب أيّة أعراض جسدية ،سلوكية أو عقلية ،إظهار إجتماعية (sociabilité) مقبولة، والقدرة على متابعة التّعليم و التّحصيل المدرسي بنفس وثيرة فئته العمرية على الرّغم من الظّروف الصّعبة (الصّادمة).

لتشخيص اللّدونة،هناك مستويات : مستوى يتعلّق بذاتية الباحث (إختياره) من خلال استناده للملاحظة و العلاقة المباشرة أو غير المباشرة للطّفل مع الأخذ بعين الإعتبار بتعدّد أبعاد اللّدونة ، مستوى آخر و هو الطابع الدّاخلي (النّفسي) أو الخارجي ، و مستوى ثالث بالإعتماد على عدد المؤشّرات المتعلّقة باللّدونة . "LECONTE " (2002) يَستحسن أو يقترح اختيار اثنين كحل أوسط ،لأنّ اختيار مؤشّر واحد يُعتبر اختزالا للّدونة كسيرورة و تغاضيا عن نمو الطّفل أيضا كسيرورة، واختيار ثلاثة مؤشّرات يُعتبر في الجانب الآخر تهميشا للّدونة .

من المهم أيضا تقييم مدى مرونة التّوظيف العقلي للفرد (طفلا كان أم راشدا) وبالخصوص قدرته على حلّ الصّراعات و التّعامل مع الإستثارة الدّاخلية المتولّدة عن الصّدمة – غنى دفاعيته- و في هذا الصّدد فإنّ التّقنيات الإسقاطية و بالأخصّ اختبار (الرّوشاخ) أبانت عن مدى أهميّتها و غناها في ذلك . (Tychey & J.Lighezzolo, 2004)

12-وصيّ اللّدونة :

العوامل التي تسمح بتفعيل سيرورة اللّدونة لدى أيّ طفل إنّما هي عوامل ليست بالخارقة، فإذا شعر الطّفل أنه منخرط في صلة عاطفية (محبوب) مع أحد الرّاشدين في محيطه ضمن إطار قواعديّ منظِّمٍ (cadre structurant) مع الشعور بانّ هناك معنى (قيمة) لحياته و ما يعيشه من ظروف ، فتلك هي و بكلّ بساطة أهمّ عوامل اللّدونة. سمّى "Jacques Lecompte" (2004) هذه الأركان بمثلّث اللّدونة ، إثنان يتعلّقان بالراشد أي بوصيّ اللّدونة و واحد يتعلّق بالطّفل.

يُجمِل "J.Lecompte" (2004) صفات وصيّ اللّدونة في الخصائص التّاليّة:

1- القدرة على نسج رابطة مع الآخر :

- إظهار قدرٍ من التّعاطف و الوجدان.

- تركيز الاهتمام بالجونب الإيجابيّة للآخر.

- عدم اليأس أمام إخفاقات الغير الظّاهريّة (العرَضِيّة) .

- إحترام إيقاع الغير فيما يتعلّق بسيرورة اللّدونة.

- تعزيز تقدير الذّات للآخر.

- تجنّب الإفراط في المجاملة التي تحمل في عمقها أذى للآخر.

2- إرساء معالم واضحة في أطار قواعدي متأرجح بين الصّرامة و اللّين .

تطرقت "Dolto" (1984) إلى أهمية الرّابطة العاطفيّة كشرط في سيرورة اللّدونة من خلال توفير نموذج تقمّصي واضح.ذكرت بعض الصّفات التي ترى توفّرها ضروري في وصيّ اللّدونة :الاجتماعيّة (sociabilité)، الرّغبة في التّواصل، الإستقلاليّة و روح الدّعابة (humour) إضافة إلى القدرة على التّعبير على مواساة الطّفل المنغمس في الدّوامة (ظروف صعبة،صدمة.....) (Lighezzolo & De Tychey, 2004, pp. 81-82). يشير كل من " Manciaux و Cyrulnik" إلى وجوب التّمييز بين مصطلحين مختلفين يأخذهما الكثير على أنّ لهما نفس الدّلالة : وصيّ النّمو و وصيّ اللّدونة (tuteur de résilience et tuteur de développement) ،يؤخذ الأوّل في سياق الوظيفة المغطذاة من قبل النّموذجين الأبويّين ، بينما يؤخذ الثّاني

بمعنى توافر كل النماذج المحيطة بالطّفل حين يعلن النموذجان الأبويّان عن فشلهما (défaillance).يشير الباحثان في نفس السّياق إلى أن لا أحد بإمكانه ادّعاء بأنه وصيّ للّدونة و إنما تأتي هذه الوصاية بجهد،حين نتمكّن من إقناع الآخر و بإشعاره بأنّ له موارد (on ne s'autoproclame pas tuteur .....on le devient lorsqu'on arrive à rendre l'autre conscient qu'il a des ressources). (Lighezzolo & De Tychey, 2004, p. 81)

حصرا للأمر و تبسيطا للرّؤى، نتبنّى خلال بحثنا هذا ما ذهب إليه "J.Lecompte" فيما يخصّ صفات وصيّ اللّدونة: القدرة على نسج رابطة علائقيّة و القدرة على إرساء معالم واضحة في إطار قواعد تتراوح بين الصّرامة و اللّين تتيح للطّفل السّير في منحى لا يحيد عن السّبل التّكيّفيّة المقبولة إجتماعيًّا.

خلاصة:

تُعرّفُ اللّدونة على أنّها سيرورة تسمح للشّخص بالرّقي و الإبداع في مجال معيّن أو عدّة مجالات من جالات الحياة بعد الصّدة أو في ظلّ ظروف قاهرة،هي ليست مجرّد عمليّة تكيّف ،بل يفوق الأمر ذلك كإعلان عن حالة من الرّغبة في التّحدي و الإنجاز.

تعتبر اللّدونة سيرورة ديناميكية ، لا نتيجة و لا سمة شخصيّة ،فقد يكون الشخص لدنا ظرف ما و يفشل في ذلك عند ظروف أخرى؛ يعني ذلك أنّها عمليّة حركيّة تطوّريّة بنائيّة تكون نتاجا للتّفاعل بين التّوظيف النفسي للشخص مع محيطه بتداخل عوامل شخصية (فرديّة) ،عوامل عائلية و أخرى بيئية (محيطيّة).

لا يمكن الحديث عن اللّدونة إلّا بتوافر عنصر الصّدمة والسّلامة من الأعراض المرضيّة نفسيّا و جسديا إضافة إلى تلمّس الرّوح الإبداعية بعد الصّدمة. يمكن للصّدمة أن تكون وليدة خطر شديد و معاناة حادّة مرتبطين بحادث عنيف و فجائيّ إذ يجد الشّخص المصدوم نفسه في مواجهة الذّعر في تجربة من الفوضى و شعور بالفراغ بفعل الإعتداء و فجائيّته، كما يمكن أن تكون نتيجة للتّعرّض المستمرّ و المتكرّر على مدى طويل لظروف صعبة هدّامة.

يعتبر وصيّ اللّدونة شحصا مهمّا يلهم الشّخص اللّدن طفلا كان أو راشدا في عمليّ مرافقةٍ نفسيّة علائقيّة و اجتماعيّة،إذ يتميّز هذا الوصيّ بصفتين أساسيّتين هما القدرة على نسج رابطة علائقيّة توفّر جوّا من الدّفء و بالموازاة مع ذلك القدرة على إرساء معالم في إطار قواعدي قيّمي لتوجيه الطّفل سلوكيّا و معرفيّا و السّماح له بإعطاء معنى للحياة من خلال التّمكّن من تبنّي أهداف محدّدة .

الطّـفل و المـدرسـة

- تمهيد
- الطّفل و الطّبع
- الفضاء التّخيّلي (l'éspace imaginaire)
- الطّفل خلال مرحلة الكمون
- التّعلُّق،عوامله و مآلاته
- التّعلّق و الفضاء التّخيّلي
- الآليّات الدّفاعيّة خلال مرحلة الكمون
- الطّفل بين الأسرة و المدرسة
- الطّفل و المدرسة
- خلاصة

" L'école devrait toujours avoir pour but de donner à ses élèves une personnalité harmonieuse, et non de les former en spécialiste "

" *Albert Einstein* "

تمهيـــد:

مصطلح "طفل- enfant" مشتقّ من اللّاتينية "infantis" ومعناه " لا يتكّلم " أو الغير قادر على الكلام.حمل هذا التّعريف نوعا من السّلبية التي كان يُنظر بها للطّفل آنذاك .إبتعدت المجتمعات المعاصرة عن تلك النّظرة الإقصائية السّلبية تجاه الطّفل ،إذ أصبح يعتبر كيانا له مكانته في المجتمع منذ ميلاده بل وحتى قبله، فبعدما كان يوصف بغير القادر على الكلام أصبح مفهوم الطّفولة مرادفا للبراءة و النّعومة.

قانونيا ،ولأمور تنظيمية يُعتبر الطفل كلَّ شخص يقل عمره عن 18 سنة ،و في علم النفس تُعرّف الطفولة كمفهوم لوصف كل من لم يصبح بعد قادرا على تحمل مسؤولياته تجاه ذاته واتجاه غيره،كل من لم يُحقّق إستقلاليةً على المستوى العلائقي.

الطفل فيه شيء من الطبيعية و الثقافة ،تمازج بين جسد يعيش في مجتمع ،هو الفرد وبه تبنى الجماعة، يمنحه التحليل النفسي جهازا نفسيا خاصّا يتأثر و بشدةٍ بتربية الآباء و يضم صراعات نفسية مبكرة ،كما تعزى إليه جنسية مبكرة أيضا .يعيش هذا الطفل حالات من المتعة ،الشهوانية و الثقة أو الطمأنينة ،كما يعيش القلق والضيق والكره أو الحقد.

يحتاج الطفل لدعم و مساعدة الراشد من حوله ليكتمل نموه،أو بعبارة أصح ليبلغ درجة من التطور تسمح له بالإستقلالية ،يتميز بالمرونة .فبإمكانه العيش في عائلة أحادية أو ثنائية الأبوية،وبإمكانه حتى التأقلم مع أبوين متبنِّيَين.

1- الطفل و الطبع :

يعرفه "ALLPORT" (1973) على أنه مجموع الخصائص المميزة للطبيعة الإنفعالية للفرد ،بقول آخر هو القابلية للمثيرات أو الإستثارات الإنفعالية ،هو القدرة على الإستجابة و مدى سرعتها،هو طبيعة المزاج السائدة.

يعرفه كل من "THOMAS & CHESS" (1977) كأسلوب توظيف نفسي كما قاما بإحصاء تسعة عناصر أو خصائص مكونة له، نذكرها كالتالي :

1- مستوى النشاط الحركي : يقصد به نسبة النشاطات خلال اليوم ,فترات نشطة و أخرى غير نشطة ،كما يرجع أيضا إلى مستوى النشاط الحركي كالإستحمام،تناول وجبة الغذاء،اللعب .....الخ.

2- الإيقاعية أو انتظام الوظائف البيولوجية (rythmicité) : يتعلق الأمر هنا بإمكانية التنبؤ من عدمها لمختلف الحاجيات و الإيقاعات البيولوجية (تنظيمها) : الغذاء،النوم وباقي الحاجات الطبيعية الأخرى .

3- الإقبال أو الإنسحاب (approche ou retrait): يخص ذلك ردة الفعل الاولى امام وضعية جديدة ،كانت غذاءا ، لعبة أو شخصا.يعبر عن الإقبال بمزاج إيجابي (humeur positive) (إبتسامة،إصدار أصوات أو ألفاظ)،أو بسلوك حركي (محاولة إدراك لعبة....) .يعبر عن الإدبار أو الإنسحاب بانفعالات سلبية (بكاء،صراخ ،تعبير وجه يعبر عن الإشمئزاز)، أو من خلال سلوكات حركية تجنبية (إظهار عدم الرغبة في التواصل مع شخص مجهول ،أو دفع شيء لإبعاده).

4- الميل للتكيف (l'adaptabilité):

يتعلق الأمر بقدرة الطفل على التكيف مع التغيير ،بمدى استطاعته على تعديل سلوكه من أجل التكيف مع الوضعيات الجديدة .

5- عتبة الإستجابة الحواسية (le seuil de réactivité sensorielle) :يقصد بذلك مستوى أو شدة الإستثارة الخارجية اللازمة لإحداث ردة فعل هامة من قبل الطفل (ضجيج يدفعه للبكاء،شدة إنارة تتسبب في وهج لدى الطفل (éblouissement).

6- شدة أو كثافة ردة الفعل (l'intensité des réactions) :لا يتعلق الأمر هنا بشدة الإستثارة الخارجية ،وإنما بردود فعل الطفل : مثال على ذلك ،الطفل الذي يريد طعاما ما غير متوفر آنيا ،أيلجأ لتجنبه بسبب عدم توفره أم إنه سيدخل في أزمة نرفزة (crise de colère) طلبا لإحضاره ؟؟

7- نوعية أو طبيعة المزاج (qualité de l'humeur): يعزى هذا العنصر نسبة ردود الفعل الإنفعالية الإيجابية مقابل السلبية :الفرح ،مختلف السلوكات الدالة على الإنفتاح في مقابل البكاء،الغضب ..... .إضافة إلى الطابع الذي يميز الطفل في غالب الأوقات ،أهو راض عموما أم متوتر و محبط ؟؟

8- القابلية لصرف الإنتباه (la distractibilité) : قابلية صرف انتباه الطفل و تركيزه على نشاطه الآني من خلال تعرضه لمثيرات خارجية :كأن يتخلى الطفل عن قنينة الحليب التي لطالما انتظرها في مقابل رؤيته للعبة ما .

9- مدة الإنتباه أو المثابرة (durée d'attention ou de persévérance):

يتعلق الأمر بالمدة التي يستغرق الطفل خلالها في الإهتمام أو التركيز على نشاط ما:هل بإمكانه الإحتفاظ بنفس اللعبة طويلا أم إنه سريع الملل و لسرعان ما ينتقل لنشاط اخر او لعبة اخرى .

على الرغم من اعتبار المزاج كتعبير لآليات عصبية-بيولوجية (neurobiologiques) ،نجد أن كثيرا من الباحثين منهم "THOMAS & CHESS" يوليان أهمية للحياة الجنينية ولتأثير البيئة على تعديل المزاج أو على الأقل تعديل الخصائص المزاجية المذكورة سابقا . (V.Quartier, 2010)

2- الفضاء التخيلي (l'éspace imaginaire):

يبدأ تكون الفضاء التخيلي خلال الحياة الجنينية (Tychey C. , 2001) ،تهتم عدة بحوث بتبيين تأثير العاطفة و الإنفعال على جسم الرضيع (J.Bergeret & M.Housser, 2004) .يشير "B.CYRULNIK" في كتابه (les nouritures affectives) إلى مهارات الجنين (رؤية،شم،سمع،حركات....) ويرى بأن العالم الأول للجنين هو عالم التمثلات المنظمة التي تدور حول مشاعر (إنفعال) اللذة و الألم.

يبدأ تكون الجهاز النفسي مبكرا ،وذلك منذ بداية العلاقة (أُم-جنين) ،بحيث يُنظم الجنين عالمه المدرك من خلال عاطفة (مشاعر) الأم المنقولة إليه عبر القنوات الحسية ،إذ تعطى أهمية كبيرة للردود الإنفعالية للأم خلال هذه الفترة لما لها من تأثير على التغذية الحسية للجنين ،فهو يرثها منها و يتأثر بها .

المرافقة قبل الميلاد و بعده تحفز نمو علاقات عاطفية بين الأم و الأب و الطفل أو الجنين من خلال خلق علاقة حميمية ،فالأم هي مصدر للحنان و الدفء العاطفي و للأب فيما بعد دور المنظم،المفرِّق من أجل الإستقلالية ، وكذا دور الحامي (protecteur) لدعم تعزيز الثقة في نفسه و في محيطه.

حسب "C.DOLTO" فإنه من الممكن الحديث عن التعلق قبل الميلاد وذلك في إشارة إلى علاقة عاطفية مبكرة . إن الفضاء الإنتقالي (l'espace transitoire) منذ الولادة مهم وذلك بتثمين و إثراء (enrichissement) التمثلات المسجلة في الفضاء التخيلي ،هذا الأخير ينشأ كوسيط بين الحقيقية الداخلية و الواقع الخارجي ،حيث يساهم في جعل كل من هذين الجانبين منفصلين و متصلين في نفس الوقت كضرورة تكاملية للسير النفسي المتوازن.

يكون للرضيع شعورا وهميا (illusion) بأن ثدي الأم إنما هو امتداد له وذلك جراء تكيف الأم لمطالبه و تسخير نفسها لرعايته ،بهذا يرى نسه واهما قادرا على كل شيء (omnipetent) بقدرته على خلق الأشياء و استغلالها ,يلي ذلك مرحلة أخرى تتمثل في خلق الأم لإحباطات تجعل الرضيع يرى بأنّ قوته تلك غير دائمة ،فمن خلال هذه السيرورة (وهم بالقوة المطلقة – خيبة أمل) والتي تعتبر مقدمة للفطام سيسمح لهذا الفضاء – وبمساهمة من الأم الطيبة نسبيا- باستدخال اللعب و المشاركة الثقافية كعناصر جديدة .

خلال هذه المرحلة من العمر دائما ،يبدأ الرضيع باستدماج أو استدخال مواضيع إلى مخططه الذاتي ،إذ يسمح ذلك بإيجاد دعامة في الواقع (objet transitionnel) ،هذه المواضيع الإنتقالية تجد منشأً لها في العلاقة بين الطفل و الأم ولاعلاقة لها بالوهم ،إنما من الواقع المعاش.

يمثل الموضوع الإنتقالي همزة وصل بين الطفل و الأم ،ويكون كدفاع ضد القلق و الإكتئاب (أثناء التفريق،حين النوم.....) . الظاهرة الإنتقالية هذه عبارة عن محاولة للتوحيد و التواصل ،زيادة على ذلك تعد الظاهرة الأولى للطفل لخلق أو تصور الموضوع ،أي القدرة على الترميز .

يولي "D.WINNICOTT" دورا بالغ الأهمية للتفاعلات المبكرة وخاصة بحضور الأم الطيبة ،إضافة إلى محللين نفسانيين (S.FREUD , A.FREUD ,BION ....) إذ يولون نفس الأهمية لدور الأم في النمو النفسي للرضيع سواءا تعلق الأمر بالرعاية الجسدية المباشرة أو المبادلات (التفاعلات) اللغوية وحتى النشاطات المتعلقة باللعب و المرح (échanges linguistiques et ludiques) .

3- الطفل خلال مرحلة الكمون :

مرحلة قلما اهتم الباحثون بها مقارنة بمرحلة المراهقة و بالمرحلة السابقة لها (القضيبية) ،وهذا راجع بكل تأكيد لاعتبارها مرحلة هدنة نفسية –عاطفية–جنسية عكسا للمرحلتين اللتين تجاورانها (الأوديب و المراهقة). (Arbisio-Lesourd, 2007)

هي فترة أو مرحلة سلام ،وقمع للنزوات الجنسية و العدوانية ،يستعمل الطفل خلالها طاقة هذه النزوات بطريقة مختلفة ،يحولها لاهتمامات إجتماعية ،يميل إلى التعلم سواءا تعلق الأمر بالتعلم الأكاديمي في المدرسة أو تعلم أنشطة إجتماعية بالمعنى الواسع . (arbisio-christine, 2002)

إستدماج قوانين الأنا الأعلى في أواخر المرحلة الأوديبية يسمح للطفل بتوسيع دائرة اتصالاته،موفرا بذلك عددا من المعالم ،نظاما من القواعد ،إذ يتمكن بفضل ذلك من مواجهة مختلف الوضعيات الاجتماعية ,

من الشائع أن الطفل في هذه المرحلة الهادئة ظاهريا يحول طاقته الجنسية لطاقة إجتماعية،لكن هذا لا ينفي ظهور أعراض تأتي للتعبير عن معاناة نفسية متجذرة في المراحل السابقة من الطفولة .تمثل الفحوص النفسية للأطفال في سن التمدرس أكثر من نصف الفحوصات الخاصة بالأطفال،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الدخول للمدرسة جعل بعض الصعوبات التي كانت غير ملاحظة في الوسط الأسري تطفو للسطح ،يدل أيضا على أن هذه المرحلة الموصوفة بالهدوء حساسة وصعبة .يكون هذا القمع للنزوات الجنسية –الضروري للتكيف مع الحياة الإجتماعية– مصدرا للعصابات عند الطفل و حتى الراشد لاحقا ،وأخطر هذه العصابات عند الطفل خلال هذه المرحلة هي الكف العقلي (l'inhibition intellectuelle)إذ قد تكون العواقب وخيمة .

تعد مرحلة الكمون مهمة لغنى الحياة النفسية و العلائقية للطفل خلالها،وإذا كانت التظاهرات النفسية خلالها غير ظاهرة فهذا لاينفي وجودها ،إذ يكون من المهم تحسسها والأخذ بعين الإعتبار لعواقبها قبل تفاقم الوضع مع قدوم أزمة المراهقة .

تعد هذه المرحلة فترة تحول الجهاز النفسي ،إذ تشهد تحولات نوجزها في التالي :

- تطور الآليات الدفاعية للأنا .
- إستثمار الكبت في الصراع الأوديبي.
- بروز الدور القيم للأنا الأعلى و تشكل مثال الأنا.
- إستدخال الممنوع الأبوي كعنصر بنائي.
- الإستثمار العاطفي (العلائقي) الموجه بالأساس لجماعة الأقران.
- إستثمار التسامي.
- فك الإرتباط تدريجيا بالمنزل (العائلة) و اتساع المحيط أو الحيز العلائقي للطفل.

4- التّعلّق،عوامله و مآلاته:

يلاحظ جليا فرق بين الأطفال من حيث نوعية تعلق كل واحد منهم ،فمنهم من يطور تعلقا لآمنا ومنهم من يطور تعلقا غير آمن .عوامل عديدة تسهم في انتاج التعلق كسيرورة ،إذ نجد أهمها : الطبع، الحالة العاطفية (l'état émotionnel) للطفل ونوعية العلاقة "والد-طفل" ،يضاف إلى ذلك عامل لايجب اهماله :التعلق بعدة اوجه (أشخاص) من محيط الطفل (غير الأبوين).

4-1-العوامل الفاعلة في سيرورة التّعلق :

4-1-1-تأثير الطبع : إختلفت آراء الباحثين حول دور الطبع في التعلق ،بحوث توضح أن درجة الإحباط ،مقدار أو حجم بكائية الطفل ،إنفعاليته وخوفه ،كلها عوامل تنبؤ عن التعلق (G.Kochanska, 1977)

لمظاهر الطبع على سلوك الأبوين تأثير على التعلق ،سلسلة من الدراسات في هولندا أفضت إلى أن طبع الطفل الصعب له علاقة سببية مع تطور التعلق الغير آمن (Pierrehumbert, 2007) ، من جهة أخرى يرى "CHOUTIER & AL" (2005) التاثير حاسم للطبع خاصة إذا عرف الآباء أو أحسنوا التكيف مع طباع أبنائهم ،أو إذا توفر لهم سند أو معين في محيطهم ،في السياق ذاته أوضحت دراسات أن أمهات الأطفال ذووا الطباع الصعبة و اللواتي يتمكن من الحصول على سند من خلال نصائح و توجيهات من طرف مختصين حول كيفية التعامل مع الطفل و تهدئته ،فإن فرصتهن في توفير تعلق آمن تكون أكبر.يمكن القول إذا أن الطبع الصعب بإمكانه التأير سلبا على نوعية التعلق (type et qualité) إلا إذا تمكنت الأم من التكيف معه بمساعدة من المحيط القريب أو من المختصين (Rothbart & AL, 2000)

4-1-2-تاثير الأبوين :

كما هو الحال بالنسبة للطبع ،فإن شخصية (طبع) الأبوين لها أثر كبير على نوعية التعلق بما أن الطفل تابع لهم علائقيا ،ينهم منهم و لايستطيع اشباع حاجاته إلا بوقوفهم و مساعدتهم ."M.AINSWORTH & AL" (1978) أحصت من خلال بحوثها اختلافا في طرق ممارسة الأمومة (modes de maternage) ،وبالتالي اختلافا نابجا في نوعية التعلق.فالأمهات اللواتي وفّرن تعلقا آمنا كنّ في استماع دائم لرضعهن خلال السنة الأولى من الحياة ،كُنَّ يراعين بحرص طلبات رضعهن المتعلقة بالغذاء ،باحترام إشارات الرضيع الدالة على وقت التوقف عن الرضاعة مثلا ،واحترام الإيقاع الخاص به (سريع،بطيء). بقول آخر فإن هذه الأمهات كن يتمتعن بحس لتأويل رسائل أطفالهن و الإستجابة لها بطريقة مناسبة ،قد يظهر هذا الحس عند الآباء من خلال نشاط اللعب أو أي نشاط إبداعي .جاهزية الأب هذه واستعداده تكون من خلال حسن استثارته و الوقوف على حاجاته الضرورية (Cloutier & Al, 2003)

4-1-3-العوامل الأخرى المرافقة (contextuels) كعمل الأم مثلا ،وموقفها من ذلك (عملها) ،قد يكون له تأثير على نوعية التعلق .بينت دراسات بأن قلق الأمهات البعيدات خلال مدة عملهن عن رضّعهن البالغين (08) أشهر يسهم في بسط أرضية خصبة للتعلق الغير آمن من النوع التجنبي (Stifter, Coulehan, & Fish, 1993)

4-2-مآلات التّعلّق:

يؤثر التعلق على المهارات العاطفية،المعرفية و الإجتماعية للفرد،وعليه فكلما توفرت للطفل أرضية تعلق آمن كلما كان من السهل عليه مستقبلا توسيع دائرة العلاقات النقية ،فالأطفال الذين يعيشون تعلقا آمنا لا يحتاجون البقاء طويلا مرتبطين بأمهاتهم ،بل يبحثون عن الخوض في تجارب جديدة و حل مشاكل قد تعترضهم بطرقهم الخاصة،هم يتمتعون بنظرة إيجابية للعلاقة مع الغير.

دراسات طولية عدّة بينت استمرار تجربة التعلق خلال الطفولة. لاحظ "HAMILTON" (2000) أن **72%** من أطفال أعمارهم (18) شهرا يحتفظون بنفس طبيعة التعلق لغاية سن المراهقة.دراسة أخرى على (70) رضيع أعمارهم (15) شهرا يعيشون تعلقا آمنا مع أمهاتهم بينت أن هؤلاء الأطفال أظهروا لاحقا درجة منخفضة من التوتر أمام أشخاص قدموا لهم الرعاية ،في مقابل أطفال عاشوا تعلقا غير آمن (Ahnert & Al, 2004)

تظهر هذه التجارب أهمية التعلق و تأثيره على العلاقات الشخصية مستقبلا .

على مستوى العلاقات الإجتماعية ،أجريت ملاحظات على أطفال من مختلف الأعمار خلصت إلى أن اللذين يعيشون تعلقا آمنا مقارنة بأولئك الذين يعيشون تعلقا غير آمن (النوع التجنبي أو المتناقض) هم أكثر اجتماعية وشعبية بين أقرانهم ،يتكيفون بسرعة مع الحياة الإجتماعية (Goldberg, 2014)

جليّ أن التّعلق الآمن يحضّر الطّفل للعلاقات الودّية و حميميتها.دراسات بينت في هذا الصّدد أن الأطفال الذين يعيشون تعلقا آمنا لهم معجم لغوي غني و متنوع مقارنة بالأطفال الذين يعيشون تعلقا غير آمن (MEINS, 1998)، يظهرون كثيرا من الإهتمام و المهارات ،متعاطفين و ثقتهم بأنفسهم واضحة (Elicker, Englund, & Sroufe, 1992)، لديهم تقدير عال لذواتهم،أقل لجوءا للعدوانية ،مثابرين و مجدّين في تنفيذ مختلف الأشغال (Cloutier, 2003)

في المدرسة و خلال سن المراهقة ،يميل الأطفال الذين يعيشون تعلقا آمنا إلى بناء روابط و علاقات قوية و ثابتة .كما أن التعلق الآمن يؤثر على نوعية تعلق الراشد من خلال علاقته بالشريك (Simpson & Al, 2007)

من جهتهم،يلاقي الأطفال الذين عاشوا تعلقا غير آمن في العادة مشاكل على المدى الطويل فيعانون الكف ،يشعرون على الدوام بمشاعر سلبية ،غضب ،عدوانية واضحة و طوال الوقت (Scroufe, 1983). من جهة أخرى نرى أن الأطفال الذين عاشوا تعلقا مضطربا (غير منتظم) يظهرون اضطرابا في السلوك بالمدرسة ومشاكل عقلية مع بداية سن (17) (Carlson, 1998)

تجدر الإشارة في الأخير إلى أنه و في حال فشل العلاقة مع أحد الأبوين من حيث نوعية التعلق فإن وجود الشريك (الأب) غالبا ما يكون له وظيفة تعويضية .

5- التعلق و الفضاء التخيلي :

الأطفال الذين يخفقون أو يفشلون في المدرسة إضافة إلى تعلقهم الغير آمن يتميزون بضعف في التخيل و أحيانا بفائض في هذه الملكة (faculté) ،بحيث يعيق استثمارهم للحيز الوسيط (l'aire intermediaire) المتمثل في الوسط المدرسي.

تتطور قابلية الطفل للتعلم عندما يحس أن والديه يسمحان له ،يحفزانه على الإستثمار ،ذلك الحيز الوسيط (المدرسة) وعند إدراكه أن مكانته في النسق العائلي غير مهددة خلال مسيرة استكشافه للعالم من حوله (N.DEMONGEOT, J.LIGHEZZOLO, & ALNOT, 2004)

6- الآليات الدفاعية خلال مرحلة الكمون :

مرحلة بعد الصراع الأوديبي أين يلعب الكبت دورا في محاصره الجنسيه الطفليه، إذ يغلب الممنوع (l'interdit) الرغبات الأوديبيه المرتبطه بمشاعر الحب والعدوان: تكبت النزوات المرتبطه بهذه المشاعر والمحركه لها، الأمر الذي يستدعي استثمار آليات دفاعيه أخرى لمنع عودتها وظهورها في حيز الشعور، ومن الطبيعي استحواذية التوظيف النفسي للطفل خلال هذه المرحله ،يظهر نوعا من الحذر ،يمارس طقوسا خاصه، يصبح هاويا للجمع (collection) ..... الخ.

يأتي التسامي ليشكل مخرجا محتملا آخرا لتحول النزوات جنسية كانت أم عدوانيه والتي لم تجد لها إشباعا لأهداف أخرى مقبوله إجتماعيا .يسمح ذلك باستثمار العمليات الفكريه والتعلم .تظهر مرحله الكمون كفتره أساسيه تسمح للطفل بالإنخراط في مجتمعه والتشبع بثقافة بيئته، مرحله مرور الطفل وتحوله من النزويه إلى العقل والمنطق.

لا يمكن الحديث عن مرحله الكمون إلا بعد أفول الأزمه الأوديبيه أين يجد الطفل نفسه مرغما على التخلي عن الموضوع الذي يسمح له بتحقيق رغبه تملك الأم، ولا يمكن لهذا التخلي أن يكون إلا بوجود اأاب، وبالخصوص الأب المتخيل **(le père imaginaire)** الذي يفترض أن يحوز على ذلك الموضوع، يعد هذا التخلي بمثابه فقدان (perte) على المستوى النرجسي. تأتي مرحله الكمون كمرحله راحه للتخفيف من وقع هذا الفقدان بغية معالجته في مرحلة لاحقه، يتم هذا التخلي عن موضوع الحب خوفا من الخصاء، ليتماهى الطفل بأبيه. يلجأ الطفل خلال هذه المرحله للهوامات من خلال استثمار صوره الذات والنرجسيه.(ARBISIO, 2000)

7- الطفل بين الأسرة و المدرسة :

تندمج الحياة الإجتماعية للطفل بين (6-12) سنة بحياته المدرسية ،تصبح المدرسة حيزا للإجتماعية و للتعلم خارج الأسرة في آن واحد (Broca, 2006)، تعد هذه المرحلة مهمة كونها مرحلة استكشاف و بناء ،مرحلة تعلم و ترسيخ للمعرفة،إذ يطور الطفل إجتماعيته في علاقة الأسرة بالمدرسة و المجتمع.

7-1- الطفل داخل الأسرة :

تؤكد عدة دراسات و بحوث على أهمية الأسرة في تطوير شخصية الطفل من خلال وظيفتها التربوية .أهميتها تكمن في أنها تمثل ملجأ لجميع أفرادها ،تجمع الكل في رباط عاطفي يعزز الإنطلاق نحو العالم الخارجي ،توفر الحماية و الأمان الضروريان لنمو منسجم و هادئ للطفل.تبنى شخصية الطفل ارتكازا على وجود الأم و الأب في الحالة العادية ،إذ على كل واحد منهما القيام بوظائف خاصة تعتبر ضرورية تجاه الطفل.

يرى " H.WALLON" أن الطفل خلال سيرورة نموه يسبح في المجتمع منذ ولادته.يبني الطفل شخصيته من خلال العلاقات و التفاعلات الشخصية ,يؤكد الباحث على أهمية العلاقات الأولى للطفل مع الأم و بالأخص الإتصال الجسدي ،و على دور المشاعر في النمو النفسي.

حسب "H.WALLON" فإن الطفل من خلال اتصاله الجسدي المباشرمع الأم فإنه يستطيع إدراك وجود جسد يختلف عن جسده. يقول "H.WALLON" في هذا الصدد أن الطفل يبني غيره قبل بناء نفسه،فهو إذا نتاج العلاقة مع الغير (الأم) .

أهمية هذه العلاقة مع الغير ، وضرورة الإتصال الجسدي المباشر لبناء شخصية الطفل تبين أهمية و خطورة تفريق الطفل عن وسطه ،عن أسرته و بالأخص مجتمعه اأاول (الأم).

"MARLIEU " واصل أعمال "H.WALLON" إنطلاقا من فكرة أن النفسي و الإجتماعي كعاملين مهمين و كجانبين ،يكمل أحدهما الآخر .فالمجتمع إنما هو دعامة النمو النفسي للطفل.

بالنسبة للباحثين، إن الأُطر الإجتماعية التي يتفاعل فيها الطفل مع غيره تساعده على توسيع إمكانياته و تعزيز قدرته كفاعل ،تساهم أيضا في بنائه من خلال انخراطه في نشاطات مختلفة ،في عملية تكيفية مستمرة قد تجعل منه شخصا لدنا (Chelala, 2012)

7-2-وظائف الأسرة.

7-2-1-وظيفة الاب:

لكل فرد في الأسرة – أبا كان أو أما- وظيفة حتى وإن كان تغطية طرف لدور الآخر من حين لآخر لأن دور كل واحد منهما مهم، وعليه أن يقوم بتأديته هو شخصيا ، لأن الأدوار في الأسرة غير تبادلية ، وذلك لاختلاف طبيعة العلاقة التي يخيطها الطفل مع كل من الأب و الأم (C.Chiland, 1989) . وعليه فإن الطفل بحاجة لتواجد أم و أب مع قيامهما بوظائفهما الحيوية بغية بناء اجتماعية دون مشاكل.

يشير مصطلح "أب" دلاليا إلى العلاقة بين شخص ذكر راشد و طفل ، هذه العلاقة تستوجب حضور شخص ثالث .

حسب "SIPERNO" (2001) ،لا نكون آباءا إلا من خلال علاقة ثلاثية (triade)،حضرت الأم في الواقع أم غابت ،من وجهة نظر نفسية و علائقية حسب نفس الباحث ، نجد أن مفهوم "أب" هو مفهوم معقد لأنه محكوم بتمثلات يحملها كل طرف من العلاقة عن الطرف الآخر.

تتأثر هذه التمثلات بالمحددات أو المعايير التالية :

- جنس الطفل.
- خصائص شخصية الأب.

- خصائص شخصية الطفل.
- علاقة كل واحد منهما مع الأم.
- عدد الأطفال،ترتيبهم حسب الميلاد،فارق السن بينهم.
- التوقعات تجاه الطفل (attentes).
- تاريخ العائلة (النووية و الموسعة).
- المستوى الإجتماعي،الإقتصادي،الثقافي .

دراسات حديثة "LECAMUS & AL" و "PIERRE HUMBERT " (2003) تشير إلى اختلاف في العلاقة بين الأب و الطفل من جهة و بين الطفل و الأم من جهة أخرى مع وضوح في جانب النشاط المرح-اللعب (activité ludique) بالنسبة للأب و في نشاط الرعاية بالنسبة للأم : حيث نجد أن الأب يتميز بالنشاط ،الحركة،الإثارة. بينما تبحث الأم عن اهتمام الطفل.

من منظور ثقافي (transculturel) ،ليس من الضروري أن يكون الأب واحدا مفردا، بل بالإمكان أن يكون متعددا ، بل في الغالب هو متعدد و لاينحصر دوره في تأدية وظيفة واحدة و حسب، بل ثلاثة وظائف على الأقل في كل مجتمع : وظيفة الإنجاب (géniteur)، وظيفة المربي و المعيل أو الكافل (nourricier et éducateur) ، وظيفة المانح للإسم و الضامن للنسب .يمكن لهذه الوظائف أن تؤدى من قبل عدة رجال في ثقافات عدة,هذه الوظائف الثلاثة يمكن أن تجمع من قبل علماء الاعراق (ethnologues) في وظيفتين : وظيفة الإنجاب ووظيفة الأب الإجتماعي (Hurstel, 1987)

7-2-1-1- دور الأب في التنشئة الإجتماعية للطفل:

باعتبار التنشئة الإجتماعية مرافقة الطفل نحو الإجتماعية ،نحو الإستقلالية بالتكيف مع البيئة الثقافية و الإجتماعية ،فإننا نجد أهمية و ضرورة الحضور الأبوي للوصول لهذه الإجتماعية. في نظرية "H.WALLON" نجد في المقابل أن المقاربة الكلاسيكية لدور الأب كانت تعتبر أحادية البعد (unidimensionnel) ،متأخرة ورمزية بالأساس ،كانت وظائف الأب منحصرة من خلال ذلك في ضرورة حضوره كسلطة إشباعا لحاجة الطفل إليها ، وذلك بغية إكسابه قوة في الطبع و حسا أخلاقيا.كان الأب ذا دور ثانوي إذ عليه التدخل زمنيا بعد انتهاء فترة الأم (l'age de la mere) المخصصة للإعتناء بالطفل و رعايته.كانت قيمته تستمد من الصورة التي يتركها و من الإسم الذي يحمله، أكثر من قيمته كفاعل مباشر و متدخل ضروري في تنشئة الطفل. (J.Lecamus, 2008)

إن الدور المحوري للأب لاينحصر في استدماج القانون و بناء الهوية الجنسية ناهيك عن دوره كمفرق (séparateur) ،بل يتعداه ليشمل أهم جوانب النمو : الإجتماعي، العاطفي،اللغوي،المعرفي . تأثيره مبكر منذ الولادة ملموس و مباشر دون الحاجة لأية وساطة.

7-2-1-2-الأب كوجه ثانوي للتعلق (figure secondaire d'attachement) :

إذا كان من المألوف اعتبار الأب كـ ''أول آخر-premier autre " ،آخر مختلف جسديا و جنسيا عن الأم،فقد يصعب حينها اعتباره كموضوع للعاطفة.وعليه فإنه من الواضح من خلال دراسات قبل عشرات السنوات بأن الأب الحاضر بكفاية بإمكانه أن يكون وجها من أوجه التعلق كما هو الحال عليه بالنسبة للأم او أي راشد يشاركها الرعاية .

عدّة أعمال فتحت المجال للإعتقاد أن قدرة الأم على مواساة (consolation) طفلها قد تفوق قدرة الأب على ذلك،حين تعرض الطفل للتوتر خاصة ،ولكن الواقع و في الظروف العادية يظهر أن الأب قد يكون وجها موثوقا للتعلق. الفيلسوف "ALAIN ETCHGOYEN" يذهب في هذا السياق إلى أن تفريق الطفل عن الأم لا يعني بالضرورة

إبعاده ،وإنما توفير وجهين للتعلق عوض وجه واحد.وبهذا نستطيع القول أن التنشئة الإجتماعية العاطفية تخص الأم و الأب على حد سواء (J.Lecamus, 2008)

7-2-1-3- الأب كشريك في الإتصال (partenaire dans la communication) :

منذ بداية الثمانينات ،أصبح معلوما أنه لكلا الوالدين ميل لتفضيل قناة تواصلية غير لفظية – القناة البصرية بالنسبة للأم و اللمسية الحركية (tactilo-kinésthésique) بالنسبة للأب.

أصبح معلوما أيضا –حديثا- أن الخصوصيات الوالدية تتعلق أيضا بطرائق و أساليب الإتصال اللفظي (اللغوي) .يتميز خطاب الأب عن خطاب الأم منذ السنة الأولى.

"garmaine l'echleux" (1993) أشارت إلى استعمال متكرر مع أطفال ذوو ثلاثة أشهر للإسم – محدد هويّاتي للطفل- و في سن التسعة أشهر أشارت إلى اللجوء إلى صياغات تدل على نزعة الأب الإستباقية لتطوير الجانب الحس-حركي للطفل.

دراسات عديدة حول الحوار بين الطفل و الأبوين خلال السنة الثانية بينت أن الأب متحاور صعب مقارنة بالأم. "MEROIS" (1982) و "RANTER" (1988) إستنتجا أن الآباء يعمدون إلى استعمال كلمات تقنية (لايلجؤون إلى تبسيط أسماء الحيوانات كالنمر و الفهد لاقتصارها على كلمة قط أو مينو , في حين لجوء الأمهات إلى التبسيط -تسمية البوصلة ساعة على سبيل المثال-) .إضافة إلى ذلك يطلب الآباء توضيحات بصفة مستمرة (ماذا ؟، ماذا تقول ؟) ، يسمح ذلك للطفل بل ويحفزه على التعبير ،على تطوير خطابه وجعله مفهوما من طرف الغير.

في مؤلف جماعي ل " JOSIE BERNICOT" نشرته سنة (1998) تشير "HAYDEE MARCOS" إلى أنه في وضعيات اللعب الموجه يلجأ الآباء إلى استعمال توجيهات و أوامر من خلال استعمال افعال الحركة (verbes d'action) بينما تميل الأمهات إلى استعمال عبارات التقييم (évaluation) .يبدي الأطفال ابتداءا من سن (18) شهرا قدرة على التكيف مع خصائص الوالدين ،على سبيل المثال يستعملون عبارات و صيغ الاحترام مع

الأب أكثر من الأم،يقتربون من الأب أكثر من الأم في طلبهم و بحثهم عن النشاط و الحركة،وعليه فإن الأب ملزم على المساهمة في تنشئة الطفل على اللغة ،وفي تنشئته باللغة. (J.Lecamus, 2008).

7-2-1-4- الأب كوصي في عملية التعلم :

حسب "PRATT" (1988) لايوجد فرق محسوس بين سلوك الأب و الأم فيما يتعلق بتفاعلات الوصاية (سلوكات الوالدين في مساعدة أطفالهم حين مواجهة مشكل ما).أما الإختلاف الملاحظ فهو يميز أنماط الإستراتيجيات التربوية المتبعة من طرف كلا الأبوين. مع أطفال أعمارهم ثلاث سنوات يتم إرشادهم من قبل الأبوين في نشاط بنائي ،كان الأبوان الأكثر فعالية هم الذين وصفهم الباحث بالمهيكلين (STRUCTURANTS) في مقابل المتسلطين و المتساهلين .نفس النتيجة خلصت اليها "GENEVIEVE BERGONNIER" (1995) حين دعت ثلاثة أصناف من الآباء لدعم أطفالهم في لعبة التضمين (jeu d'encastrement) :أباء منظمون، آخرون محفزون،و آخرون مشاهدون منتظرون. كانت الفئة الأولى متميزة بالقدرة على الجمع السلس بين التعديل و الإستقلالية (régulation et autonomisation) و كانت بذلك الفئة الأكثر كفاءة على مرافقة الطفل نحو النجاح.

على النقيض من ذلك قامت "FLORENCE LABRELL" بمقارنة بين الآباء و الأمهات وهم يشرفون على أطفالهم (18-20 شهرا) في لعبة "puzzle" ,كان الآباء ميالين لدفع الطفل للتجاوز و لتركه يجد حلولا بم فرده ,لاحظت الباحثة هذه الخاصية أيضا خلال نشاطات (لعب) بأشياء غير تقليدية :ظهر الآباء مزعجين (taquins) , أكثر ميلا لإزعاج الطفل و دفعه لإيجاد حلول جديدة ,أكثر ميلا لدفع الطفل بحثا عن التكيف و المواءمة (accomodation).

لم تسمح الأبحاث الحديثة بعد بالفصل بين الإتجاهين ,لكن "canner" (1997) ومن خلال ملاحظته لآباء بصدد قراءة كتب تتضمن صورا لأطفالهم البالغين سنتين , بين أن الآباء يحافظون على التركيز على العملية بينما تجد الأمهات توفيقا بين العملية و النشاط خارج هذه المهمة .و فيما يتعلق بالميل إلى تحدي الطفل ,فقد اشار إليها

(1998) كل من "KLAUS & KARIN GROSSMANN" كخاصية عند الآباء : الوضعية الديناميكية للأب كانت واضحة في مقابل الوضعية الوقائية المتعلقة بالحماية لدى الأم.

يتبين مما سبق أن الآباء يتميزون بأسلوب تأطير للعب و التعلم مختلف نسبيا عن أسلوب الأمهات في ذلك ,المشاركة في فطنة الطفل و تطور قدراته المعرفية يعتبر بالنسبة للأب طريقة للإسهام في تنشئة الطفل (J.Lecamus, 2008).

7-2-1-5- الأب كموجه نحو الجماعة :

دور الاب محوري في إكساب الطفل الثقة بالنفس,وذلك منذ السنة الأولى من الميلاد . "CHANTAL ZAOUCHE" (1995) درست دور الآباء في تطور الذاتية المبكرة لأطفالهم,كما لاحظ "J.LECAMUS" أطفالا في وسط مائي يظهرون حساسية للإستثارات الأبوية أكثر من الإستثارة الأمومية.

"KROMLOUR " (1990) أوضح أن أطفالا (18-21) شهرا يظهرون تفاعلية أكبر أمام شخص غريب (personne étrangère) في حضور الأب مقارنة بحضور الأم.يلعب الأب دور صمام الأمان بالنسبة لمخاطرة الطفل.

فيما يخص الإنخراط الأبوي المبكر و السلوك الإجتماعي للأطفال , "MACCONALD & PARKE" (1984) بينا أن هناك ارتباط إيجابي بين الإنخراط الإنفعالي و ذوق (توجه) اللعب البدني للآباء من جهة و بين طبيعة أو نوعية العلاقات التي يقيمها الأطفال (3-5) سنوات مع أقرانهم,درجة شعبيتهم و مهاراتهم الإجتماعية المعزاة من طرف معلميهم من جهة أخرى.

دراسة أخرى قام بها "VERONIQUE BOURCOIS" (1993) على أطفال أعمارهم (3) سنوات ,وجد درجات مرتفعة فيما يخص الإندماج الإجتماعي (أنشطة فردية أقل,أكثر لعب جماعي ,أكثر تواصل إجتماعي وأكثر سلوكات

تنم على الإنتماء و الإيثار) في عائلات أين اعتبر الأب مشاركا في الأبوة و متمايزا عن الأم فيما يتعلق بالوظيفة التربوية .

"HELENE RICHAUD" (1998) إستنتجت من خلال دراستها على أطفال (3-5) سنوات علاقة إيجابية بين المشاركة المختلفة عند الآباء و القدرة على حل المشاكل الشخصية عند الأطفال.

هذه الأبحاث تشير ضمنيا إلى فكرة أن مشاركة اللعب مع الأب و بالأخص اللعب البدني بالمواجهة (مبارزة, منافسة ....) تثير لدى طفل ماقبل المدرسة روح التكيف لاحقا و تتيح له فهما سهلا للرسائل الإنفعالية و الإجتماعية لأفراد جماعته ,تسهل أيضا معرفة أدوار كل جنس ,تطبيق القانون ,تنمي روح الإحترام في وضعية اللعب (للحكم و الخصم),يصبح الطريق نحو الغير واضحا و سهلا إذا لعب الأب دوره كمرافق, كفاتح لهذا العبور و مسهل له (J.Lecamus, 2008)

من خلال بعض اللُّعب في نزعة تربوية تعليمية ,التفاعل الجسدي للأب مع الطفل يحفز هذا الأخير و يعزز قدرته على التحكم في مختلف التفاعلات اللاحقة مع الغير,إذ يُعدّ ذلك مثيرا لتطوره الإجتماعي.توجد علاقة منذ الشهر الخامس بين المشاركة الفعالة للأب و اجتماعيية الطفل (Delage, 2015)

تعد الوظيفة الأساية للأب تمثيله للقانون من خلال وجوده كعنصر مفرق واضع للحدود (agent séparateur) بين الطفل و أمه ومنعه من كل علاقة ممنوعة محرمة (inceste) .هذه الوظيفة هي بالغة الهمية من حيث أنها تُخضع النزوات- من خلال القانون- للمنوع أو المحرم ,هذا القانون الذي يعد هاما في بناء إجتماعية الطفل (C.Laterrasse & A.Beamatin, 1997)

7-2-2- وظيفة الأم :

أهم وظيفة للأم في علاقتها مع الطفل هي تحقيق تعلق آمن كأرضية سليمة تسهل للطفل العيش في بيئة علائقية متوازنة وبعيدة قدر الإمكان عن الإضطراب ,يكون ذلك من خلال توفيرها لأمن الطفل العاطفي الذي يسمح له بإدراك الود (l'amour)كعامل ضروري في الحياة يغذي الثقة بالنفس و يعزز تقدير الذات .

أدوار الأب و الأم متكاملة ,ولا يمكن أن يؤدي أحد دور الآخر , بقول أخر إن كل والد مؤهل لوظائف معينة تكون حسب طبيعته و تكوينه (الجنس و النوع) .فالأم تهتم و ترعى من خلال توفير الدفء العاطفي , والأب يرعى أيضا مع حرصه على تمثيله لكل ما يرمز للقانون, فالقانون دون دفء عاطفي قد يؤدي إلى اضطرابات خطيرة , والعاطفة دون قانون قد تؤدي الى انحرافات عائلية مهمة (Espinoza & Lecamus, 1991)

8- الطفل و المدرسة :

لنموّ سليم يسمح بتطوّر الطّفل نحو الإجتماعيّة ؛يحتاج هذا الأخير إلى العيش في أسرة متوازنة من حيث العلاقات و المسؤوليّات ،أسرة تنظر للطّفل كفاعل (sujet) لا كموضوع (objet).

حماية الطّفل و مرافقته في جوّ من التّناغم العاطفي طريقٌ نحو تعزيز ثقته بنفسه كرُكنٍ أساسيٍّ لاستكشاف (exploration) العالم الخارجي و الإنخراط فيه.

يتّجه الطّفل تدريجيّا نحو الإستقلاليّة (l'indépendance) بعد التّشرّب من قيّم و نظم الأسرة التي ينشأ فيها،غذ تؤثّر هذه الأخيرة إضافة إلى عوامل أخرى (ثقافة المحيط، الفترة الزّمنيّة و الجوّ الذي وُلِد خلالهما ...) على تطوُّره و توجُّهاته مستقبلا.

سنتطرّق من خلال الفقرات المواليّة لوظائف و أدوار الفاعلَينِ الرّئيسيّينِ في الأسرة : الأمّ و الأب.

تلعب الاسرة جماعة في مدرسة التحليل النفسي (الاب و الام خاصة) دورا محوريا من حيث انها توفر نماذج تقمّصيّة . "H.WALLON" ومن خلال تركيزه على مفهوم الوسط ,بالنسبة له أن الاسرة جماعة حيث يكون لكل فرد فيها مكانة و دور يترتب عنه. أما المدرسة حسب "WALLON " دائما ، فلا تعتبر جماعة بالمعنى الدقيق للكلمة ,وإنما

هي وسط قد يحتوي جماعات ذات توجهات مختلفة ,منسجمة و متوافقة احيانا و متعارضة أحيانا أخرى .يجد الطفل داخل المدرسة نفسه في مواجهة تحد مزدوج : التماهي و التمايز في آن واحد كمميز أو سيرورة ضرورية للدخول إلى عالم الجماعة .

8-1-المدرسة كوسط تنشئة :

تظل المدرسة وسطا مؤثرا في التنشئة الاجتماعية للطفل ,وتبقى الأسرة دائما القوة الفاعلة في ذلك من خلال إعطاء قيمة و أهمية للقيم,للقانون و للتوجهات الإيديولوجية , حيث تعتبر أول وسط مرجعي للطفل ، فيها يتعلم و ينمو .تعمل المدرسة على تنمية حسّ الإنتماء (المواطنة) , يصفها "l.BASCOL" (2010) بأنها الوسيط بين النفسي و الإجتماعي من حيث أنها تولي أهمية لمشكلات الطفل في أسرته من خلال توفير جو يساعد على التعبير و من خلال العمل على تطوير علاقة ثقة و احترام مع الطفل.

من مهام المدرسة إضافة إلى التعليم مساعدة الطفل على أن يصبح راشدا,مستقلا و مسؤولا ,إحترام الذات و الغير و تطوير الثقة بنفسه (L.Thelot, 2004) . مهام المدرسة أساسا هي التربية بتكوين الطفل على العيش معا من أجل مواطنة نفعية سليمة,على المعلم والعاملين بالمدرسة إذا إيجاد الطريقة المثلى لتحفيز الطفل على تقديم الأفضل دائما تكريسا لمبدإ العيش في جماعة .

خلاصة:

الطّفل كيانٌ له مكانته في الأسرة و المجتمع ،كيانٌ لم يرقى بعد لمستوى الإستقلاليّة و تحمُّلِ المسؤوليّة ، يلعب طبع الطّفلِ دورا جوهريّا في تعامله مع مثيرات المحيط و يكون في ذلك للآليّات الدّفاعيّة دورًا قاعديّا في تحديد درجة التّكيُّفِ مع الواقع.

لكلّ من الأب و الأمّ أو بديلَيهِما أدوارٌ تترتّبُ عنها و ظائف يضطلعان بها ،فالأمّ تُعتبرُ أوّل مقدِّمٍ للرّعاية ،أوّلَ مَصدرٍ للعاطفة، أوّل موضوع يستثمر فيه الطّفلُ نزواته مُتِيحةً له توسيعَ دائرة الإستكشاف (exploration) نحو العالم الخارجي تحقيقا للإستقلالية تدريجيا. ليأتي دور الأب كمنظِّمٍ للعلاقة ، كحامٍ للعلاقة و للطّفل و كأهمّ مصدرٍ لتبنّي قواعد الجماعة.

يتعلّم الطّفل عندما يدرك بأنّ والديه يسمحان له و يحفِّزانه على استثمار الحيّز الوسيط (المدرسة) و عند شعوره بأنّ مكانته ضمن النّسق العائلي غير مُهدّدةٍ خلال مسيرة استكشافه للعالم من حوله ،إذ تصبح المدرسة كوسطٍ شريكًا للأسرة في ترسيخ المعرفة و بناء الإجتماعيّة.

نوعيّة التّعلّق مصيريّة فيما يخصّ المهارات العاطفيّة ،المعرفيّة و الإجتماعيّة للطّفل؛فكلّما توفّرت للطّفل أرضيّة تعلّق آمنٍ كلّما كان من السّهل عليه مستقبلا توسيع دائرة العلاقات النّقيّة (relations saines)، الخوض في تجارب جديدة و القدرة على حلّ المشاكل التي تعترض مسيرة حياته ، إضافة إلى سلاسة استثمار الجانب المعرفي من خلال سهولة الإنخراط في عمليّة التّعلّم مع إبداء مثابرةٍ وجِدٍّ في الإنجاز.

الطـــــــــلاق

- تمهيد
- مفهوم الطّلاق
- عوامل الطّلاق
- انعكاسات الطّلاق على الأطفال
- الأثر النّفسي للطّلاق
- مصير الطّفل بعد الطّلاق
- ردود فعل الطّفل تجاه الطّلاق إعتبارًا للسّن
- ردود الفعل حسب شخصية الطّفل
- العواقب النّفسيّة للطّلاق على الأطفال
- الطّلاق والصّراع العلائقي
- التّنفير الوالدي و أثرُه على الطّفل
- تشخيص متلازمة التّنفير الوالدي (SAP)
- الطّلاق كعامل صادم
- الأسرة مقابل التّفكّك
- الأسرة واللُّدونة
- خلاصة

" L'important dans le divorce,c'est ce qui le suit "

" Hervé Bazin "

تمهيـد :

الأسرة كأول و أهم وسط ينمو فيه الطفل مطورا لشخصيته و اجتماعيته من خلال توفر نماذج تقمصية , أب يبين أهمية القيم و يرسي مفهوم القانون ,وأم تجعل من مهمة الأب عملية فيها نوع من المرونة .بوجود الإثنين تؤدى الوظيفتان تحقيقا لنمو منسجم متوازن.

أسباب عدة قد تخل بوظائف أحد أطراف الأسرة أو كليهما ومن ذلك حل العلاقة الزوجية بالطلاق.

الطلاق كظاهرة إجتماعية ,لا تخلو من الأنعكاسات النفسية السلبية على الأزواج و الأطفال بدرجة اكبر ,مزعزعة خط النمو في جميع أبعاده .في الغالب تكون حلا للوالدين لاستحالة التوافق بينهما ,إن كان الأمر كذلك بالنسبة للوالدين ,فما القول عنها بالنسبة للطفل ؟كيف يدركها؟ ما عواقبها ؟

1- مفهوم الطلاق :

لغة : هو حل الوثاق ,مشتق من الإطلاق و هو الإرسال و التَّرك ,أما اصطلاحا فهو حل قيد النكاح بلفظ الطلاق و نحوه (www.dorar.net, 2018) .

إجمالا,هو انفصال زوجين عن بعضهما وفقا لإجراءات قانونية رسمية منبثقة من الثقافة التي ينتميان إليها (المجتمع).

مهما كان الطلاق ,وحتى إن كان حلا لعلاقة تصارعية بين الزوجين فيستحيل أن يكون مصدرا للمسرة ,إذ يعتبر تجربة فاشلة ,صعبة على المستوى العلائقي ,الإنساني و الإقتصادي في أحيان كثيرة .يكون الطلاق غالبا بعد تردي العلاقة بين الزوجين واستحالة إستقامتها إلا أنه من الناذر جدا أن نجد الزوجين يتفقان على حل هذه العلاقة رغم إدراك الإنسداد في الأفق.

يختلف مفهوم الطلاق باختلاف النظرة أو الموقف المتخذ اتجاهه ,فالمختص الإجتماعي يرى فيه كظاهرة إشارة دالة على تغير إجتماعي مهمّ من خلال ظهور أنماط إرتباطية جديدة بديلة عن النمط المألوف أو العادي . أما المهتمون بالحقل النفسي فإنما هم يهتمون بإشكالية تتعلق بالإنقطاع (rupture) ,بالتغيير ,بإعادة الهيكلة الأسرية التي تتطلب جهدا وطاقة وتثير في المقابل قلقا .

تؤثرالعلاقات الأسرية الطفولية (خلال مرحلة الطفولة) للأبوين على طبيعة علاقتهم الأسرية الحالية ,فتمزُّق النسيج الأسري يعد محور إشكالية الطلاق لأن الأسرة هي مصدر الإنتماء ,تبلور الهوية , و هي الأرضية الخصبة للتعلق .تتفق أغلب الدراسات النفسية على أن الطلاق وبرغم كونه حلٌ أحيانا لا يمكن تلافيه إلا أن وصفه بالفشل إجتماعيا يظل الميزة الغالبة (O.Bourguinon, 1985)

في الجزائر بصفة خاصة ,إرتفعت نسبة الطلاق أو الإنفصال بين الأزواج بشكل ملحوظ ,يرجع ذلك قانونا لتسهيل عملية (إجراءات) الطلاق من خلال قانون الأسرة المستحدث الذي شرع للخلع ليزداد عدد قضايا الطلاق في المحاكم ضعفا على الأقل مقارنة بالعشر سنوات الماضية .هذا من جهة , ومن جهة أخرى أدى تغير القيم الإجتماعية و تطور النظرة للزواج التي أصبحت تشاركية (partenariale) بعدما كانت دينية في السابق (religieuse) إلى التقليل من أهمية الطلاق (النّظرة السّلبيّة اتجاهه) من حيث آثاره الأسرية,التربوية ,الإقتصادية و الإجتماعية مهما كانت طبيعة الطلاق: تصارعيا أو بالتراضي بين الطرفين .

2- عوامل الطلاق :

على الرغم من كونه خطوة مشؤومة تتسم بالسلبية في غالب الحالات,إلا أنه قد يكون حلاّ في حالات عدة حيث تصبح العلاقة بين الزوجين سامة تنافرية أكثر من كونها حميمية تعاقدية .تتعدّد عوامل الطلاق وتختلف بين ماهو اقتصادي ,إجتماعي ,ديني ,ثقافي و نفسي:

-الخيانة : سبب هام للطلاق ,سواءا كانت الخيانة من الزوج أو الزوجة ,ففي الحالة الأولى تطلب الزوجة الطلاق إدراكا منها أن تقديرها و قبولها كأنثى قد اهتز , أما في الحالة الثانية فيلجأ الزوج للطلاق حفاظا على مكانته في المجتمع كرجل .

-البخل و نقص أو قلة الإهتمام : يكلف ذلك الزوجين غاليا, فالبخل و نقص الإهتمام مترادفان لما لهما من مساس بالحاجة للتقدير .

-السلوكات المسيئة :عنف,غيرة مرضية,تحرش,إندفاعية,لامسؤولية.

-إختلاف الإهتمامات و اختلاف الرؤية حول المستقبل .

-عدم التوافق : نفسيا ,جنسيا ,عقليا, إجتماعيا .

-الإختلاف بسبب الإنفاق و العمل : تحركت المرأة إجتماعيا و مهنيا ,بينما بقي الرجل متمسكا (في أغلب الحالات) بدوره كمعيل وبدور المرأة كمربية وقائمة بشؤون البيت،وأنه قد يسمح لزوجته بالعمل مقابل المشاركة في الإنفاق.قد لا يحصل ذلك وتكون النتيجة عدم الإتفاق وبالتالي فك الرابطة الزوجية.

-المشاكل الجنسية: عجز الرجل و برودة المراة.

-تدخل أطراف أخرى في العلاقة الزوجية:سواءا من عائلة الزوج أو الزوجة ,قد يكون ذلك غير محتمل من أحدهما أو من كليهما بسبب الشعور بعدم الإستقلالية في علاقته بالشريك .

-الإهمال: إما بإهمال الزوج لأسرته و عدم الإنفاق ,أو بإهمال الزوجة لواجباتها نحو الزوج ونحو الأطفال.

-تصارع الأدوار داخل الأسرة بين الزوجين.

-كحولية الزوج أو إدمانه على المؤثرات العقلية.

(Patrick, 2021)

3- إنعكاسات الطلاق على الأطفال:

دراسات عدة بينت إرتباط الطلاق بمجموعة من المشاكل في مختلف المجالات,تمس الطفل و المراهق على حد سواء:صعوبات أكاديمية (تدني النتائج في المدرسة و التخلي المبكر عن التعلم),تطور إضطرابات سلوكية (المعارضة الواضحة تجاه الأوجه السلطوية: سرقة,إستهلاك الكحول والإدمان على المؤثرات النفسية ,المشاركة في النِّزالات و

العراك في الشارع),مزاج إكتئابي بالنسبة للأطفال الذين عايشوا طلاق والديهم مرفوق بانخفاض في تقدير الذات إضافة إلى اضطراب الوجدان. (Lansford, 2009)

ينعكس الطلاق على الطفل و المراهق لاحقا أيضا حين الرشد بل وقد تستمر آثاره لأبعد من ذلك و على المدى البعيد ,فأطفال المطلقين معرضين أكثر لتجربة الفقر, الإنغماس في علاقات جنسية مبكرة و بالتالي التناسل خارج العلاقة القانونية ,الفشل في تسيير الخلافات الزوجية وانتهاج الطلاق كحل, الزواج المبكر,تفاقم المشاكل الوجدانية في بداية سن الرشد. (A.Cherlin, 1998)

في دراسة مقارنة تحت إشراف "ROBERT.E.EMERY" بجامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية على أطفال لآباء مطلقين وآخرين لآباء غير مطلقين ,تهدف لدراسة العلاقة السببية بين الطلاق و انعكاساته على مختلف المجالات الحياتية للأطفال .كانت نتائج الدراسة أن أطفال المطلقين عرضة بحوالي (1,5 إلى 2) مرة لعيش ظروف وأحداث سلبية كالتخلي عن الدراسة في سن مبكر ,وتكرار تجربة الطلاق لاحقا ,تجدر الإشارة إلى وجود أفكار وعواطف سلبية لدى أطفال المطلقين.

إضافة إلى ماسبق,نجد مشاكل قد تعترض نمو الطفل في مجالات حساسة ونلخصها في مايلي:

-إضطرابات نفسية: الشعور بالذنب شعورا منه ان له علاقة بطلاق والديه 'قلق ,توثر,شكاوي توهمية للمرض,حالات اكتئاب تظهر في نقص إهتمامه باللعب و الدراسة.

-إضطرابات بسيكوسوماتية : قد لايعبر عن القلق المتولد عن الطلاق مباشرة ,وإنما يعبر عنه بطرق غير مباشرة من خلال إضطراب النوم ,إضطراب التغذية ,إحساس بتعب دائم, التبول الليلي,مرضية متواصلة و هشاشة مناعية.

-إضطراب الجانب المعرفي: نموا ووظائفيا ,ظهور صعوبات دراسية كعدم إهتمام بالدراسة ,ثقل الإستيعاب ,نسيان متكرر وضعف في التركيز. تشير "C.CHILAND" (1971) في هذا الصدد إلى أن تدني المستوى الدراسي للطفل إنما هو إشارة إلى حدوث أمر غير مرغوب فيه داخل أسرة الطفل.

4- الأثر النفسي للطلاق:

يظهر بشكل صريح أو ضمني ردود فعل إنفعالية منذ اللحظة التي يعلن فيها عن طلاق بين شخصين عاشا سويا لمدة من الزمن, إذ قد يكون لكل منهما ردود فعل إندفاعية,غالبا ما تكون غير عقلانية مؤدية إلى عواقب سيئة منبوذة. يؤدي الإنفصال غالبا إلى المرور بظرف متأزم علائقيا, صادم نفسيا ,مزلزل وجوديا, حيث يكون الإتصال بين المتخاصمين صعبا بل وأحيانا مستحيلا إذ تصل العلاقة لنقطة اللارجوع حيث يحاول كل طرف إنصاف نفسه مقابل الطرف الآخر فيغلب حينها الإنفعال على العقل.تفعل الصورة السلبية المكونة عن الطرف الآخر مفعولها ببروز المشاعر السلبية عن الآخر حاجزة كل فرصة أو أمل للتواصل الناضج وبإعادة إحياء الصراعات القديمة بكل ما كانت تحمله من أسى,ألم وقلق.يحدث كل هذا على الرغم من أن المتخاصمين عاشا مدة من الزمن سويا,تقاسما أحلاما و انخراطا في مشاريع أسرية,أنجبا طفلا على الاقل و عاشا لحظات ممتعة جنبا لجنب ,لياتي الطلاق وينسف كل ماعاشاه فيحاول كل واحد أن يعكس إحباطاته ,تناقضاته,تأرجح وجدانه و ألمه على الآخر محملا إياه المسؤولية كتصريف لشعور عميق بالذنب (Le prince, 2010).

5- مصير الطفل بعد الطلاق:

بعد الطلاق,قد يجد الطفل نفسه إما مجبرا على تغيير محل إقامته الذي نشأ فيه و إما أن يواصل في نفس الإقامة (المسكن) مع تغير في تركيبة الأسرة .إستمرار إقامة الطفل بنفس الإقامة أمر يسمح له بالذهاب لنفس المدرسة,مخالطة أو لقاء نفس الأقران و بالتالي المحافظة على نفس العادات الوجودية (اليومية) ,إذ لايغير الطلاق جليا سياق حياته

حتى وإن غادر أحد الوالدين المنزل (الأب في الغالب) .لكن الأمر مختلف حين يغادر الطفل مع أحد والديه المنزل ,فإنه يجد نفسه مجبرا على التكيف مع إطار حياة جديد من خلال نسج علاقات جديدة.

إن كان على الطفل الخيار،فسيكون أول خياره هو إصلاح العلاقة بين والديه ليشكلا زوجا مثاليا بعيدا عن المنازعات. يعيش الطفل بعد الطلاق حالما بإعادة لم الشمل على الرغم من تصريحه أن الحياة أصبحت أفضل بعيدا عن المناوشات، أغلب الأطفال يتفقون على تفضيل لو أن المشاكل بين والديهم حلت بطريقة ناضجة رضائية بعيدا عن المشاحنات. يعيش الطفل شاعرا في عمقه بالحنين للعودة لأوقات مثالية لعائلة مجتمعة ومتحدة نحو مشروع حياة جامع.

قبل مباشرة إجراءات الطلاق،من صالح الطفل فهم الوضعية الحالية و من حقه الحصول على معلومات ذات صلة وبكل شفافية من أجل إدراك سليم لواقعه، يتخذ الطفل حينها ردات فعل مختلفة حسب ظروفه الآنية:فقد يشعر بالإمتعاض معبرا عن رفضه للوضعية، كما أنه قد يشعر بحزن أو غضب أو المعاناة في صمت.

يحتاج الطفل لتحضير نفسي أياما قبل الطلاق مع شرح أسباب الإنفصال إعتبارا لدرجة نضجه وسنه.

الأبوة والامومة المشتركة مهمة وضرورية للسير الحسن لعلاقة الطفل بكلا والديه، تظهر طبيعة هذه العلاقة من خلال حسن تسييرهم بالتعاون بالتفاهم وبحسن آداء دور كل واحد منهما، التفاهم في تقاسم المسؤوليات ،تبادل المعلومات المتعلقة بالطفل بصفة يومية، قيام كل منهما بوظائفه على أحسن وجه، كل هذا يوفر دعما معتبرا للطفل ويخفف من وطأة الطلاق.

6-ردود فعل الطفل تجاه الطلاق إعتبارا للسن:

6-1- من 5 إلى 7 سنوات :

- حزن تجاه الإنفصال.
- الخوف من التخلي أو الهجر وفقدان الحب (abondon).
- الشعور بالمسؤولية عن الطلاق.
- الميل لتعويض الوالد المغادر للمنزل
- الشعور بالولاء
- الأمل في المصالحة.
- غضب.
- الحنين(الإشتياق).
- الأمل تجاه الوالد الغائب.
- صعوبة في المقدرة على التركيز والقيام بعض الواجبات المدرسية.
- تغير مفاجئ في كثير من الأحيان في السلوك الإجتماعي، في الممارسة، أو مع الأقران.

6-2- من 8 إلى 12 سنة:

- حزن.
- قلق، اكتئاب.
- الحط من قيمة الذات.
- الشعور بالخجل والحرج تجاه الوضعية.
- غضب شديد تجاه الوالد المسؤول عن قرار الطلاق.
- اللجوء النفس كآلية لإخفاء الحزن.

- إبداء مظهر المطمئن والهادئ: إذ نجد بعض الأطفال بارعين في إخفاء مشاعرهم، حزينين ولكن لاشيء من حزنهم باد. زيادة الأعراض الجسدية: آلام في المعدة، الآم في الرأس، آلام في العضلات..
- الشعور بالولاء.
- نقص الثقة في النفس.
- الشعور بالذنب.
- الإنطواء (رفض المشاركة في النشاطات المعتادة، رياضية أو ثقافية).

7-ردود الفعل حسب شخصية الطفل(بروفيله):

تختلف ردود فعل من طفل لآخر، لاتبدو على البعض علامات التأثر، يقمعون مشاعرهم ولا يعبرون عن عواطفهم،يتمكنون من التكيف مع الوضع بمرور الوقت ولا تظهر عليهم اي أعراض نفسية-عاطفية أو إظطرابات في السلوك. أحيانا وبمجرد التعرض لحادث بسيط ينفجرون بكاءا تعبيرا عن فزعهم كإشارة لأزمة إكتئابية حادة. البعض الأخر يطرح فكرة الموت لإحساسه بالحزن الشديد والتعاسة تعبيرا عن قسوة الحياة. تنشأ الأفكار الانتحارية وقلق التخلي عند علم الطفل بمحاولة أحد والديه إعادة الزواج من شريك آخر أو زواجه فعليا، عند ميلاد طفل من شريك آخر، كما تنشأ أيضا عندما يلمس الطفل احتمال فقد الإتصال مع أحد والديه لسبب من الأسباب.

هناك من الأطفال من يظهر تمردا ومعارضة مع غضب واضح، فتنتابه نوبات يكسر خلالها كل ما يجده أمامه، يتشاجر لأتفه الأسباب مع زملائه في المدرسة، يثير الإشمئزاز والرفض.

تميز هذه السلوكات الأطفال في سن (3-7) سنوات خاصة، الأطفال الاكثر نضجا (8-12) سنة قد يعبرون أيضا عن غضبهم ويفصحون عن مشاعر خاصة تجاه الأب المبادر بالطلاق،لكنه يحاول دائما السيطرة على ذاته وإظهار طمأنينة مصطنعة ولامبالاة، يحاول إخفاء غضبه بتصنع، بجهد نفسي مكلف، يستند إلى التعبير (الكلمة)

،يرفض إنجاز بعض الأنشطة المعتادة ويتحدى بعض القواعد المعمول بها (Aabbassi, Asri, & Hélène , 2016)

وهناك من الأطفال من يعيش على جانب أكثر إكتئابية، يعاني الطفل حينها من نوبات بكاء شديدة ومتكررة، في المنزل وفي المدرسة على حد سواء. يظهر أحيانا ألّا شيء أو لا أحد بإمكانه مواساته وكأنه يحمل ثقل فشل العلاقة بين والديه ،يمر بحالات نفسية مختلفة، من الحزن العميق إلى أمل التصالح بين والديه مرورا بمشاعر الإنتقام. يظن أن التصالح بين والديه هو وحده من يمكن من خلاله وضع حد لآلامهما وبالتالي لآلامه. رؤية الطفل باكيا، مهموما، حزينا موقف صعب بالنسبة للوالد أيضا خاصة إذا تعلق ذلك بقرار الإنفصال مؤنبا لضمير الوالد ،إذ يحس هو الآخر بحزن يدفعه في غالب الأحيان إلى مراجعة قرار الطلاق إن كان هو المبادر في ذلك.

وهناك من الأطفال من يميل للإنسحاب، فينطوي في المدرسة، في الشارع وحتى في المنزل مع إخوته.هؤلاء الأطفال هم بحاجة أكثر من غيرهم لدعم نفسي ولآذان مصغية، لايميلون لاتخاذ التعبير وسيلة مفضلة للتواصل ولذا على المحيط تكييف التكفل بهم، أحيانا وبطريقة غير متوقعة قد ينفجر الطفل ليبوح بكل ما يثقل عليه (Aabbassi, Asri, & Hélène , 2016)

في دراسة ل "WALLERSTEIN & KELLY" على 131 طفل متمدرسا، 87 منهم أي حوالي الثلثين أظهروا تغيرات سلوكية في المدرسة عقب طلاق والديهم، نذكر هذه السلوكات فيمايلي:

- هبوط أو تدني المردود الأكاديمي.

- ظهور قلق، نشاط حركي مفرط، حركة زائدة ،عدم الإلتزام بالجلوس ،المشاكسة.

- صعوبة في التركيز.

- كثرة أحلام اليقظة.

- علامات تدل على الحزن و الإكتئاب.

- محاولة لفت إنتباه المعلم.

- الرغبة في الإتصال الجسدي.

8- العواقب النفسية للطلاق على الأطفال:

حين الطلاق وبعده،قد يظهر الطفل جملة من الإضطرابات النفسية، تختلف في الدرجة والمستوى، كما قد تختلف المشاعر عقب ذلك: قلق،إئتاب، شعور بالذنب، جرح نرجسي، إحساس بالإذلال وبالعار. قد تتعدد الأعراض والإضرابات إلا أنه يمكننا حصرها في ثلاثة انواع من العواقب:

8-1- التماهي القلق للوالد المتضرر (identification anxieuse au parent lésé):

بعد الطلاق،يتعلق الوالد -أبا كان أو أما- بالطفل بطريقة مثيرة للشفقة، يشتكي الوالد على الدوام من آلامه (معاناته) ،اكتئابه الذي يعزيه بصفة مباشرة لهجر الشريك، ليصبح الطفل بذلك الوعاء الحاوي لمحنته (malheur)، لقلقه وليأسه من الحياة. يلعب الطفل أيضا دور المعالج للوالد مرغما لتأثره بمعاناته. تنقلب الأدوار أحيانا، الأمر الذى يدفع الطفل لأن يكون هو المسؤول قبل الأوان، يصبح حينها ناضجا بكفاية شاعرا بمسؤوليته تجاه مصير والده. بالتقمص القلق لهذا الوالد لا يفقد الطفل وضعيته أو مكانته فحسب، وإنما يجد نفسه مقحما في لعب دور ليس بدوره أساسا.

8-2- رفض الإنفصال:

يحن غالبية الأطفال والمراهقين للمرحلة التي كانت فيها الأسرة مجتمعة، يجري الكثير منهم تعديلات داخل المنزل في هذا الإتجاه تذكرهم بالجو السائد حينها، يرفض البعض منهم فكرة الإنفصال غير الرجعي، ويستنقذون الكثير من طاقتهم النفسية للحيلولة دون هذا الوضع الغير صار. يحاولون عندئد السيطرة على هذه الوظيفة البائسة بانتهاجهم لاستراتيجيات فاشلة غالبا لتغيير ما آلت إليه الأسرة.

يحاول بعض الأطفال ملحين وبهوس إعادة العلاقة بين الوالدين، بعضهم يرفض إطلاقا أي كلمة تشير للاإنفصال.يلجأ البعض أيضا لحيلة دفاعية كإنكار الإنفصال أصلا أوتقمص الوالد الغائب، يحاولون من خلالها المحافظة على إستمرار العلاقة بين الوالدين .

في حالات شاذة،قد يجد بعض الأطفال صعوبة فى تمثل أصلهم ومنشئهم، لايستطيعون هضم فكرة الإنفصال بين ابويهم، ،فنجدهم بحاجة ماسة إليهم مجتمعين في الواقع لإعطاء معنى لمنشئهم.

8-3-إضطرابات التمثل:

تتجلى الصعوبات على مستوى نشاطات العقلنة (mentalisation)والترميز (symbolisation) والتمثل (représentation) في مجالات مختلفة:

- في مجال العلاج النفسي، يتكرر الإنسداد أو الكف النفسي (blocage psychique) ،نقص الترميز و الكف المتعلق بالعقلنة.

- إضطرابات الإنتباه، التركيز، مشاكل سلوكية، قلة الإهتمام بالتعلم وصعوبات مدرسية.

تتجلى المعاناة النفسية بوضوح من خلال الإضطرابات السيكوسوماتية، خاصة إذا كان لجوء الطفل للتعبير صعبا، كما أنه قد يطور أطفال كانوا يتمتعون بصحة جيدة إلى حين الطلاق أعراضا تختلف في الشدة. الأنوركسيا، السمنة،

الإكتئاب، إضطرابات النوم، القلق، المخاوف المرضية..... وأعراض أخرى قد تلاحظ على الأطفال بعد طلاق والديهم كإشارة إكلينيكية لمعاناة نفسية.

9- الطلاق والصراع العلائقي:

بعد الطلاق قد تصبح أبسط التصرفات منبعا للصراع: لوم،عتاب،مبالغة في التهويل، تمثيل، لعب دور الضحية ليصل الأمر أحيانا لادّعاءات غير مؤسسة.

قد يكون الطلاق في غالب الأحيان كحلبة تعارك، ليزداد الأمر سوءا من الجانب العلائقي:مناورات، سب وشتم لإلحاق الضرر والأذى بالآخر. يصبح كل شيء مباحا، بعض الوالدين (الأمهات غالبا) تلجأ لإلصاق تهم تتعلق بزنا المحارم و بالتحرش الجنسي لقطع العلاقة بين الطفل وأبيه. كل هذه الممارسات الرامية إلى تلطيخ صورة الوالد الآخر إنما يعدي بها الوالد الحاقد المتهم طفله، ليرى الطفل نفسه ضحية علاقة، ضحية لمسات وقبلات بريئة من الوالد المتهم(Goldbeter-Merinfeld, 2018)

صراع بعد الطلاق بين الوالدين قد يضع الطفل تحت ضغط عاطفي مشابه لضغط ما بعد الصدمة، إذ يكون ذلك عائقا أمام انطلاقته نحو العلاقات الخارجية، ونحو الحياة بصفة عامة. يصبح حينها تدخل أطراف خارجية (أقارب،أصدقاء، مهنيين،جهات قضائية إن اقتضى الأمر) لتصحيح الوضع حماية لحياة الطفل النفسية، العلائقية والإجتماعية.

يكون الطفل في غالب الحالات رهينة لصراع ضار و غير مجد بين الوالدين المطلقين، يكون حينها صاحب الدور الرئيسي في سيكودراما أسرية تتخذ منه الرهان النفسي بين الطرفين لتجعل منه موضوع كل التحديات. وسط هذا الفراغ والأنانية بين الوالدين قد يحمل جزءا من مسؤولية هو في غنا عنها من طرف أحد الوالدين ليتخلى عنه ويترك

تحت سيطرة وتحكم الآخر. هذا التخلي ناذرا ما يكون من طرف الطفل باتجاه أحد الوالدين بمحض إرادته، فقد يلعب التنفير الأبوي دورا في ذلك (aliénation parentale).

عند إعادة تكوين أسرة من طرف أحد الوالدين، نجد أن حدة الصراع قد تتفاقم، خاصة إذا كان الوالد المتكفل بالطفل معنيا، إذ تصبح أي معلومة داخل محيط الأسرة مهمة تتخذ من الوالد وشريكه حتى ولو كانت مغلوطة. كلما ازدادت حدة الصراع بين الوالدين كلما زاد ولاء الطفل لأحدهما على حساب الآخر ليصبح هناك والد مفضل ووالد مرفوض، منبوذ.

10- التنفير الوالدي و أثره على الطفل:

متلازمة التنفير الوالدي: أول من تكلم عن متلازمة التنفير الوالدي (syndrome d'aliénation parentale) هو " GARDNER" ،معرفا له بأنه اضطراب ناجم عن حملة تشويهية غير مؤسسة يشنها أحد الوالدين ضد الآخر، نوع من غسيل دماغ الطفل مع استجابة هذا الأخير سلوكيا وعاطفيا تجاه الوالد "المشوه أو المرفوض. (D.Lorandos, 2013)

11- تشخيص متلازمة التنفير الوالدي (SAP) : يضع " GARDNER" لذلك ثمانية معايير محددة :

- يحط الطفل من قدر الوالد.
- لتبرير ذلك، يقدم الطفل أسبابا واهية.
- يقوم بذلك دون تناقض وجداني.
- يدعي ألا احد أثر عليه في ذلك.

- يرى الطفل نفسه أنه الحليف والداعم للوالد المشوه (المنفر) .
- غياب تام للشعور بالذنب اتجاه الوالد المنفر منه.
- يستعير الطفل كلمات وأوصاف نابية ،غير لائقة أخلاقيا.
- تمتد عداوة الطفل اتجاه والده المنفر منه إلى دائرة محيطه:عائلته، منشأه(Martin, 2012)

أبحاث أكدت أن متلازمة التنفير الوالدي قد تظهر أعراضها كاملة على الطفل دون تدخل مباشر من الوالد المنفر، فيكفي الإنتقال اللاإرادي و اللاشعوري لقناعات ومواقف الوالد المنفر إلى الطفل دون تبصر بذلك.

لمواساة الوالد "الضحية" قد يلجأ الكثير محاولين إقناعه بأن الطفل سيصبح أكثر استبصارا بالوضع ليفهم أنه كان ضحية تلاعب، لكن أبحاثا أكدت العكس، فإن لم يتم التدخل في حينه إجتماعيا و قانونيا، فحتى لو كبر الطفل ستزداد حدة بغضه لوالده إن لم يعتبر من طرفه ميتا على المستوى النفسي.

تتم نشأة المتلازمة في ذهنية الطفل من خلال آلية الانشطار، إنشطار بين السيء تماما والطيب تماما، فإما "والد سيء تماما" وإما "والد طيب تماما" .قد يؤدي ذلك إلى انشطار هويّاتي. فغياب أو تغييب الوالد يشبه قتله وعدِّه من الموتى نفسيا. ذلك يقتلع الطفل عن جذوره وقد يحدث فجوة شديدة الخطورة على المستوى الهوياتي مع عواقب على المستوى النفسي المرضي في المدى المتوسط والبعيد. (Martin, 2012)

ما العمل أمام هذا الوضع؟ هل من تدخل ممكن؟ يجيب "GARDNER" عن هذا السؤال من خلال قوله بوجود درجات من خطورة متلازمة التنفير الوالدي، وبالتالي فهو يقترح التدخل حسب نوع ودرجة الخطورة. ففي الحالات الخفيفة يبقى التدخل سلسا وذلك بتدخل طرف ثالث لإعادة الوجهة الصحيحة في علاقة الطفل بكلا والديه، في الحالات المتوسطة أين يكون للوالد المنفر حق الرعاية وهنا يكون تدخل الجهات القضائية مطلوبا بوضع إطار صحيح

وسليم يخص رعاية الطفل واللجوء للعقاب بتغيير المتكفل بالرعاية إن اقتضى الأمر. أما في الحالات الخطيرة وزيادة على التأطير المتخصص من قبل أخصائيين (إجتماعيين، نفسانيين...) فإن تغيير الرعاية يصبح إلزامية.

12-الطلاق كعامل صادم:

حتى وإن كان الطلاق ظاهرة إجتماعية وعلائقية طبيعيّة، بل و أمرا لابد منه في كثير من المواقف والأحيان إلا انه يبقى عاملا مولدا للتوتر والقلق، قبل الطلاق، خلاله وبعده. يكون مرفوقا غالبا بعاطفة سلبية تنقل على أحد الطرفين المتخاصمين أو كليهما، قد تؤخذ مأخذا حسنا من قبل الطفل إذا أحسن تحضيره لذلك وإذا أحس بالأمن فيما يتعلق بالوجه الأمومي خاصة.الطلاق حدث أو ظرف مؤلم، صعب الهضم بالنسبة للطفل، يصعب على هذا الأخير هذا الأخير تقبله أو إعطاءه معنى لأنه يزعزع كيان أسرة بأكملها (J.Charritat & Al, 2008) . يترافق هذا الألم بتهديد لكيان الذات ولاستمراريتها (Leonardis, 2003)

تفرق هذه الوحدة البيولوجية العاطفية إنما هي بمثابة صدمة نفسية مهددة للطفل الذي يسعى جاهدا لحماية ذاته بمواجهة هذه الوضعية من خلال سلوكات إرتكاسية قد تكون مرضية في كثير من الأحيان. يمثل الطلاق تجربة تحمل في طياتها خطرا صدميا يشتد بقدر اشتداد التفكك والتشتت الأسري وتزعزع معالم النمو (Vangyseghem & Appelboom, 2004)

13- الأسرة مقابل التفكك:

الأسرة أول خلية قاعدية، أساسية في المجتمع، أول جماعة تتيح للفرد الإنتماء كحاجة إجتماعية وتكوين علاقات تكون نموذجا للحياة الجماعية اللاحقة. "J.MEVEL" (2000) يعرفها كمجموعة أشخاص تجمعهم صلة قرابة. تعرفها " M.SEGALEN" (1996)على أنها جماعة إجتماعية تربطها علاقة الدم أو الزواج. ينحى هذان التعريفان إلى الشمولية و العموم ليشيرا إلى العائلة، أما الاسرة المقصودة في بحثنا فيعرفها "B.DEGEORGES" (2009) بأنها

جماعة تتكون غالبا من الأب والأم وطفل على الأقل، يحب بعضهم بعضا، متقاسمين جانبا من المسؤولية في جو من العاطفة: ود،إحترام، إنتماء،إعتراف....

كانت الأسرة ولاتزال موضوع دراسات أنثروبولوجية وسوسيولوجية، نفسية، إقتصادية، تاريخية، قانونية باعتبارها وحدة أساسية لأي مجتمع، واحدة من الحقائق المعروفة من قبل الجميع دون أن يتمكن أحد من تحديدها بدقة شأنها شأن العديد من الظواهر الاجتماعية. لاتنحصر الأسرة فقط في روابط القرابة والنسب والتحالف بين الأفراد وإنما هي موجودة في المقام الأول في وعي الفرد وفي تمثلاته.

للأسرة دور جد هام في تطور الطفل اجتماعيا و عاطفيا،توجه طرق تفكيرهم واتخاذهم للقرارات. لها تأثير على طريقة تصرفهم وحتى على نظرتهم للحياة، وبهذا فإن العيش في أسرة بالإضافة إلي أنه حق من حقوق الطفل فإنه حاجة ضرورية لتحقيق نمو متوازن ضمن العيش في جماعة تحضيرا للطفل ليكون مستعدا للتعامل مع ظروف الحياة مستقبلا.

تتيح الاسرة من خلال تفاعل أفرادها تعلم قِيّم، مبادئ وقوانين العيش في جماعة، تتيح للطفل أيضا كسب وتطوير ثقته في نفسه وبالتالي في محيطه تحقيقا لمبدأ الأمن النفسي، تقدم له نماذج عن الإحترام والحب، وبهذا فإن الأسرة تعد حجر زاوية في بناء شخصية الطفل وترسيخ هويته تحضيرا لحياة سعيدة إن لم نقل متوازنة بعيدة عن الإضطراب.

14- الأسرة واللدونة:

الأسرة هي وعاء التربية وأول بيئة لها، وكما سبق الذكر أن للدونة عوامل ذاتية (داخلية) وأخرى بيئيةأاو محيطة (خارجية)،إذ تعد الأسرة واحدة من هذه العوامل إذا توفرت فيها بعض الشروط إما ذات علاقة بوظيفة الأسرة وإما ذات علاقة بخصائص الحياة النفسية الجماعية داخلها.

فيما يخص الشروط ذات العلاقة بوظيفة الأسرة، نذكر مايلي:

- شفافية ووضوح التواصل.

- إمكانية التعبير الصريح والحر عن الأحاسيس والإنفعالات

- سواد روح التضامن في حل المشاكل.

- الحفاظ على قدر من التنظيم والتماسك (الترابط) داخل الأسرة رغم التغير المفروض جراء احداث مأساوية.

- الإنفتاح على العالم الخارجي.

أما فيما يخص الحياة النفسية الجماعية فنذكر أن للنشاط السردي أهمية حيث أنه يتيح ربط أفراد الأسرة من خلال تواصلهم، كما يتيح الفرصة لمارسة وتعزيز التمثل أو التصور وبالتالي تنشيط الخيال، يتيح النشاط السردي أيضا لأفراد الأسرة الواحدة عمل مطابقة بين الأحداث من أجل اعطائها معنى.

عقيدة الأسرة في وجود مخرج للأزمة والاعتقاد في وجود مساعدة محتملة ستأتي في وقتها، وجود أفكار تتعلق بالعدل بكل معانيه، بالتضامن، ،التمتع بفلسفة ثابتة تجاه الحياة، وجود قدر من الإيمان (الحياة الروحية).

وظيفة الأسرة وحياتها النفسية الجماعية ليست وليدة اللحظة، وإنما لها جذور تاريخية يمكن فهمها من خلال الرجوع لنظرية التعلق للاستبصار بمدى أهمية تناقل او توارث العلاقات بين الأجيال، او بالأحرى توارث طبيعة تلك العلاقات وبالغ تأثير ذلك على نمو وتطور الحياة العقلية والتعديل الانفعالي لدى أفراد الأسرة

الشروط المذكورة أعلاه تجد لها دعامة في نوعية التعلق، تتيح نظرية التعلق من حيث أنها نظرية العلاقة بامتياز فهم طبيعة العلاقات داخل النسق الأسري وعلاقتها باللدونة كسيرورة من خلال تركيزها على الأبعاد الثلاثة: الأمن الأسري، الأخلاقيات العلائقية، ،التمثل والعقلنة داخل النسق الأسري.

يتعلق بعد الأمن بتوفير الأسرة لقدر كاف من الحماية (نفسيا ومعنويا) من حيث أنها الوحدة الإجتماعية الأولى المخوّلة بهذه الوظيفة. يتعدى الأمر كون توفير الأمن يعد من وظائف الأسرة، بل يصبح قاعدة أو ركيزة لاستمرارها خاصة في الظروف الصعبة.

بُعد الأخلاقيات العلائقية يعد بعدا مكملا لبعد الأمن، يثريه ويزيده عمقا، يتعلق هذا البعد بتوفير الرعاية، بمبدأ أو دينامية الأخذ والعطاء الضرورية حين الأزمات النفسية لتجنب التفكك. يعد هذا البعد أيضا الأرضية الخصبة ليلعب التضامن والتكافل دورهما كقاعدة داعمة للدونة، يتعلق الأمر بالحرص على تطوير القدرة على الإهتمام بالآخر، الإهتمام بمعاناته، بتوفير السند العاطفي وبتقاسم ماهو خاص ومشاركة ماهو عام ومشترك خدمة لحسن سير النسق الأسري. بهذا تتحقق معرفة الذات خلال أحلك الظروف وأصعبها على المستوى النفسي، ويتم تأكيدها وتحقيق نوع من تقدير الذات من خلال العطاء.

يعد البعد الثالث محوريا و نواة لتطور اللدونة، يتعلق الأمر بنشاطي التعقيل (mentalisation) والتمثل او التصور (représentation) في جانبهما الفردي والجماعي داخل الأسرة من خلال النشاط السردي. يسمح النشاط السردي باتخاذ مسافة من الوضعية الصعبة (صدمة،محنة...)، فهم أعمق للإنفعالات المؤلمة أو السلبية والتعبير عنها بغية تصريفها وإفراغ شحناتها، فهم الواقع، إستخلاص نتائج تساعد على التعلم من التجربة الصعبة أو المحنة.

خلاصة:

الأسرة أوّل خليّة قاعديّة في المجتمع تتيح الإنتماء للطّفل كحاجة إجتماعيّة كما تتيح تكوين علاقات تكون نموذجا للحياة الجماعيّة اللّاحِقةِ ،دورها محوريٌّ في تطوّرِ الطّفل في جميع الأبعاد.بناء الطّفل يُعَدُّ مِرآةً لمدى توازن الأسرة و انسجامها ،لكن قد يحدثُ و أن تتصدّع العلاقات داخل هذه الأسرة و لا يكون الحلّ إلّا بالطّلاق.

قد يكون الطّلاق حلّا بالنّسبة لأحد الزّوجين أو لكليهما ، يرجع كظاهرةٍ لعوامل عِدّةٍ كعدم التّوافق في أبعاد كثيرة تخصّ الطّرفين ذاتهما أو لتدخُّل أطراف خارجيّة يكون لتدخُّلِها يدٌ في زعزعة العلاقة بين الزّوجين عن قصد أو غير قصد.

قد يؤدّي كلا الوالدين أدوارهما تجاه الطّفل بعد الطّلاق ، رغم أنّ الواقع يشير إلى أنّ غالبية حالات الطّلاق (قبله،خلاله و بعده) تتّسِمُ بالتّوتّر إذ يأخذ أحد الوالدين أو كلاهما الطّفلَ كرهينةٍ، كوسيلة للضّغط على الآخر تنفيرا للطّفل منه ، يعيش الطّفل خلال ذلك ضغطا عاطفيّا-علائقيّا مشابها لضغط ما بعد الصّدمة، إذ يكون تموقعه صعبا في خطّ العلاقة الجديدة بين والديه.

حتّى و إن كان الطّلاق ظاهرة طبيعيّة (phénomène normal) لا بدّ منها في وضعيّات كثيرة إلّا أنّ تأثيرها السّلبي لا يمكن نفيه أو نكرانه خاصّة خلال الفترات الأولى التي تعقبه، حيث أنّه يُمثِّل ظرفا مؤلما قد يصعب هضمه من قِبل الطّفل و تجربة تحمل في طيّاتها خطرا صدمِيّا يشتدّ باشتداد التّفكّك و التّشتّت الأسريّ و تزَعزُعِ معالِم النّمو.

الجانب التّطبيقي

منهج البحث و أدواتـــه

- تمهيد
- أدوات البحث
  - المقابلة العيّاديّة
  - إختبار الرّوشاخ
  - الرّسم
- المؤشِرات الدّالّة على سعة الفضاء التّخيّلي
- المؤشِّرات الدّالّة على التّكيّف مع الواقع (اللّجوء للآليّات الدّفاعيّة)
- القيّم المعياريّة لمؤشّرات التّكيّف مع الواقع و سعة الفضاء التّخيّلي

تمهـيد:

إعتمدنا في بحثنا المنهج العيادي القائم على دراسة الحالة,وذلك تماشيا مع طبيعة بحثنا ,نظرا لحجم العينة و لخصوصية الموضوع.إرتاينا ملاءمةَ منهج دراسة الحالة لموضوع البحث لأن الأمر يتطلب تعمقا في فهم ودراسة كل حالة على حدى عوض الوصف الخارجي السطحي للظاهرة موضوع البحث.

يهدف منهج دراسة الحالة لاستكشاف عناصر جديدة تخص ظاهرة ما .(Widlocher, 1999, p. 119)

على العكس من الدراسات المدعومة باختبارات و طرق إحصائية ,نجد أن دراسة الحالة يعبر عنها بكلمات عوض أرقام ,تساعد على خلق جو من التعاطف و الفهم الذاتي عوض تحليل جاف و منعزل ,تعطي للبيانات أهمية في سياق فردي أو شخصي عوض مناقشتها في إطار عام مطلق ,تسعى لوضع أمثلة ذات قيمة و دلالة في مقابل عينات تتميز بالشمولية,كما أنها تهدف أحيانا لجعل الحالة تتبصر بواقعها عوض ملاحظتها كموضوع جامد (Dana, 1999, p. 1) . جليٌّ بأن يكون تعميم النّتائج على كلّ الحالات المشابهة لعيّنة البحث صعبا إلّا أنّه علينا التّذكير دائما بأنّ هناك دراسة حالاتٍ ساهمت بشكل واسع في بناء معرفة جديدة لاعبة دورا هامّا في تطوّر علم النّفس (Annie & Jacques , 2020, p. 38)

وعليه قد ارتأينا بغية الحصول على نتائج أقرب للدِّقّة في موضوع يتعلق بظاهرة قد تختلف عواملها من حالة لأخرى الإعتماد على المقاربة الكيفية.قد يساعدنا هذا المنهج (دراسة الحالة) في الدراسة العميقة و التحليلية للحالات ,إضافة إلى كونه أنسب منهج للتأويل و التفسير اعتبارا لفرضيات البحث و توجهه.

على العكس ممّا تمّ ذكره سابقا بخصوص ضيق حيز تعميم نتائج دراسة الحالة كمنهج ،يرى "Albert David" (2003) بأنّ غالبية الباحثين يعتقدون بأنّ دراسة الحالة لا تتعلّق إلّا بالمراحل الإستكشافية من البحوث ولا تسمح بتعميم النّتائج ،وهذا مايعتبره خطأً ،إذ بالإمكان تعميم نتائج دراسة الحالة بكلّ بساطة.بالنّسبة لنفس الباحث دائما،

يتلاءم منهج دراسة الحالة حينما تطرح أسئلة من النّوع (كيف ؟ ، لماذا ؟...) حول مواضيع لا تكون متاحة للباحث بصفة جزئية أو كليّة .

عمدنا لإجراء هذا البحث لدراسة أربع حالات من خلال مقاربة مقارِنة –بين طفلين لدنين و آخرَيْنِ غير لدنَيْن –,تسمح بفحص و تمييز العوامل المتدخلة في سيرورة اللدونة.

كان اختيار أفراد العينة من بين 12 طفلا (7 اناث و 5 ذكور) في دراسة إستطلاعية سبقت الدراسة الميدانية ,تمت مقابلتهم بمكتب الأخصائي النفساني العيادي في مؤسسة الصحة الجوارية لبلدية قديل–وهران, وذلك استنادا للمعايير المذكورة سابقا و التي تسمح باعتبار الطفل لدنا أو غير لدن.

يبقى أن نشير إلى إدراكنا بأن حجم العينة لايسمح لنا بالجزم على تعميم النتائج ,ولكنه قد يتيح لنا في المقابل إكتشاف عناصر جديدة ذات علاقة بموضوع البحث من خلال الدراسة المعمقة للحالات في خصوصيتها .

1–أدوات البحث:

في أي بحث علمي ومهما كانت طبيعته ,نجد أن الإختيار المنهجي محدِّدٌ و مهِمٌّ للغاية ,إذ أن النتائج قد تختلف باختلاف المنهجية المتبعة ,ذلك لأن هذه الأخيرة تتيح فحص الفرضيات و تلعب دورا كبيرا في جمع المعطيات.

وسائل بحثنا المعتمدة تتمثل في الأدوات الخاصة بالمقابلة العيادية: المقابلة و الملاحظة,الوسيلتان التي لا غنى عنهما, اختبار الروشاخ كاختبار إسقاطي يحوي مؤشّرات دالّة على طبيعة الدّفاعية النّفسيّة و على مدى سعة الفضاء التّخيّلي ،إضافة إلى الرّسم كأداة إسقاطيّة أيضا نهدف من خلالها لمعرفة مدى وجود نموذج تقمّصي في المحيط العلائقي لأطفال العيّنة .

أول مقابلة مع الأطفال كانت بمعية أمهاتهم,كانت مقابلة إنتقائية, المقابلة الثانية و الثالثة كانتا بحضور الأمهات أيضا إذ تم التطرق خلالها لتاريخ الطفل العائلي,المدرسي,الشخصي ,إضافة إلى التركيز على فترة الطلاق ,ما سبقها وما تبعها مع الأخذ بعين الإعتبار موقف الطفل من كل المجريات,كانت المقابلة الرابعة على انفراد مع الطفل ,دامت في المتوسط حوالي 45 دقيقة ,كان الهدف منها فحص ماقُدِّم خلال المقابلات السابقة مع إعطاء الطفل مجالا من الحرية للتعبير بعيدا عن القيد الذي قد يفرضه وجود الأم خلال المقابلات العيادية السابقة. المقابلة الخامسة كانت مخصصة لتمرير إختبار الروشاخ.

1-1-المقابلة العيادية :

حسب "ALEXANDRE" (1998) , إن المقابلة العيادية أداة مهمة للغاية ,لايمكن الإستغناء عنها في الممارسة السيكولوجية,سواءا تعلق الأمر بالتشخيص ,العلاج أو البحث.تسمح المقابلة العيادية بملامسة العالم اللاشعوري للفرد ,تمثلاته و انفعالاته ,تسمح أيضا بجمع المعطيات المتعلقة بتاريخ الفرد .

على الأخصائي النفساني ,معالجا كان,فاحصا أو باحثا التحلي قدر المستطاع بالموضوعية من خلال ضبط و مراقبة العلاقة بينه و بين الحالة (المفحوص) ويكون ذلك من خلال مراقبة حضوره و تموقعه في العلاقة البينشخصية مع الحالة,فلا يكون موجها في اتجاه محدد و حينها يعمل المفحوص على تقديم مايطلبه الممارس النفساني أو الباحث (Roger & Coll, 2006, p. 140)

تم الإعتماد على المقابلة النصف-موجهة خلال المقابلات العيادية كلها.سمح لنا هذا النوع من المقالات بل وسهل لنا التطرق لجوانب مختلفة من حياة الطفل الماضية و الحالية و ذلك بفتح المجال للخوض في جانب ما لنترك الطفل يخوض في الحديث ملامسا إهتماماته و انشغالاته الشعورية و اللاشعورية ,ملتزمين بالإصغاء الفعال و المتعاطف.

إقامة علاقة قائمة على الثقة كان من الأولويات أيضا ,فمن خلال إتاحة مايكفي من الوقت و من خلال الإصغاء الفعال تتولد رغبة حديث الطفل عن تاريخه,بكلماته و بذاتيته.بهذا التوجه إذًا يستطيع الطفل الخوض في تاريخ حياته تاركا مجال الظهور لدفاعيته , إنها طريقة الولوج المثلى إلى البعد اللاشعوري التي يتيحها الحوار في بعض المواقف الإستطرادية (Pedinielli & Rouan, 1998, p. 100)

1-2-إختبار الروشاخ :

دراسة الفضاء التخيلي و الكشف عن نوع الآليات الدفاعية التي يلجأ إليها طفل المطلقين – لدنا كان أو غير لدن – لا يمكن إنجازه من خلال حصص نفسية عن طريق المقابلة مهما كان نوعها ,فالأمر يتطلب تعمقا و تدقيقا ,لهذا اخترنا اختبار الروشاخ لإيفائه بالغرض.

يتضمن الإختبار عشر لوحات لصاحبه "HERMAN RORSCHACH" الذي طبقه لأول مرة سنة (1920) .تقدم هذه اللوحات أشكالا سوداء ,وأخرى ملونة موزعة تناسقيا على جانبي محور عمودي.

يُعدّ تمرير الإختبار سهلا بالنسبة للأطفال ,فليس هناك إجابة صائبة و أخرى خاطئة,إذ يطلب منهم قول كل ما يمكن أن يراه الطفل في اللوحات,الواحدة تلوى الأخرى, إنطلاقا من الأولى إلى العاشرة مراعاة للترتيب. بعد الحصول على الإجابات من الأطفال يشرغ في التقصي : في أي حيز رأى الطفل ما رأى ؟, و ما الذي سسمح له برؤية ذلك , أشكل ام اللون ؟, ثم يطلب منه الإشارة إلى اللوحات التي أعجبته أو مال لها و تلك التي نبذها أو نفر منها.

تثير اللوحات إدراكات و إسقاطات تختلف طبيعتها حسب كل لوحة إعتبارا لخصائصها الشكلية , إذ أن هناك لوحات تتميز بالإلتحام و الإنغلاق (4,5,6) مع وجود فتحات بها (1,9) ,أو إنفتاحها و انقسامها

(2,3,7,8,10) ,أو تراكمها و توحدها حول محور وسطي واضح (9,6,5,4,1) (سي موسي و بن خليفة، 2010، صفحة 154)

نجد الألوان أيضا بعد الشكل من الخصائص الإدراكية المهمة ,فهي تزيد من تميز البقع أو اللوحات مثيرة إنطباعا إنفعاليا لدى الشخص سواءا كانت متعددة الألوان (8,9,10) أو ذات اللونين الأسود و الأحمر (3,2) ,أو غير ملونة : رمادية و سوداء (7,6,5,4,1) (سي موسي و بن خليفة، 2010)

لتحليل مادة الإختبار ركزت "C.CHABERT" على مفهومين أو جانبين أساسين :المحتوى الظاهري و المحتوى الباطني أو الكامن. يضم المحتوى الظاهري بعدين هما : البنيوي و الحسي ,فالبنيوي يتعلق بالجانب الشكلي للوحات في استثارته للجانب العقلي (الإدراكي) . أما البعد الحسي فيتعلق بلون البقع الذي يحمل رمزية حسية عاطفية (إنفعالية), أما المحتوى الباطني فيتعلق بالمعاني الرمزية الضمنية التي تثيرها البقع من خلال استدراج المفحوص أو حثه على التعبير عن إنشغالاته ,صراعاته , رغباته و هواماته (Chabert C. , 1997, pp. 35-41)

حسب "N.RAUCH" (1970) فإن دفاعية المفحوص تظل متيقظة خلال تمرير الإختبار من خلال التعليقات على اللوحات ربحا للوقت و تهربا من وضعيات مقلقة مثيرة لوضعيات أولية ذات جذور عميقة (Rauch De Traubenberg, 1970)

1-2-1-خطوات تطبيق الإختبار:

يتطلب تمرير إختبار الروشاخ تحضيرا للمفحوص وهذا أمر في غاية الأهمية لحسن سير الإختبار والحصول على نتائج موثوقة، من المحبذ أن يخصص وقت قبل حصة تمرير الإختبار بغية شرحه للمفحوص بما يثير فضوله ويزيل

الغموض تجاهه، يشرح للمفحوص أهداف الإختبار وطبيعته دون الخروج عن سياق الفحص (تشخيصيا،علاجيا، أو لهدف بحثي).

يتم تمرير الإختبار في قاعة تتوفر على شروط الفحص النفسي، أين يكون الفاحص مع المفحوص دون سواهما، على مكتب أو طاولة عمل توضع اللوحات مقلوبة و مرتبة من الأولى للعاشرة، إذ يجلس الفاحص من المستحسن في جهة المفحوص متنحيا إلى الخلف قليلا متيحا لنفسه زاوية ملاحظة متجنبا قدر الإمكان التأثير الغير مباشر على عمل المفحوص أثناء تعامله مع اللوحات كما كان يفعل "H.RORSCHACH " شخصيا.

إنتهج " EXNER " نفس المنوال ،إذ ألح على عدم مقابلة الفاحص للمفحوص أثناء الحصة لتفادي التداخل والتأثير المتبادل للوضعيتين اللاشعوريتين بين الفاحص والمفحوص (Richelle & AL, 2009, pp. 21-22)

في كل الأحوال والظروف، يبدو من المهم جدا وهذا ما يخص كل خطوات التمرير التزام الفاحص بتقليل تدخلاته وتواصله مع المفحوص إذ من شأن ذلك التشويش على تعامل هذا الأخير مع مادة الإختبار، كما يفتح ذلك الباب واسعا أمام إيحاءات الفاحص للمفحوص اللاشعورية. على الفاحص أيضا مراقبة علاقته مع المفحوص خلال تمرير الإختبار وأن يبتعد وبحزم على إعطاء المقابلة صبغة بيداغوجية وأن يتحلى بموقف الملاحظ الفاحص. (Richelle & AL, 2009, p. 23)

1-2-2-تعليمة الإختبار:

تحتوي أدبيات الإختبار بشأن التعليمة على صيغ قد تختلف بين القصر والطول. ولعل أوسع صيغة (الصيغة النمطية) : مايمكن أن يكون هذا؟ دون إضافة كلمة لوحة أو بقعة (qu'est ce que cela pourrait être ?)،فذلك يفتح المجال واسعا أمام التخيل على المستوى الفكري والانفعالي (Richelle & AL, 2009, p. 23)

تهدف هذه التعليمة النموذجية إلى تجنب توجيه إجابة المفحوص لتبقى إجابته هي المادة الخام المعبرة توظيفه النفسي.

التحليليون اللاحقون ارتأوا المساس بالتعليمة النموذجية معدلين فيها دون أن يكون لذلك حسبهم تحويرا لمهمتها. "D.ANZEW" و "C.CHABERT" أضافا أنه بالإمكان إسداء تعليمة فيها نوع من الشرح وذلك حسب الخصائص الشخصية للمفحوص، كالسن، المستوى التعليمي، واحتمالية وجود مرضية نفسية.

رأوا أن ذلك لاينقص من حياد الفاحص: (سأُريك عشر لوحات، قل لي ما الذي تجعلك تفكر فيه ،وما تستطيع تخيله انطلاقا من هذه اللوحات)(Richelle & AL, 2009, p. 23)

1-2-3- التحقيق أو التقصي:

يتم من خلال التقصي الرجوع إلى الإجابة المقدمة لتوضيح أين وكيف تمكن المفحوص من رؤية ما قدمه كإجابة. الهدف من التقصي هو تدعيم البروتوكول إعتبارا لتعقيد الإجابة كسيرورة (عملية عقلية).

التعليمة المقترحة من طرف "C.CHABERT" هي كالتالي: (سنأخذ الآن اللوحات معا، ستحاول أن تبين لي ما الذي تجعلك تفكر في الإجابة المقدمة ، وبالطبع إذا أتتك أفكار أخرى فإنه باستطاعتك أن تعرضها علي).

تفيد هذه المعلومة الإضافية، بل وتعد ضرورية لتصحيح دقيق للبروتوكول، خاصة خلال مرحلة الترميز التي تختزل خلالها الإجابات وردود الأفعال في رموز تسمح بالحصول على إشارات مشفرة تتوافق مع التوظيف النفسي للمفحوص من أجل تقديم إجابات جديدة وبطريقة عشوائية عند إعادة رؤية اللوحات. هذه الإجابات يجب أن ترمز وتسجل كما سجلت الإجابات الأولى في بروتوكول إضافي منفصل. (Chabert, 2012, p. 30)

يُمكّن التقصي في بعض الأحيان أن يكون مرفوقا بتقٍّص حدّي وذلك عند المفحوصين ذوو الإنتاج المحدود والخالي من بعض الإجابات أو التفاسير التي يلزم ظهورها عند عامة الأفراد. إقترحت "KLOPPER" في الحالات التي لا يعطي فيها المفحوص أية استجابة شائعة أو لونية ،أو في غياب نمط من أنماط الإدراك، أو عدم بروز إستجابات إنسانية ،غالب مثل هذه الإستجابات يشير إلى خلل في بناء الواقع و الموضوع ،إذ يمكّننا ذلك من معرفة مدى حساسية المفحوص لأدنى إثارة ومدى تكيفه القاعدي مع الواقع (سي موسي و بن خليفة، 2010، الصفحات 160-161)

1- التمرير التلقائي للوحات الإختبار:

2- أول مرحلة تتطلب تسجيل الإجابات كما قدمت، بلعتها، مع التعليقات المرفقة والإستفسارات المتأتّية من المفحوص، تقتضي كذلك تسجيل زمن الرجع والذي يكون بين تقديم اللوحة وأول إجابة مقدمة، وتسجيل الزمن الكلي أيضا لكل لوحة وللإختبار ككل. تسجل كل تصرفات المفحوص وردّات فعله مع الإشارة إلى تغييره بوضعية اللوحة أثناء الإجابة (سي موسي و بن خليفة، 2010، صفحة 160)

بعد جمع المعطيات وترميزها تأتي مرحلة التحليل والإستنتاج ثم صياغة التقرير النهائي. وبما أن هدف بحثنا كان دراسة اللدونة في علاقتها بالفضاء التخيلي والآليات الدفاعية، فإن كل اهتمامها وتركيزنا كان على تحديد ودراسة مؤشرات كل عامل من العاملين المذكورين دون التعمق في دراسة وتحليل التوظيف النفسي للحالات.

أما المعطيات المحصل عليها في البروتوكول تمّت مقارنتها بالمعايير الخاصة بالأطفال المنجزة من طرف " JEANNINE BLOMART" سنة 1998.

1-3-الرّسم: بانّسبة لـ "Widlocher" (1998) ،إنّ رسم الطّفل يمثّل -اعتبارا لطبيعته و وظيفته – الحقل المفضّل للتعبير عن اللّاشعور .للرّسم قيمة تواصليّة ليس بين الفرد و محيطه وحسب و إنّما حتّى بين الفرد ونفسه ،

كونه اتّفاق أو التقاء بين الكلمة و الفعل, هذا ما يمنح الرّسم قيمة مضافة تتمثل في امكانيّة استعماله كأداة إسقاطية تعزّز الملاحظة و تدعّمها بمعطيات أعمق.

سيطلب خلال بحثنا من أفراد العيّنة رسم الشخص الأكثر قربا و أهمّية بالنّسبة لكل واحد منهم من خلال التعليمة التّالية: " تنجّم ترسم الشّخص لي عزيز عليك بزّاف ،دروك و لذا حتى في الماضي..." ، لتطرح بعض الأسئلة بعد إتمام الرّسم حول أسباب اختيار هذا الشخص بعينه و حول مواصفاته (الشّخصيّة خاصّة) وحول رغبة الطّفل في أن يأخذ منه بعض الصّفات و أمله في أن يصبح مثله حينما يصبح راشدا .

لم يتمّ اعتماد الرّسم بغية تحليل أبعاد شخصيّة الأطفال أفراد العيّنة و إنّما لهدف محدّد ،كتقنيّة للكشف عن صورة وصيّ اللّدونة اللّتي يحملها الطّفل من جهة ،وكتقنية مكمّلة للإنتاج اللّفظي للطّفل ،هذا الإنتاج اللّفظي الّذي قد يتميّز بالفقر أو قد يتعرّض للكفّ لسبب من الأسباب .

2-مؤشرات الرّوشاخ الدّالّة على سعة الفضاء التخيلي:

تم الإعتماد على هذه المؤشرات بالرجوع إلى البحث الذي قامت به "A.Theis " (2006) إذ جمعت المؤشرات الدّالّة على سعة أو فقر الفضاء التّخيّلي مستندة بدورها إلى أعمال المشرف على بحثها " Claude De Tychey " (1992, 2000)،إضافة إلى الدّراسة المنجزة من طرف "Rosine Diwo" (1997) (A.Theis, 2006, p. 108)

- **العدد الإجمالي R :** هناك علاقة طردية بين العدد الإجمالي الإجابات وسعة الفضاء التخيلي.

- **اللجوء للحركة** (K,KOB Kp,kan) :كلما كان عدد الإجابات الحركية كبيرا كلما زادت دلالة ذلك على سعة الفضاء التخيلي.

يجب الأخذ بعين الإعتبار القيمة التكيفية لهذه الإجابات المقدمة كإجابات إضافية أو خلال التقصي الحدي ، تعتبر عن تكيف دون المستوى العادي او المطلوب مقارنة بتلك المقدمة مباشرة خلال الإجابات الأولى (مؤشر إلى قمع الفضاء التخيلي) .

- **تنوع المحددات الحركية واللونية:** TRI نمط التجاوب الحميمي إنبساطي أو انطوائي مؤشر الفضاء تخيلي غني . TRI متعلق (coarté) أو مائل للإنغلاق أو faiblement dilaté يكون مؤشرا على فقر الفضاء التخيلي.

- **النسبة المئوية للإجابات الشكلية** (F%) :إرتفاع نسبتها عن المعيار يشير إلى الإلتصاق بالواقع وإلى صعوبة اللجوء إلى الفضاء التخيلي.

- **النسبة المئوية للإجابات الحيوانية** (A%): إرتفاع نسبتها عن القيمة المعيارية يشير إلى فضاء تخيلي باهث وفقير.

3-مؤشّرات الرّوشاخ الدّالّة على التّكيّف مع الواقع (فعالية الآليّات الدّفاعيّة):

يُستدلُّ على الدّفاعيّة الفعّالة التي تتيح للطّفل التّكيّف الإيجابي مع الواقع. تشير " Rausch De Traubenberg" (1970) إلى أهمّية تحليل العوامل (المؤشّرات) التّاليّة :(H%, F+%, F%, D%,Ban ,A%) إضافة إلى استعمال المحدِّدات المزدوجة (FC,EF) (Richelle, Pierre , Lisa , & Marc , 2009, p. 77)

تشير علامات هذه المؤشّرات في مجاورتها للعلامات المعياريّة إلى إدراك جيّد للواقع و إلى مهارات تكيّفيّة و علائقيّة بما هو أنسب.علامات جدّ مرتفعة تشير إلى خضوع مفرطٍ (conformisme excessif)،ضعف في القدرة

على التّعبير مع انحسار للعاطفة (étouffement de l'affect)،صلابة في التّعامل مع مختلف الوضعيّات المصادَفةِ. وفي المقابل ،فإنّ العلامات المتدنّية جدًّا تشير إلى اطرابات في إدراك الواقع و في المهرات التّكيّفيّة التي قد تنُمُّ عن إضطراب سيكوباتولوجي قد يكون مُعِيقًا. (Richelle, Pierre , Lisa , & Marc , 2009, p. 77)

تجدُر الإشارة على أنّ العلامات المحصّل عليها في اختبار الرّوشاخ فيما يتعلّق بسعة الفضاء التّخيّلي و التّكيف مع الواقع (اللّجوء للآليّات الدّفاعيّة) ستُقارن مع العلامات المعياريّة الخاصّة بالأطفال الموضوعة من قبل "J.Blomart" سنة (1998).

4–القيم المعيارية لمؤشّرات التّكيف مع الواقع و مؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي

	القيمة المعيارية			
	ذكور		إناث	
	(**8-10**) سنين	(**10-12**) سنة	(**8-10**) سنين	(**10-12**) سنة
R	16	21	17.5	20
F%	64%	69%	57%	67%
A%	64%	53%	68%	58%
K	0.8	1.1	1.2	0.7
K+k	2.8	3.4	4.3	2.4
TRI	حسب النمط			
BAN	3.8	3.6	3.7	4
F+%	71%	64%	56%	69%

جدول –1– : القيّم المعياريّة للرّوشاخ ،خاصّ بمؤشّرات التّكيّف مع الواقع وسعة الفضاء التّخيّلي للأطفال (8–12 سنة)

الفصل الســـــــــــادس

عرض الحالات

- عرض الحالة الأولى
- عرض الحالة الثّانيّة
- عرض الحالة الثّالثة
- عرض الحالة الرّابعة

1- عرض الحالة الأولى (حالة لدنة):

تعتبر الحالة الأولى استنادا إلى معايير تشخيص اللدونة (المذكورة سابقا) حالةً لدُنةً (cas résilient).

1-1-التقرير النفسي والإجتماعي للحالة الأولى (م.م_12 سنة):

(م.م) طفل قويّ البنية المورفولوجية، يبلغ 12 سنة من العمر، متمدرس بالسنة الخامسة ابتدائي ، مقيم مع أسرة والدته رفقة اختين تصغرانه سنّا بمنزل جدّه بعد طلاق والديه نهاية سنة 2019.

المستوى المادي للعائلة بسيط جدّا ،إذ يتكفل الجدّ البالغ من العمر 80 سنة بالإنفاق من منحة تقاعده المتواضعة ،يساعده في ذلك خال الحالة الّذي يقطن بنفس الولاية ويزورهم باستمرار، نذكر أنّ خال الحالة إطارٌ بإحدى المؤسّسات العموميّة الوطنيّة.

مستوى تحصيلي -إستنادا إلى دفتر المراسلة – متوسط عموما،أعاد السّنة الرّابعة بسبب تكهرُبِ الجوِّ الأسريّ حينها (سنة 2019).لُوحِظ تقدُّمٌ فيما يتعلّق بالنّتائج خلال الفصل الأول للموسم الدراسي التّالي للطّلاق (وكأن قوّة الطّفل تفجّرت لتجعله طفلا آخرا مقبلا على الدّراسة) على حدِّ قول أمّه .إهتمامٌ واضحٌ بالدّراسة وعزيمة لتحقيق النّجاح إرضاءًا لوالدته الّتي تأمَلُ رؤيتَه راشدا ناجحا ذا مكانة إجتماعيّة (باغي نكون كما خالي، كونطرا على بويا) على حدّ قول الحالة في مواقف عِدَّةٍ.

خِلال الفترة الّتي تَلَت الطّلاق والإنتقال للعيش إلى بيت الجدِّ، بدا (م.م) مكتئبا حزينا، إذ تقلّصت دائرة الأصدقاء لديه، أصبح غيرمُهتمٍّ باللّعب.مع بداية الموسم الدّراسي الجديد لوحظ تغيّر إيجابيّ على الحالة، دبّت الحيويّة النّفسيّة من جديد، توسّعت دائرة العلاقات، أصبح يُظهِر من المسؤوليّة ما جعله يبدو أنضَجَ مِمّا سبق (أصبح الرّاجل تاع الدّار ،على حدّ قول أمّه).دبلوماسيّ ذكيّ ،مرن ،متجنِّبٌ للصّراعات والمشاحنات، أصبح يولي أهميّة للعلاقات في حياته،

يتخذ مسافات مختلفة باختلاف طبيعةِ العلاقةِ وموضوعِها:الأقران، أفراد العائلة ،المعلّمون ،كبار السّنّ، الغرباء عنه.....،يفرّق إذًا بين أنواع العلاقات كإشارةٍ لغيّاب المشاكل أو الإضطرابات التّعلّقيّة. يُذكرُ أيضا أنّ محيطه العلائقيّ الأسريّ بَعدَ الطّلاقِ مستقرٌّ ومتوازنٌ. جذيرٌ بالذّكر أنّ الحالة (م,م) لم يكن مؤيِّدًا أبدًا لطلاق أبويه على الرّغم من توتُّرِ العلاقة بينها ،يُظهِرُ وعيًا يفوق سنَّه بالسّعي لِلتّموقُع وَسَطًا في علاقتِهِ مع أبيه و أمّه رغم الصّورةِ السّلبيّةِ عن الأب الّتي تحاول الأمّ ترسيخها في أذهان أطفالها.

أثناء المقابلات العيّاديّة، أظهر الحالة إقبالا واضحا ومشاركةً فعّالة مع الباحث، إنبساطيّةٌ سيكولوجيّة، معجمه اللّغوي غنيّ نوعا ما مقارنة بأقرانه من نفس العمر، يستعمل ألفاظا وعباراتٍ دالّةً على نضج عقليّ وانفعاليّ، لا يجد صعوبة في التّواصل وإيصال ما يريد التعبير عنه.

1-2-بروتوكول الروشاخ الخاص بالحالة الاولى: (م.م) 12 سنة.

الوقت المستغرق للإجابة: 8 دقائق

اللوحة	الإجابة	التقصي	التقدير
1	-وين يكمل العمود الفقري -خنفوس		G F- ANAT G F+ A
2	-الدم,الخوف .....مانيش باغي نشوف هاذ الرسم		DC SANG CHOC
3	-زوج نقريطات راهم يطيبو		D KC' H BAN

	-يبتسم خجلا ...."اثداء" ولا بلاك قلبهم راهم يخبط	الشكل باللون الاحمر في الوسط	D F+ HD (BAN) →choc
4	-راس تاع بولبو ,فكرني بخطرة كنت مع خالي في البحر،شفناه طالق الكحولية تاعه في الروشي	الراس في الجانب السفلي الاوسط	G Kan C' Ad
5	-الزاوش لي يتعلق،يخرج في الليل،يقعد مقلوب -يبان لي ارنب،على خاطرش كرعيه	الجانب العلوي لنهاية الاطراف	G F+A BAN D F+ A
6	-طوطم،هدرت لنا عليه المعلمة ....تاع الهنودة -حاجة مغطية بالريش ،طوطم مغطي باريش	الجانب العلوي الجانب السفلي	D F+ OBJ D F+ A (vet)
7	-زوج ملايكة متقابلين،الفريسة في جهة و الراس في جهة		D F (H)

8	-زوج سبوعة طالعين -رية -التحية تاع الشنتوة -الشاشية لي يديروها الشناوة فوق ريسانهم	الجانب العلوي	D F+ Kan BAN D FC' ANAT G C Abstr D F- OBJ
9	-ممم،نشوف شعاع طالع ،كي شغل كرة ارضية -الخضورية،حاجة شابة،الامل -زوج عينين يشوفوا فيا بان لي كي شغل وين يخرج الغريان	التجويف العمودي المركزي الجانب السفلي الاحمر	Dbl F- GEO DC Abstr Dd bl Kp Hd D F+ SEX
10	-الجهة التحتانية للعمود الفقري	الجزء الازرق الاوسط	D F-ANAT

		الجزاين الجانبين	
	– عمود فقري محلول،مقسوم على نصفين	الاحمرين	D F-ANAT
	–عقارب	الجزاين الجانبين بالازرق	D F+ A BAN
	–زهور	الجزاين الجانبين الخارجين بالاصفر	D FC BOT
	–زوج فيران		
	–كوكياج تاع البحر	الجزاين الجانبيين الداخليين الجزاين الجانبيين البرتقاليين	D F+ A
			D F+ OBJ

اللوحة المفضلة: 3

اللوحة المنبوذة: 5

1–3–سيكوغرام الحالة الأولى:

نمط الإدراك	المحدِّدات	المحتوى	المعادلات
G=5 D=19 Ddbl=1 G%=20% D%=76% Ddbl%=4%	F+=11 F- =5 FC'=1 FC=1 F+% =65% F%=68% C=3 C'=2 Kan=2 Kp=1 K=1	H=1 Hd=2 H%=16% A=6 Ad=1 A%=28% Abstr=2 Anat=4 BOT=1 GEO=1 OBJ=3 SANG=1 SEX=1 VET=1 BAN=5	TRI = 1/ 8 FS= 4∑K / 0 ∑E RC%= 56% IA%= 32% Ban%=20%

جدول –2– :سيكوغرام الحالة الأولى

1–4–قراءة عامّة لبروتوكول الحالة الأولى:

أظهر الحالة (م.م) تعاونا خلال تمرير الإختبار، إذ كان يأخذ كل وقته للإستجابة للوحات بعفوية تامّة، أظهر الحالة أيضا رغبة في التّجاوب مع كلّ لوحات البروتوكول وهذا ما يؤكّد غيّاب المؤشّرات الدّالّة على الكفّ خلال مواجهة هذه اللّوحات.

من خلال القراءة العامّة لبروتوكول الرّوشاخ للحالة (م.م)، نلاحظ سيطرة المقاربة الجزئيّة بشكل واضح، مرفوقة في معظمها بمحددات شكلية ذات نوعية جيدة (bonne qualité)، كما توضّح الثّراء و التّنوّع في نوع المحدِّدات ، ظهرت من خلال الإستجابات الحركيّة و اللّونيّة . يُميِّز هذا البروتوكول تواجد استجابات حيوانيّة.

توضّح المقاربة الجزئيّة في مجملها مراقبة إدراكية ناجحة في معظمها (DKc' , DF+obj , DF+A) في اللّوحات (10,8,3,6,5) ,إذ يعتبر ذلك مؤشّرا على أنا قوي بكفاية قادر على مواجهة الواقع الخارجي (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 145)

أما فيما يخصّ المحدِّدات الشّكليّة الّتي ظهرت في هذا البروتوكول ،فإنها تشير في مجملها إلى الإتّصال مع الواقع في بعده التّكيّفي الإيجابي (الحكم و استعمال الإنتباه) (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 151) ،حيث أن هذه الأخيرة تترجم الإندماج الإجتماعي (insertion socialisante) (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 154)وهذا ما يؤكّد فعاليّة المراقبة .

ظهور الإستجابات الحيوانيّة في بروتوكول الحالة (م.م) بنسبة **28%** إذ أتت معظمها مرفوقة باستجابات شائعة (ban، vet ، F+) كدلالة على القدرة على التّكيّف مع العالم الخارجي حسب نوعيّة هذه الإستجابات (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 168)

يلاحظ غياب المؤشّرات الدّالّة على الصّدمة اتّجاه الإختبار (Richelle, 2009, pp. 42-43)

جاءت الإستجابات الجزئيّة غالبة في البروتوكول بنسبة تعادل 76% مرفوقة باستجابات متنوّعة ، ظهرت تقريبا في كل لوحات الروشاخ على النّحو التّالي (..... DKc', DF+ , DFc')، فهي تشير في مجملها إلى مقاربة متكيفة (perspective de socialisation) (Richelle, 2009, p. 59)

أما فيما يتعلّق بالإستجابات اللّونيّة ، فإنها تشير إلى كيفيّة تسيير العاطفة (كل ما يتعلّق بالعواطف و الإنفعالات ،إحساس باللّذّة .....إلخ)،وحسب نوعيتها في هذا البروتوكول فإنها تشير إلى حياة إنفعاليّة و عاطفيّة متكيّفة إجتماعيا (Richelle, 2009, p. 67)

كما تدلّ المقاربة الجزئيّة على محاولة التّكيّف (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 146)

يتميّز البروتوكول بغيّاب مؤشّرات الصّدمة أمام واقع اللّوحات ،حيث لم يسجّل أيّ ظهور لآليّة الكفّ ، تواجد مردوديّة فكريّة ثريّة شملت 25 إستجابة ، ظهرت خلالها استجابات إنسانية قدرت بنسبة مئويّة (H%=16) كدلالة على القدرة على تقمص صور الجسد الإنسانية و هي مؤشر على الإجتماعية ،و ظهرت في اللوحة (3) ،(5)،(8)، (10) و التي بلغ عددها خمسة استجابات وتشير إلى تكيف إجتماعي (Chabert, 2018, p. 83)

من خلال نمط أو نوعيّة الإستجابات الحيوانيّة فإنها تظهر ذات نمط تكيّفي خاصّة اللّوحات (10؟6؟5؟1) (Chabert, 2018, p. 81)

كما يتميّز البروتوكول بمقاربة شكلية ذات نوعية جيدة ظهرت من خلال اللّوحات (1,3,56,8,9,10) ، و هذا ما يترجم الطّابع التّكيّفيّ و يشير إلى الميل نحو الإجتماعية (Chabert, 2018, p. 82) وقدرة الشّخص على وضع حدود مابين الحياة الدّاخلية و الواقع (Chabert, 2018, p. 72).

بالرّجوع للجدول **2**,نرى مؤشّرات يتضّح من خلال نسبها الإجماليّة في البروتوكول أن الحالة متمكّن بدرجة عادية من إستغلال موارده المعرفية (الذكاء).

(G=5) درجة منخفضة ,(F+%=65) درجة تجاور الدرجة المعيارية مع ارتفاع بدرجة واحدة فقط ,(A%=28) درجة منخفضة ,(K=1)درجة متوسّطة تجاور المعياريّة.

نمط إدراك متنوّع إلى درجة ما كما نلاحظ من خلال البروتوكول تتابع منتظم لنمط الإدراك يظهر في غالب اللّوحات بظهور استجابات تبدأ بـ (G) و تنتهي بـ (D) .

مجموع هذه المؤشّرات يعبّر عن أداء فكريّ (معرفي) عادي يتيح للحالة تموقعا نفسيا و علائقياّ في استثماره للواقع .

1-5-رسم الشخص الأكثر أهمية بالنسبة للحالة الأولى :

رسم الشّخص الأكثر أهمّية للحالة الأولى

2-عرض الحالة الثانية (غير لدنة).

2-1-التّقرير النّفسي و الإجتماعي للحالة الثّانية (م.ن _ 11 سنة):

(م.ن) طفلةٌ تبلغ **11** سنة من العمر، متمدرسة بالسنة الخامسة ابتدائي. سمراء البشرة، طويلة القامة، هادئة الطّبع، حاضرةٌ بنظراتها العميقة الّتي توحي بفطنةٍ وحزنٍ في نفس الوقت. تميل للبشاشة مع شيء من الحذر في علاقاتها.أبدت الحالة أثناء المقابلتين الأولَتين نوعا من المقاومة تمثّلت في الإحجام عن التّفاعل مع الإصرار على عدم حضور المقابلات إلا بمعيّة أمّها ،في المقابلتين التّاليتَين وكإشارة لثقتها تجاه شخص الباحث أبدت نوعا من الإنخراط في المقابلات (coopération) ، لم يكن حديثها عفويّا و لا مسترسِلا وإنّما كان في إطار ما يُطلَب منها ليس إلّا ،دون الخوض فيه.

مستوى دراسي يتراوح بين المتوسّط غالبا إلى القريب من الجيّد. تقطن هي ووالدتها بمنزل جدّها بعد طلاق والديها سنة (2018) وذلك بمعية الجدّين والأسرة الصّغيرة للخال (بنت وولد: 8 و14 سنة على التّرتيب). لم يسبق لها إعادة السّنة الدراسية في نفس القسم لكنّ نتائجها للسّنة الدّراسيّة الحاليّة شهدت تراجعا محسوسا مقارنة بمستواها العامّ. تقول الأمّ أنّ العلاقة بين تراجع نتائجها الدّراسيّة وتغيّر الوضع الأسريّ واضحة. لم يسبق الطّلاق أيّ جوّ مُكهربٍ ظاهريّا، لكنّ العلاقة السّائدة بين أبويها كانت تتّسم بالفتور، وهذا ما جعل الحالة لفطنتها تتخوّف من انفصالهما دائمة التوجّس بخصوص هذا الموضوع. نرى أنّ الحالة – وبتأكيد من أمّها أيضا – مُتطلِّبة فيما يخصّ الرّعاية والإهتمام.

مستوى الأسرةِ الإقتصاديّ حسنٌ، إذ أنّ الأمّ موظّفةٌ بإمكانها إعالة الحالة (م.ن) والوقوف على إشباع كلّ حاجاتها تقريبا، إضافة إلى الجوّ التّكافليّ السّائد داخل الأسرة. بعد الطّلاق بمدّة وجيزة أعلنت الأمّ عن نيّة رجل في الزّواج منها، لم ترفض الحالة صراحةً ولكنّها أبانت عن هشاشة سيكولوجيّة باتّخاذها سلوكا هستيريّا من خلال أزمات متكرّرة

تغيب فيها عن الوعي كوسيلة للتّعبير عن رفضها لارتباط أمّها بشخص آخر.أمام هذه الوضعيّة الصّحيّة للحالة قرّرت الأمّ التّخلّي عن فكرة الزّواج نهائيّا .

موقف الحالة من طلاق والِدَيها واضحٌ، إذ كانت ولازالت تبدي رغبة في تجاوز الإختلاف والعودة للبيئة الأسريّة الّتي ومهما كانت الرّعاية الّتي تلقاها من أمّها ومهما حُضِنت من قِبَل جدَّيها وأسرة خالها إلّا أنّ شعورها بشيء ينقصها في حياتها واضحٌ.طفلةٌ متعلّقةٌ بأمّها كما بأبيها ،وبالرّغم من احقّيّة الأم قانونا بكفالتها إلّا أنّها حريصة على التّمسّك بموقف وسطٍ في علاقتها بوالديها ،تنتظر زيّارة والدها مرّتين على الأقلّ أسبوعيّا و تُظهِر الحبّ لكليهما .

علاقاتها محدودة ولا تميل للبحث عن صداقات. تُفضِّل الجلوس مع أمّها ومع ابنة خالها أحيانا ولا تملّ من المكوث وحيدة منغمسةً في حوارات (monologues) مع دُمياتها. أصبحت الحالة حسّاسة تُجاه الضجيج (bruit) كإشارة لحالة التّوتُّر الّتي تعيشها. تجدُر الإشارة إلى معاناة الحالة من الحساسيّة وضيق في التّنفّس مؤخّرًا.

إستنادا إلى المعايير التشخيصية المعتمدة ،تعتبر الحالة الثانية غير لدنة (non résiliente).

2-2-بروتوكول الروشاخ الخاص بالحالة الثانية (م.ن)

اللوحة	الإجابة	التّقصّي	الترميز
1	– خفاش 20"		Gbl F+ A ban
2	– نشوف حيوان، بصح مانيش عارفة بالضبط شاوالا ..... 15"	الجزاين االسودسن الجانبين,والاحمرين	Dbl F- A

	السفليين,اضافة الى الثغرة البيضاء التي تتوسط الشكل		
3	– زوج اولاد مدابزين على حاجة، شكون ينجم يديها. 20" – الطاشات الحمرين ما نبغيش نشوفهم,لون الدم.....يخوف 10" – نشوف زوج كائنات غريبة،فضائية 25"		D K H OBJ/ban D C SANG choc D F+ (H)
4	– باتمان باغي يطير 10"		G K (H)
5	– طائر يطير ,جناحه محلولين 12"		G Kan A ban
6	– بابور يتمشى في وسط البحر، طردق , منظر قاع مشي شباب .... 20"		G Kobj OBJ choc
7	– اوراق متساقطة على الطريق ..... 26"	الجانب الايسر	D EF OBJ
	– وردة فيها الوان و اوراق 15"	كل اشكل باستثناء الجانبين بالاحمر	D CF+ BOT

8	– نشوف كلي وحوش راها طالعة 30"		D Kan A ban
9	– زوج تنينات فوق شجرة مدابزين ،علاه؟ ما نيش عارفة 28"	الجوانب بالونين الاخضر و البرتقالي	D Kan (A) BOT
10	– اللون الازرق ياتيريني ،العاب نارية وكاين بزاف الوان 25" – حاجة هاكا فيها ساق تاع نبات 20" – لوحة فنية 10"	اللون الرمادي العلوي المتوسط للشكل	G Kobj C Frag D F- BOT G CF +/- Abtr

الإختيار + : اللوحة 1

الإختيار – : اللوحة 6 و 9

المدّة الزّمنيّة الإجمالية: 7 دقائق

2-3-سيكوغرام الحالة الثّانية:

نمط الإدراك	المحددّات	المحتوى	المعادلات
G=6 D=8	F+=2 F-=2 F+%=50 F%=27	H=1	TRI = 2/ 5
Ddbl=1	K=2 Kan=3 Kobj=2	(H)=2	FS=5/2
	CF=2	H%=20	Ban%=27
G%=40	EF=1	A=4	IA%= 7
D%=53		(A)=1	RC%=40
Dbl%=6		A%=33	
		Abstr=1	
		BOT=3	
		OBJ=2	
		SANG=1	
		BAN=4	
		FRAG=1	

جدول – 3– :سيكوغرام الحالة الثّانية

2-4- قراءة عامّة لبروتوكول الحالة الثانية:

يترجم بروتوكول الحالة فقرا في الهوامات، سواءا خلال تمرير الإختبار أو في مرحلة الإستقصاء حيث لا توجد أيّة إجابات إضافيّة خلال هذه المرحلة (الإستقصاء).

التّعبير العاطفيّ ظهر من خلال الإستجابات اللّونيّة على النّحو الآتي D C SANG /D CF+BOT /D CF+ Abstr, الحالة والتي تترجم تسيير كل ما يتعلق بالإنفعالات و العواطف و هي غير متكيّفة (mal adapté) واندفاعية دون مراقبة .اللّوحة (3) عموما تشير إلى الحياة العاطفية و الإنفعالية (Richelle, 2009, p. 66)

ظهور الإستجابات الحيوانيّة في البروتوكول في اللّوحات (6,8,9) يشير إلى سيرورات نكوصيّة لدى الحالة، أمّا الإستجابات الحركيّة من نوع Kobj فقد ظهرت في اللّوحات (6,10) فإنها تترجم الحركات النّزويّة العدوانيّة أو شحنة عاطفيّة عدوانيّة (بابور يتمشى في وسط البحر ..... طردق , العاب نارية.....) وتترجم رغبات صعبة التحقيق (Richelle, 2009, p. 67)

يترجم بروتوكول الحالة صعوبة في استثمار العلاقة مع الآخر وهذا للنُّذرة الشّديدة في الإستجابات الإنسانية (Richelle, 2009, p. 71),صعوبة في الإستناد إلى الصّوّر الإنسانية (Richelle, 2009, p. 72)

يتميز بروتوكول الحالة بسيطرة المقاربة الجزئية والتي جاءت مصحوبة بمحددات متنوعة، منها المقاربة الشكلية ذات النوعية السّلبيّة، خاصّة في اللّوحات (10 3 2) والّتي تدلّ على فشل آلية الإزاحة ومحاولة التّحكّم في مادّة الاختبار. يترجم ذلك إذًا فشل المراقبة الإدراكيّة من خلال اللّوحة (2) حيث ظهرت استجابة (Dbl F- A)، واللوحة (3) (choc).

تشير الإستجابات الكلّيّة إلى تكيّفيّة قاعديّة مع الواقع (adaptation de base à la réalité objective)وعلى مستوى النّشاط الدّفاعي فإنها تشير إلى آليات دفاعيّة خاصّة حسب نوع المحدِّد المرتبط بها،

فمن خلال البروتوكول نلاحظ أنّ الإستجابات الكلّيّة قد ظهرت من نوع كلّيّة منظّمة (G Organisé)، وهذا ترجمة لعزل العواطف ببذل جهد للتّحكّم في مادّة الإختبار بالرّجوع إلى العقلنة بحركات أكثر إبداعيّة،وهذا فقط في اللّوحات (10,6,5,4) (Chabert, 2018, p. 69)

يتميز بروتوكول الحالة الثّانية (م.ن) بما يلي:

- نذرة الإستجابات الإنسانيّة.
- نذرة الإستجابات الحيوانيّة.
- وجود استجابات لونيّة على شكل CF.
- وجود مقاربة شكليّة سلبيّة في اللّوحات (2,5,10) مع المقاربة الجزئيّة.

فيما يتعلّق بالتّعبير النّزوي العدواني ، ظهر في اللوحات (6,9,10) إذ يترجم ذلك الخوف أمام العالم الخارجي (Richelle, 2009, p. 116) ،تترجم الإستجابات اللّونيّة فشل المراقبة ,التّعبير النّزوي و هذا من خلال اللّوحة (3) و اللّوحة (8) أمام شدّة الهوامات أو التّصوّرات الّتي أثارتها هذه اللّوحات (Richelle, 2009, p. 107) خاصّة أمام اللّوحة (3) حيث أثارت الإستهامات القلق و الصّدمة و فشل آليّة المراقبة.

ظهور الإستجابات في اللّوحات (2,7,9) على شكل تردّد في الإستجابة (Dbl) (أوراق متساقطة على الطّريق) حسب نوعيّة الإستجابة أو التّعبير النّزوي العدواني تترجم إشكاليّة في معاش الحالة مواجهة للصّورة الأنثوية الأمومية ,إضافة إلى إشكالية في استيعاب الأنوثة و التّقمّص الجنسي (Richelle, 2009, p. 101).

ظهور الإستجابات من نوع (Dbl) في البروتوكول تشير إلى المعارضة و هي مرفوقة بمقاربة شكليّة ذات نوعية سلبيّة ،ظهرت في اللوحة (2).

ظهور الإستجابات الجزئيّة بدأ من اللّوحة الثانية (2) ثمّ في اللّوحة (3) لتظهر الإستجابات الكلّيّة بعدها في اللّوحات (4,5,6)، ثمّ عودة ظهور الإستجابات الجزئيّة (7) . أوّل ظهور للإستجابات الكلّيّة كان في اللّوحة (1) كاستجابة كلّيّة بسيطة تترجم محاولة التّكيّف (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 140) . عندما ترفق الإستجابات الجزئيّة بمحدِّدات شكليّة سلبيّة فإنّها تترجم محاولات التّحكّم الإدراكي و فشله ، وفي هذه الوضعيّة تشير إلى التعّبير الإسقاطي و فقدانها لدلالاتها التّكيّفيّة و الإجتماعيّة. (-DC , DF) يمكنها الدّلالة إمّا إلى انحراف مؤقّت بسبب حدّة الهوامات أو فقدان التّواصل مع الواقع (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 146)

بينما ظهرت استجابة جزئيّة في اللّوحة (7) كترجمة لعاطفة إكتئابيّة (أوراق متساقطة على الطريق ...).

تشير الإستجابات الجزئيّة عموما إلى معنى تكيّفي و اجتماعي غير أنّها في هذا البروتوكول جاءت لتدلّ على آليّة الإزاحة و التّجنّب و الّتي فشلت أمام واقع اللّوحات (3,8,10) (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, pp. 143-144) .

كقراءة عامّة للبروتوكول ،يمكننا القول بفشل آلية التحّكّم الإدراكي وهذا لشدّة الحركات الإسقاطية و الّتي أدّت إلى اضطراب آليّة التّحكّم (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 146) إذ أخذ المحتوى العدواني حيّزا معتبرا و ذلك من خلال اللّوحات (6,10) (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 171) .

رجوعا للجدول **4** مؤشّرات يتّضح من خلال نسبها الإجماليّة في البروتوكول أنّ الحالة متمكنّة بدرجة متواضعة من استغلال مواردها المعرفيّة (الذكاء).

(G=6) درجة متوسّطة ,(F+%=50) درجة منخفضة نوعا ما ,(A%=33) درجة منخفضة,(K=2)درجة متوسّطة تجاور الدّرجة المعياريّة.

نمط إدراك بسيط متأرجح بين GوD مع ظهور استجابة واحدة (Dbl) واخرى (Gbl) كإشارة لافتقار نمط الإدراك للتّنوّع.

غياب التّتابع المنتظم لنمط الإدراك (غياب التّتابع المنتظم من G الى Dd) بظهور استجابات متناوبة بين G و D.

مجموع هذه المؤشّرات يدلّ على مستوى عقلي أو معرفي متواضع يبعد عن الإضطراب من جهة وعن التّميّز من جهة أخرى وبالتالي فإنه من الممكن القول بأن مستوى الذّكاء العام للحالة يسمح لها باستثمار الواقع.

2-5-رسم الشخص الأكثر أهمية بالنسبة للحالة الثانية (الأب):

رسم الشخص الأكثر أهمية للحالة الثانية (الأب)

رسم الشخص الأكثر أهمية بالنسبة للحالة الثّانية (الأم):

رسم الشخص الأكثر أهمية للحالة الثانية (الأم)

3-عرض الحالة الثالثة (حالة لدنة):

إستنادا للمعايير التّشخيصيّة للّدونة – المذكورة سابقا – فإنّ الحالة (ب.ف) تعتبر حالة لدنة

3-1-التّقرير النّفسي والإجتماعي للحالة الثّالثة (ب.ف- 10,5 سنة):

(ب. ف) طفلة تبلغ عشر سنوات ونصف من العمر تقريبا، بيضاء البشرة، متوسِّطةُ القامة، دائمة الإبتسامة، أوّل ما يقرأ على محيّاها الخجلُ، تبدو رغم علامات الخجل أنضج مقارنة بسنّها. متمدرسة للعام الثّاني على التّوالي (معيدة) بالسّنة الرّابعة ابتدائي (سنة 2020)، مستواها الدّراسي حاليّا (إستنادا لنتائج الفصل الأوّل من السّنة الدّراسيّة (2020-2021) ممتاز أخذًا بتصريحاتها وتصريحات والدتها وكذا المشرف على الدّروس الخصوصيّة (cours de soutien) أين تتلقّى دعما في اللّغة الفرنسيّة.

تقطن بحيّ شعبيّ في مدينة وهران رفقة والدتها وشقيق لها يكبرها بثلاث سنوات، متمدرس هو الآخر، بعد طلاق والديها سنة (2019). ترك الوالد المنزل مُجبرًا – لملكيّته من طرف الزّوجة – بعد صراع أسريّ لسنوات كانت نتيجته الطّلاق خُلعًا. تعمل الأمّ حاليّا كمسيّرة لإحدى المحلّات التّجارية بعد فقدانها لمنصب في إحدى الإدارات لتورّطها في قضيّة عوقبت جرّاءها بالسّجن لمدّة ستّة أشهر حبسا نافذا. إنقطعت الحالة وشقيقها عن الدّراسة حينها لقسوة الوضع ولشدّة تأثيره على نفسيّتهما. إظطرّت الحالة رفقة شقيقها المكوث ببيت جدّتهم المتقدّمة في السّن لغاية الإفراج عن والدتهم. كان الأب في اتّصال مستمرّ مع الطّفلين. تجدر الإشارة إلى أنّه موظّف بالقطاع الخاصّ.

تأثّرت الحالة لدرجة كبيرة بعد طلاق والديها وحبس والدتها، كانت صدمةً صعبةَ الهضم خصوصا لوقوع الحادِثين متزامنَين، بدت خلال الأسابيع الأولى لحبس والدتها مكتئبةً حزينةً، كثيرةَ البكاء، فقدت الشّهيّة واضطرب نومها. كان

للأب دورَ السّند خلال هذه الفترة في التّخفيف من آثار الصّدمتين على الطّفلين وبدرجة أكبر على الحالة (ب.ف) الّتي كان تأثرها بليغاً.

بعد الإفراج عن الأمّ تمّ انتقالها رفقة طفليها للعيش بشقّتهم ، لم يدم الوقت طويلا بعد الإفراج عنها حتى تمكّنت من إيجاد شغل مقابل راتب معتبر محقّقة إكتفاءا لكلّ حاجيّات الأسرة.إستأنف الطّفلان الدّراسة و أظهرت الحالة إهتماما بالتّحصيل فتميّزت بتفوّقٍ في كلّ الموادّ الدّراسيّة محقّقةً طفرةً في مستواها الدّراسي .أصبحت الدّراسة من أولويّاتها في الحياة و أصبح النّجاح غايتها (تصرّح الحالة : "الدّنيا هاذي واعرة وكي تطلقو papa و mama ودخلت mama للحبس عرفت بلّي يليق الواحد ينجح ويبان قدّام النّاس ....).أثارَ تفوّقها هذا تقديرَ المدرّسين واستغرابَهم في نفس الوقت، حيث حقّقت الحالة قفزة نوعيّة في المستوى : من تلميذة متواضعة المستوى لتلميذة ساطعة (brillante) .عدا اهتمام الحالة بالدّراسة نجدها مولعة بالأشغال اليدويّة .ليست لها صديقات كثر ولكنّها ليست ضدّ فكرة الصّداقة،تقضي غالب وقتها في المنزل مساعِدةً لأمّها، منجِزةً لواجباتها الدّراسيّة أو منهمكةً في أنشطتها اليدويّة المفضّلة.

تتخذ الأمّ من الأب موقفا معاديّا لكن وبالرّغم من ذلك فهي لا تمانع اتصّال الطّفلين بأبيهم الّذي يأتي مرّة كلّ أسبوع (نهاية الأسبوع غالبا) أمام باب المدرسة ليقضي معهما بعض الوقت.

بدت الحالة خلال المقابلات متعاونة، معجمها اللغوي يتيح لها وبشكل كبير عمليةّ التّواصل بالرّغم من علامات الخجل الباديّة في مواقف عدّة، ميل للخجل سرعان مايتمّ مراقبته والتّحكّم فيه.

3-2-بروتوكول الرّوشاخ الخاص بالحالة الثالثة:

اللوحة	الإجابة	التّقصّي	التّقدير

1	- فراشة - قناع - زاوش - يدين - ورقة **V** - عينين و فمّ و وذنين	-النّتوءات أعلى الشّكل ووسطه -ورقة تاع شجرة. *إ.إ: ورقة مقطعة تاع شجرة* -التّجويف في الوسط	G F+ A BAN Gbl F+ Obj masq G F+ A D F+ Hd Gbl F+ bot Ddbl F+ Ad
2	- الدّم - قلب - وذنين - كرعين	-اللون الأحمر -الأحمر في الجانب الأوسط السّفلي -الجانبان الخارجيان العلويان -الجانبان الخارجيان السفليان	D CF sang Choc D F⁻ Anat Dd F⁻ Ad

	- فخاذ - يدين,ذراع	-اللون الأسود الجانبي الأسفل -الجزء العلوي	Dd F^- Ad Dd F^- Ad D F^- Hd
3	- الدّم - زوج كرعين - لي تجي في الكرش	-اللّون الأحمر -الجزء السّفلي -الجزء الأسود الأوسط السفلي	D CF^+ Sang Choc D F^+ Hd D F^- Anat
4	- وذنين - نيف تاع قنينة - شلاغم - كعالة	-النّتوءات الجانبيّة العلويّة -الجزء العلوي الأوسط -الجزء العلوي -الجزء السفلي بالأسود -النّتوءات الجانبية السفلية	D F^+ Ad D F^- Ad Dd F- Ad D F^+ Ad

	- زوج كرعين - كرعين تاع قنينة	*إ.إ:قنينة بصح مكاش راسها* -الجانبان السفليان	D F^+ Hd D F^+ Ad
5	- فراشة - جناح - عينين - كرعين - زوج كرعين تاع عقرب	-الجزء الجانبي بالأسود -الجزء الأوسط العلوي -النّتوءات الجانبية -النّتوءات السفلية	G F^+ A Ban D F^+ Ad Dd F^- Ad D F^+ Ad D F^+ Ad
6	- شلاغم - ربعة كرعين - فمّ - ظفار تاع قط	-الجزء العلوي النّتوءات الجانبية الأربعة -النّتوءات الجانبية العلوية	Dd F^+Ad D F^+ Ad Dd F^- Ad

Dd F+Ad G F+ A		- قط	
Gbl F+ H D F+ Ad	-النّتوءات العلوية إ.إ:زوج بزوز مدابزين	- شيرة (٧>٨) - زوج كرعين	**7**
D F+ A Ban Dd F- Ad D F- A	-اللّون الورذي الجانبي -المحور بالبرتقالي -الجزء العلوي إ.إ: تفاحة مقسومة على زوج	- سنجاب,زوج... - نيف تاع قنينة (٧) - ساف (>)	**8**
Dbl F- Hd D Fc Hd sex D Kp Hd	-التجويف المحوري الأوسط -اللون الوردي السفلي -اللون الأخضر على الجانبين	- نيف - هههههه ... مصاصيط (V) - زوج ريسان يضحكوا	**9**

	- حيوان مقسوم على زوج:راسه,كرعيه و فريسته (V)		G F^- Ad
10	- زوج عينين (V) - لي تقرص بيهم العقرب (V) - تاع العقرب تاني	-الأصفر السفلي الأوسط -الأخضر السفلي المحوري -الأخضر العلوي على الجانبين	D F^+ Hd D F^- Ad D F^+ Ad

اللّوحة المفضلة: 3

اللّوحة المنبوذة: 8

الوقت المستغرق: 8 د

3-3-سيكوغرام الحالة الثالثة: R=43

نمط الإدراك	المحددّات	المحتوى	المعادلات
G=5 D=24 Dd=9 Dbl=2 G%=11 D%=55 Dd%=20 Dbl%=4	F+=25 F-15 F+%=58 F%=93 Kp=1 Fc=1 CF=2	H=1 Hd=8 H%=20 A=5 Ad=22 A%=62 BOT=1 OBJ=1 SANG=2 BAN=3 Sex=1 Anat=2	TRI = 0/ 2.5 FS=1/0 Ban%=7 IA%= 30 RC%=23

جدول –4– :سيكوغرام الحالة الثالثة

3–4–قراءة عامّة لبروتوكول الحالة الثّالثة :

تشير القراء الإجماليّة لبروتوكول الرّوشاخ الخاصّ بالحالة الثّالثة إلى سيطرة المقاربة الإدراكيّة الجزئيّة بنسبة تُقدّر ب: **55%** مقارنةً بالمقاربة الكلّيّة المقدّرة ب: **11%** . كما تظهر من خلال البروتوكول مردوديّة فكريّة ثريّة.

في بعض اللّوحات، جاءت المقاربة الجزئيّة ناجحة أي نجاح الدفاعية النفسية في الإزاحة و التجنّب لواقع لوحات مرتبطة بمُحدِّدات شكليّة ذات نوعيّة جيّدة تدلّ على و ضوح التّصوّرات و التّحكّم في الحركات الإسقاطيّة ،وهذا

انطلاقا من اللّوحة الأولى، لتنحرف بعد ذلك نتيجة إدراك تصوّرات مرتبطة بالتّشريح و محدّدات القلق (5 استجابات ذات نوعيّة سلبيّة مرتبطة بمكوّنات تشريحيّة Sang-Anat-Ad).

كما يدلّ ظهور الإستجابات الجزئيّة مرفوقة بمحدِّدات شكليّة ذات نوعيّة سيّئة إلى فشل آليّة التّحكّم الإدراكي و هذا في بعض اللّوحات (1-2-3-4-8-10)،يُفسَّرُ هذا في إطار واقع اللّوحة (المضمون الرّمزي)،استرجعت الحالة (3) التّحكّم في اللّوحة (3).

غالبية الإستجابات (المضامين) ذات نوعيّة حيوانيّة حيث بلغ (%62:A%)،(5:A)،(Ad :22) و بتواجد الإستجابات الشّائعة صمن البروتوكول (Ban:**3**) و (%58:F+%)، يترجم ذلك كعامل إندماجي و تكيّفي لدى الحالة الثالثة (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 168)

ظهور استجابات ذات مضمون رمزي قضيبي و جنسي مرفوقة بمقاربة شكليّة-سلبيّة يُترجِم غموضا في السّيرورة التّقمّصيّة الجنسيّة (نيف،شلاغم،كعالة،فخاذ.....) في اللّوحات (1-4-6-9) ،يمكن إرجاع ذلك إلى خصوصيّة المرحلة النّمائيّة للحالة (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 171)

فيما يتعلّق بالمقاربة الشّكليّة ذات النّوعيّة الجيّدة ،قد جاءت مرفوقة ب : Ad ,Hd,bot ،إذ بلغ (F %58:+%) ،كان ظهورها بداية من اللّوحة (1) ،نجد بعد ذلك تعاقبا بينها و بين المقاربة الشّكليّة ذات النّوعيّة السّلبيّة ابتداءا من اللّوحة (2) حيث كانت أوّل استجابة (Df- anat) ،يشير ذلك إلى حدّة الهوامات المرتبطة بهذه اللّوحة ممّا أدّى إلى تراخي (تلاشي) المراقبة ،لكنّ ظهورها كان معتدلا حيث سيطرت المقاربة الشّكليّة ذات النّوعيّة الجيّدة (%58:F+%).

يمكن القول عموما بأنّ المقاربة الجزئيّة في هذا البروتوكول لها معنى دفاعي تكيّفي مع تسجيل انحراف مؤقّت ظهر في بعض اللّوحات.

بالنّسبة لظهور الإستجابات الجزئيّة الصّغيرة (Dd) فإنّها متواجدة بنسبة **20%** مصحوبة بمقاربة شكليّة ذات نوعيّة سلبيّة و هو ما يترجم التّصدّع في التّقمّصات الأوّليّة (حالة طلاق) (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 147)

3-5-رسم الشخص الأكثر أهمية بالنسبة للحالة الثّالثة:

رسم الشخص الأكثر أهمية للحالة الثالثة

4-عرض الحالة الرّابعة (حالة غير لدنة):

إستنادا للمعايير التّشخيصية الخاصّة باللّدونة و المذكورة آنفًا فإنّ الحالة (ز.م) تعتبر حالةً غير لدنة.

4-1-التّقرير النّفسي والإجتماعي للحالة الرّابعة (ز.م_ 8,5 سنة):

(ز.م) طفل يبلغ ثمانية سنوات و نصف من العمر، متوسّط البنية الجسميّة،يظهر انفتاحا على محيطه من خلال صداقاته المتعدّدة،يميل لمصاحبة أطفال أكبر منه سنّا .هو الطّفل الوحيد بعد طول انتظار والديه للإنجاب.متمدرس بالسّنة الثّانيّة ابتدائي (2021) ،مستواه الدّراسي حسن عموما (معتاد على الحصول على المرتبة بين السابعة و الثانية عشر حسب تصريح والدته).

يعيش حاليّا هو و والدته بشقّة والدته الّتي منحت لها مؤخّرا في إطار السّكن الإجتماعي بعد أن كانا يعيشان – قبل الطّلاق – رفقة عائلة والده في غرفة و يتقاسمان المطبخ مع كلّ افراد الأسرة الكبيرة .

طُلِّقت الأمّ من الأب نهاية سنة 2020 بعد كثرة الصّراعات داخل الأسرة الكبيرة وبتحريض من الأخت الكبرى للزّوج الّتي تعتبر الآمر النّاهي ، إذ تولى لها مكانة الجدة المتوفيّة (وهذا حسب تصريحات أمّ الحالة).بعد الطّلاق كما تصرّح الأمّ أظهر الطّفل سلوكات لم تكن معهودة من قبل : كَشُرُودِ الذِّهن، حساسيّة للضّجيج ،تطلّبٌ قد يصعب التّعامل معه في أحيان كثيرة ،نقص في الشّهية .ترى الأمّ أنّ النّتائج الدّراسيّة للطّفل بعد الطّلاق إنّما هي انتكاسة على أمل أن يتجاوزها مستقبلا، تُظهِر الأمّ تفهّما كبيرا لكلّ سلوكات ابنها الإشكاليّة (comportements problématiques).

لم يعد الطّفل مهتمّا لا بالدّراسة ولا بنتائجه،تتوقّع الأمّ رسوبه لهذه السّنة وترى ذلك متوقّعا ومنطقيّا .يقف في صفّ والدته فيما يتعلّق بالعلاقة بوالده ،يتخّذ موقفا معاديّا كموقف أمّه .لا أهداف واضحة لدية و لاطموحات في

الأفق ،إذ كلّما استُفسِر عن هذا الأمر سعى للتّهرب من الرّدّ بالقول (مانيش عارف ، ماعلابالیش.....).يقضي غالب الوقت أمام شاشة التّلفاز منغمسًا في ألعابٍ إلكترونيّةٍ ،وحين يسأم منها يغيب عن البيت لساعاتٍ رفقة أصدقاء الحيّ، يُقلق الأمر هذا والدته فهي لا تعرف كيف تتعامل معه ، لا تحبّذ الإكراه والإلزام لكنّها تسهر على مراقبة تحرّكات وسلوكات ابنها باستمرار تاركة له هامشا من الحرّيّة لكي لا تُشعِره بالضّغط.

تعمل الأم بورشة للخياطة عند أحد الخواصّ، فهي بذلك تغيب عن المنزل طيلة اليوم إذ تحرِص على تحضيرِ كلّ مستلزمات طفلها ليلًا متواصلة معه من خلال الهاتف الخلويّ من حين لآخر.

خلال المقابلات، لا يَظهرُ الطّفل متعاونا و لا مهتمًّا،فكلّ ما يقوم به هو الإجابة عن الأسئلة و باختصار رغم محاولتنا لاحتواء الأمر.

4-2-بروتوكول الرّوشاخ الخاص بالحالة الرّابعة:

اللوحة	الإجابة	الإستقصاء	التّقدير
1	- حمامة - فراشة طايرة (V)	-على الجانبين بالأسود	G F^+ A D Kan A Ban
2	- فراشة.... فيها لحمر		G Fc A
3	- عينين تاع ذبانة,نيفها,وذنيها - خنفوس		G F^+A G F^+ A
4	- وحش... يخوف		G F^+ clob (H)

	- صباط كبير....تاع واحد كرعيه كبار	-النتوءات على الجانبين السفليين	D F^+ Obj
5	- فراشة		G F^+ A Ban
6	- عصا سحرية - خيمة	-المحور -المحور إضافة إلى النّتوءات الخارجية	D F^- Obj Dd F^+ Obj
7	- زوج بزوز - زوج ملايكة ,يشوفو في بعضهم	-الجزء العلوي الجزء العلوي و الأوسط	D F^+ H D F^+ H
8	- زوج سبوعة - ريّة	-على الجانبين بالوردي	D F^+ A Ban D F^+ Anat
9	- زوج غوريلات	-الأخضر على الجانبين	D F^+ A
10	- زوج رتيلات - مقص	-الأزرق على الجانبين الأخضر في الأسفل على المحور	D F^+ A D F^+ Obj

اللوحة المفضلة: 3

اللوحة المنبوذة: 10

المدّة الزّمنيّة الإجمالية: 7 دقائق

4-3-سيكوغرام الحالة الرابعة: R= **17**

نمط الإدراك	المحددّات	المحتوى	المعادلات
G=6 D=10 Dd=1 G%=35 D%=58 Dd%=6	F+=14 F-=1 F+%=93 F%=88 Kan=1 Fc=1	H=1 (H)=2 H%=17 A=9 A%=52 OBJ=4 SANG=2 BAN=3 Anat=1	TRI = 0/ 0.5 FS=1/0 Ban%=17 IA%= 5 RC%=41

جدول -5- :سيكوغرام الحالة الرابعة

4-4-قراءة عامة لبروتوكول الحالة الرابعة:

يتّضح من خلال بروتوكول الرّوشاخ الخاصّ بالحالة الرّابعة ظهور الإستجابات الجزئيّة بنسبة تفوق نسبة الإستجابات الكلّيّة حيث بلغت D%: **58%** ،بينما كانت نسبة G%:**38%** مرفوقة في معظم الإستجابات بمقاربة شكليّة جيّدة ،إلّا في استجابة واحدة ،أين ظهرت ذات نوعيّة سلبيّة في اللّوحة السادسة (DF- Obj) .

إنّ تزامن ظهور المحدّدات الشّكلية دون ارتباطها بالمحدّدات الحسّيّة (غيّاب التعبير العاطفي) يترجم صرامة تجاه البعد الحسّي للمثير (اللّوحة) بالرّغم من أنّها تترجم كذلك إمكانية تواجد تنظيم للتّصوّرات – organisation structurée de la représentation - (Roman, 2015, p. 114) .

تشير المقاربة الجزئيّة في البروتوكول إلى مراقبة إدراكية ناجحة (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 145) ،غير أنّها جاءت مسيطرة خلال البروتوكول (D%: 58%) حيث تترجم آليات دفاعيّة من أجل استعمال الواقع الخارجي لمواجهة عواطف و هوامات الحالة ،إذ تتمثّل هذه الآليات في الإزاحة و التجنّب (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 145) .

كما أنّ المقاربة الجزئيّة ظهرت في اللّوحات الملوّنة في غيّاب تامّ للمحدّدات الحسّيّة (الألوان) ،وهذا مايعكس السّيطرة على العواطف و التّصوّرات المهدّدة للحالة : سيطرة إذا ،مراقبة و عزل مع إعطاء الأولويّة للواقع ضدّ أيّ إمكانيّة للنّكوص الّذي قد تثيره هذه اللّوحات (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 146) .

أمّا فيما يتعلّق بالمقاربة الكلّيّة فقد كان ظهورها ابتداءا من اللّوحة الأولى حيث ظهرت ذات نوعيّة عاديّة على النّحو التّالي (CF^{+} A) في اللّوحة الأولى و اللّوحة الخامسة ،مايشير إلى وجود تكيّف و اندماج إدراكي أساسيّ للحالة ،كما تترجم في اللّوحة الخامسة إمكانيّة إعطاء تصوّر لموضوع كلّي مميّز ذو حدود واضحة (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 140) .

كما ظهرت المقاربة الكلّيّة ذات النّوعيّة الحسّيّة في اللّوحتين الثانية و الرّابعة ،الأمر الّي يشير إلى حركة دفاعيّة ضدّ بروز التّصوّرات المزعجة المقلقة (Chabert, Azoulay, Benoit, & Estelle, 2020, p. 152) .

جاءت الإستجابات الجزئيّة إذا لتدلّ على استعمال الواقع الخارجي لمواجهة العواطف و الهوامات من خلال آليات التّجنّب و الإزاحة (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 145) .

تشير المقاربة الشّكليّة ذات النوعيّة الجيّدة في البروتوكول إلى مراقبة العواطف و السّيرورة الإسقاطيّة نظرا للموضوعيّة و الصّرامة في الوصف ،هذا ما يترجم التفكير الصّارم ،الصّلب و العملي ليعوّض النقص في الإرصان العقلي من خلال استثمار مفرط للواقع (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 151) .

يظهر من خلال بروتوكول الحالة الرّابعة تواجد استجابات حيوانية بنسبة (A%:17%) في إشارة إلى ارتفاع نسبة هذه الإستجابات الحيوانيّة في ترجمة للوضعية القوقعية التّكيّفيّة الصّارمة لدى الحالة (situation de carapace adaptative)،تشير الإستجابات الحيوانيّة في محتواها خلال البروتوكول إلى نوعيّة حيوانيّة خطيرة و مهدّدة و ذلك ما يترجم وجود مؤشرات إسقاطية اضطهاديّة لدى الحالة (ذبّانة،خنفوس،غوريلا،سبوعة...) (Azoulay, Emmanuelli, & Corroyer, 2022, p. 168) .

تظهر الحالة الرّابعة من خلال البروتوكول نذرة فيما يتعلّق بالإستجابات اللّونيّة كما يتضّح من خلاله ظهور المحتويات ذات الصبغة العدوانيّة خاصّة انطلاقا من اللّوحات الملوّنة (8-9-10) (سبوعة،رتيلات،غوريلات...) ،يترجم ذلك الحركة النّزويّة المرتبطة بنموذج العلاقة للموضوع (Azoulay, Chabert, Benoît, & Estelle, 2020, p. 171) .

4-5-رسم الشخص الأكثر أهمية بالنسبة للحالة الرّابعة :

رسم الشخص الأكثر أهمية للحالة الرابعة

الفصل الســـــــابع

عرض النّتائج و مناقشتها

سَنَعمَدُ خلال هذا الفصل إلى مناقشة النّتائج المتوصّل إليها من خلال المقابلات، ومن خلال تطبيق احتبار الرّوشاخ و رسمِ الشّخص الأكثر أهمّية بالنّسبة لكلّ حالة من الحالات الأربع.

سنفحص الفرضيّات الثّلاث لكلّ حالة على حِدى ، مُحوصلين بعد ذلك النّتائج لمناقشتها للوصول إلى مدى تحقُّق فرضيّات البحث .

1- فحص الفرضيّات :

ا. الحالة الأولى :

بالرّجوع للجداول (**2**) ،(**6**) **و** (**7**) ،نرى مؤشّرات يتضّح من خلال نسبها الإجماليّة في البروتوكول أن الحالة متمكّن بدرجة عادية من إستغلال موارده المعرفية (الذكاء).

(G=5) درجة منخفضة ,(F+%=65) درجة تجاور الدرجة المعيارية مع ارتفاع بدرجة واحدة فقط ,(A%=28) درجة منخفضة ,(K=1)درجة متوسّطة تجاور المعياريّة.

نمط إدراك متنوّع إلى درجة ما كما نلاحظ من خلال البروتوكول تتابع منتظم لنمط الإدراك يظهر في غالب اللّوحات بظهور استجابات تبدأ بـ (G) و تنتهي بـ (D) .

مجموع هذه المؤشّرات يعبّر عن أداء فكريّ (معرفي) عادي يتيح للحالة تموقعا نفسيا و علائقياّ في استثماره للواقع .

1-فحص الفرضيّة الأولى: الفرضيّة المتعلّقة بالدّفاعيّة النفسيّة .

للطفلَ اللّدنَ دفاعيّةٌ سلِسة تتيح له درجة مقبولة من التّكيّف مع الواقع، عكس الطّفل الغير لدن الذي يُبين عن دفاعية محدودة و أكثر صلابة لا تسمح بتكيُّفٍ إجتماعيٍّ.

المؤشر	القيّم المتحصّل عليها	القيّم المعياريّة
F%	+ 68	69
A%	– 28	53
BAN	+ 5	3.6
F+%	+ 65	64
D%	– 76	33
H%	+ 16	13

جدول –6– : القيّم المتحصّل عليها و القيّم المعياريّة في الروشاخ لمؤشّرات الدفاعيّة النّفسيّة للحالة الأولى

فرضيّة تتعلّق بالدّفاعيّة النّفسيّة, نلاحظ من خلال الدّرجات المتحصّل عليها أنّ قيمة (F%=68) تجاور الدّرجة المعياريّة في إشارة لقدرة الحالة على التّكيّف مع الواقع إستنادا للنشاط التّنظيميّ للتّفكير و الإدراك (pensée et raison).قيمة (F+%=65) تُجاور الدّرجة المعياريّة مع فارق زيادة ضئيل جدّا في دلالة على قوة "أنا" الحالة ،أي قدرته على توجيه التفكير ،يشير ذلك أيضا إلى قدرة الحالة على استعاب الواقع و إدراكه بشكل مناسب (de façon adéquate).(A%=28) درجة منخفضة مقارنة بالدّرجة المعياريّة (53%) مع ملاحظة اندماج الحالة في محيطه و تمتعه بدرجة من اليقظة و الذكاء ،يشير ذلك إلى الحياد عن الإلتزام (conformisme) والقدرة على فهم الواقع بطريقة خاصة (personne non coformiste ,originale,capable d'appréhender le monde de façon originale). قيمة (BAN=5) تقارب الدّرجة المعياريّة

,يشير ذلك حسب كل من "Anziew & Chabert" إلى قدرة الشخص على إدراكه للواقع دلالةً على تكيّفٍ إجتماعيٍّ.(D%=76) درجة تفوق الدّرجة المعياريّة بأكثر من الضّعف,يقترن ذلك بانحصار أو ضيق (étouffement) في الحياة الوجدانية والإنفعالية و حتى الشّخصيّة,كما قد يشير ذلك إلى مقاربة ينتهجها الحالة متمحورة حول التّجنّب والبحث عن الأمن في مقابل أخذ مسافة تجاه كلّ ماهو غير مألوف أو جديد. (H%=16) قريب جدّا من الدّرجة المعياريّة هو الآخر,يشير ذلك إلى قدرة الحالة اعتبارا لنسبة (F%) و عدد (K) على تقمّص الصّور الإنسانيّة و قدرته على التّفاعل مع الغير.

أربع مؤشّرات إيجابيّة من أصل ستّة إضافة إلى تطابق القيمة المتحصّل عليها ل (F%) مع القيمة المعياريّة ,ذلك إشارة إلى دفاعية فعّالة. يمكننا استخلاص أنّ مجموع هذه المؤشّرات يُعبّر عن تكيّف إيجابي للحالة مع الواقع.

نستخلص ممّا تقدّم أنّ الفرضيّة الأولى قد تحقّقت.

2-فحص الفرضيّة الثّانية: المتعلّقة بسعة الفضاء التّخيّلي.

يتمتّع الطّفل اللّدن بسعة الفضاء التّخيّلي كعاملٍ لإرصان الصّدمة على عكس الطّفل الغير لدن الذي يعاني فقرًا في الفضاء التخيلي

المؤشّر	القيّم المتحصّل عليها	القيّم المعياريّة
R	+ 25	21
F%	+ 68	69
A%	+ 28	53
K	+ 1	1.1
K+k	+ 4	3.4

TRI	1/8 extratensif +	

جدول –7–: الدّرجات المعياريّة والدّرجات المتحصّل عليها فيما يتعلق بمؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي للحالة الأولى

ستُّ مؤشِّراتٍ إيجابيّةٍ من أصل ستّةٍ .مجموع هذه المؤشرات وبالرجوع لجدول القيم المعياريّة لمؤشّرات الروشاخ قيما يخص سعة الفضاء التخيلي (Amandine, 2006, p. 108) يُبِين عن سعة الفضاء التّخيّلي للحالة. إنخفاض (A%=28) مؤشِّرٌ إيجابيّ كدلالة على عدم الإلتزام (non conformisme) مع القدرة على الإقبال أو التعامل مع الواقع بطريقة خاصة (appréhension du monde d'une façon originale),إذ يظهر ذلك في نزعته للمعاكسة تأكيدا لمواقفه و أفكاره دون تمرّد و بطريقة مرنة (Richelle & AL, 2009) هذا من جهة,ويشير من جهة أخرى إلى غنى في الفضاء التّخيّلي (Theis, 2006).مجموع (K+k) ومن خلال التّقارب الكبير للدّرجات المتحصّل عليها و الدّرجات المعياريّة يشير إلى وجود حركيّة عقليّة كافيّة كدلالة على سعة الفضاء التّخيّلي. تشير درجة (TRI) إلى إقبال للحالة على الواقع, من خلال عاطفة متغيّرة, غير ثابتة (labile) موجّهة نحو الخارج و ذلك ما يعزّز التّكيّف مع الواقع (Richelle & AL, 2009, p. 79)

من خلال ما تقدّم نستخلص أنّ الفرضيّ الثانيّة قد تحقّقت.

3–فحص الفرضيّة الثّالثة:

يشكّلُ وجود وصيٍّ للّدونة في المحيط العلائقيّ للطّفل اللّدن سندًا يكون له نموذجا تقمّصيّا إيجابيّا، بينما يعدُّ غيّاب هذا الوصيّ في المحيط العلائقيّ للطّفل الغير لدن عقبَةً أمام التّقمُّص الإيجابي.

فرضيّة تتعلّق بوجود نموذج تقمّصي إيجابي للحالة ؛ رَسَمَ (م.م) الشّخصَ الأكثر تأثيرا و تفضيلا بالنّسبة إليه بألوان مختلفة و منسجمة ،واضعا إيّاه وسط الورقة وبحجم كبير يكاد يملأ الورقة كلّها .

حينما طُلِبَ من الحالة رسمَ الشّخصِ الأكثرَ تأثيرا و تفضيلا بالنّسبة إليه لم يتوانَ عن رسم صورة لخاله مبرِّرا ذلك و دون تردُّدٍ بأنّه السّند الحقيقي للعائلة كلِّها ، فمن المنطقيّ أن تكون له المكانة الأفضل لدى الجميع. سُئِلَ الحالة بالخصوص عن مكانة والدته مقارنة بمكانة خاله فكان ردّه بأنّ والدته هي الأخرى لها مكانة الأعزّ بالنّسبة إليه ؛إذ لايمكن الإستغناء عنها لأنّها منبع الحنان ، تُفضّلنا عن نفسها في مواقف مثيرة رأفة بنا على حدّ تعبيره .... (الحمد للّه عندي أمّ كيما هيّ ، بصّح خطرات تغيضني .....)، أما خالي فهو (.....المعيل الّذي نرتكز عليه .... يشري لنا صوالح، يعيّد لنا ، يخرّجنا نحوّسو .....) .

في سؤال للحالة حول ما إذا كان يرغب في أن يكون مستقبلا مثل خاله ، كانت إجابته بالتأكيد (.... لأنّه طيب، محب لفعل الخير، يحتوينا و يحمينا .....أمّي لا تتوقّف عن مدحه ...) . وفي سؤال عن الصفات الممقوتة من طرف الحالة تجاه خاله فكانت (النرفزة) ، يضربنا أحيانا حين نتعمّد الخطأ ، حين نهمل دروسنا ، حين نطيل البقاء خارج المنزل ...إلّا أنّه ليس بسيّء بل بالعكس فهو أكثر طيبة ويقوم بذلك لمصلحتنا ، يداعبنا أحيانا و يأتينا بنكت مضحكة .

يستمتع الحالة (م.م) بالجلوس مع خاله و بالإستماع لحديثه و نصائحه . إذ يمثّلُ مثالا للصّرامة و الإنضباط من جهة و ركيزة يُلجأ إليه عند الحاجة ؛ يظهر جليّا أن خال الحالة يمثّل نموذجا تقمصيّا واضحا و إيجابيّا بالنّسبة للحالة ، فالرّابط جليّ من خلال علاقة مرافَقةٍ ضمن إطار من القواعد و الحدود أتاحت للحالة رؤية واضحة ذات معنى لموقعه و واقعه.

من خلال ما تمّ التّطرّق إليه ، نستخلص أنّ الفرضيّة الثّالثة قد تحقّقت بالنّسبة للحالة الأولى.

II. الحالة الثانية:

رجوعا للجداول (**3**) ،(**8**) و (**9**)، مؤشّرات يتّضح من خلال نسبها الإجماليّة في البروتوكول أنّ الحالة متمكنّة بدرجة متواضعة من استغلال مواردها المعرفيّة (الذكاء).

(G=6) درجة متوسّطة ,(**F+%=50**) درجة منخفضة نوعا ما ,(**A%=33**) درجة منخفضة,(**K=2**)درجة متوسّطة تجاور الدّرجة المعياريّة.

نمط إدراك بسيط متأرجح بين GوD مع ظهور استجابة واحدة (Dbl) واخرى (Gbl) كإشارة لافتقار نمط الإدراك للتّنوّع.

غياب التّتابع المنتظم لنمط الإدراك (غياب التّتابع المنتظم من G الى Dd) بظهور استجابات متناوبة بين G و D.

مجموع هذه المؤشّرات يدلّ على مستوى عقلي أو معرفي متواضع يبعد عن الإضطراب من جهة وعن التّميّز من جهة أخرى وبالتالي فإنه من الممكن القول بأن مستوى الذّكاء العام للحالة يسمح لها باستثمار الواقع.

1- فحص الفرضيّة الأولى: الفرضية المتعلقّة بالدّفاعيّة النّفسيّة.

للطفلَ اللّدنَ دفاعيّةٌ سلِسة تتيح له درجة مقبولة من التّكيّف مع الواقع، عكس الطّفل الغير لدن الذي يُبين عن دفاعية محدودة و أكثر صلابة لا تسمح بتكيُّفٍ إجتماعيٍّ.

المؤشّر	القيّم المتحصّل عليها	القيمة المعياريّة
F%	27 -	67
A%	33 –	58
BAN	4 +	4
F+%	50 –	69
D%	53 +	43
H%	20 +	13

جدول –8– :القيم المتحصل عليها والقيّم المعيارية في الروشاخ لمؤشرات الدفاعية النفسية للحالة الثّانية

فرضيّة تتعلّق بالدّفاعيّة النّفسيّة, نلاحظ من خلال الدّرجات المتحصّل عليها (F%=27) منخفضة كثيرا عن الدّرجة المعياريّة,و في ذلك دلالة على عدم قدرة الحالة على التّكيف مع الواقع لفشل عمليّة تنظيم التفكير أي ضبطه (échec de l'activité régulatrice de la pensée et de la raison) (Richelle & AL, 2009, p. 61). (F+%=50) تنخفض بدرجة محسوسة عن الدّرجة المعياريّة إذ يشير ذلك إلى خلل أو ضعف ذو وقع في أخذ الواقع بعين الإعتبار (faille important de la prise en compte du réel) (Richelle, 2009, p. 63). (A%=33) ينخفض بنسبة كبيرة عن الدّرجة المعياريّة ,إذ يشير ذلك إلى ضعف سيطرة الأنا على الواقع (indice d'un contrôle affaibli du moi sur la réalité) (Richelle, 2009, p. 71). **(BAN=4)** مطابق للدّرجة المعياريّة.(D%=53) درجة قد تعتبر مرتفعة قليلا عن الدّرجة المعياريّة مع الأخذ بعين الإعتبار درجتي كل من (F%) و (F+%) إذ يشير ذلك إلى إنخناق (étouffement) الحياة الإنفعالية و الوجدانية و حتّى الفكرية (Richelle, 2009, p. 59) ,كما قد

يشير ذلك حسب "castro" إلى تمحورٍ حول التّجنّب (l'évitement) و البحث عن الأمن في مقابل كل ما هو غير مألوف أو جديد (Richelle, 2009, p. 59). (H%=20) تجاور الدّرجة المعياريّة.

ثلاثة مؤشّرات أيجابيّة من أصل ستّة ,إلّا أنّ درجتي كل من (F%) و (F+%) منخفضتان جدّا مقارنة بالدّرجات المعياريّة الخاصّة بهما ,وفي ذلك دلالة إلى أنّ الحالة تجد صعوبة يعبِّر عن صعوبة في التّكيّف الإجتماعي.

من خلال ما تقدّم نستطيع استخلاص أنّ الفرضيّة الأولى قد تحقّقت.

2-فحص الفرضيّة الثّانيّة: الفرضيّة المتعلّقة بسعة الفضاء التّخيّلي.

يتمتّع الطّفل اللّدن بسعة الفضاء التّخيّلي كعاملٍ لإرصان الصّدمة على عكس الطّفل الغير لدن الذي يعاني فقرًا في الفضاء التخيلي.

المؤشّر	القيّم المتحصّل عليها	القيم المعياريّة
R	- 15	20
F%	+ 27	67
A%	+ 33	58
K	+ 2	0,7
K+k	+ 7	2,4
TRI	+ 2/5 extratensif	

جدول -9- : الدّرجات المعياريّة و الدّرجات المتحصّل عليها فيما يتعلق بمؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي للحالة الثّانية

قيمة (R) منخفضة بخمس درجات عن القيمة المعياريّة كدلالة صريحة لفقر الفضاء التّخيّلي , نجد في المقابل باقي المؤشّرات كلّها إيجابيّة مشيرة إلى سعة في الفضاء التّخيّليّ.يُفسَّرُ هذا التناقض بصعوبة استثمار الفضاء التّخيّليّ

من طرف الحالة (éspace imaginaire inaccessible). يظهر ذلك من خلال قدرة الحالة على استثمار الفضاء التّخيّلي خلال الفترات العاديّة و بكفّ او صعوبة في ذلك أثناء الأزمات الشّدائد .

من خلال ما سبق, يتضّح أنّ الفرضية الثانية لم تتحقّق , أي أنّ الفضاء التخيّلي حتّى وإن كان ناقص الفعالية إلّا أنّه يتميّز بالسّعة وهذا عكس ما افترضناه .

3-فحص الفرضيّة الثّالثة:

يشكّلُ وجود وصيٍّ للّدونة في المحيط العلائقيّ للطّفل اللّدن سندًا يكون له نموذجا تقمّصيّا إيجابيّا، بينما يعدُّ غيّاب هذا الوصيّ في المحيط العلائقيّ للطّفل الغير لدن عقبَةً أمام التّقمُّص الإيجابي.

فرضيّة تتعلّق بمدى توافر نموذج تقمّصيّ إيجابي للحالة الثّانية . أخذت الحالة (م.ن) وقتا معتبرا (حوالي 4 دقائق) قبل الشّروع في رسم الشّخص الأكثر تأثيرا و تفضيلا بالنّسبة لها ، لم يتمّ التدخّل من طرف الباحث طوال هذه الفترة تاركاً كامل المجال و كلّ الحرّيّة للإختيّار.بدأت الحالة برسم أمّها في وسط الورقة بحجم كبيؤ نوعاً ما،يتوسّط الورقة و دون تلوين .

طلبت بعد ذلك مباشرة ورقة أخرى لرسم أبيها ، رسمته هو الآخر وسط الورقة بحجم متوسّط دون تلوين.يُظهِرُ ذلك تعلّقًا بكلا الوالدين مع مسافة علائقيّة أقرب للأمّ منها للأب.

عند سؤال الحالة عن الصّفات المفضّلة عند كلّ من أبيها و أمّها كانت الإجابة (.... بأنّ كليهما طيّب و حنون ،يسعى لإرضائي و توفير كلّ ما أحتاج إليه من أمور مادّية ، إلّا أنّ الأنانيّة تميّزهما ،فكلّ واحد منهما يفضّل العيش

على طريقته عكس ما أصبو إليه .... فأمّي مباشرة بعد الطّلاق كانت ستتزوّج ثانيّة لولا أن منعها مرضي ..... أمّا أبي فأمر مؤكّد أنّه يحبّ امرأة أخرى ، هذا إن لم يكن متزوّجًا سِرًّا .....) .

في سؤالنا عمّا إذا كانت ترغب في أن تصبح مثل أبويها حين تكبر كان ردّها بأنّها بالفعل معجبة بطيبة (bonté) أبويها اتّجاهها إلّا أنّها لا تريد أن ترث منهما أنانيّتهما بتفضيل العيش مفترقين؛ و بأنّها ستسعى بأن تكون جنب أبنائها و رفقة زوجها مهما كانت الظّروف لأنّ حاجة الأبناء لقرب كلا الأبوين ضروريّة .

تُظهِرُ ردودُ فعل الحالة و إجاباتها من جهة عن قلق واضح للتّفريق وعن طبيعة التّعلق الغير آمن الّذي يظهر في بحثها المتواصل عن القرب.ويظهرُ من جهة أخرى أنّ لا أحد من الأبوين يُمثّل بالنّسبة لها نموذجا تقمّصيّا إيجابيّا ، فالعلاقة موجودة واضحة المعالم بين الحالة و أفرادِ عائلتها و بوجهٍ أخصٍّ الأمّ، إلّا أنّ الحالة لم تتمكّن من إيجاد معنى لعيشها في جو لا يجتمع فيه أبواها .تعمل الأمّ و كلّ همّها إشباع حاجات الحالة المادّية أكثر من النّفسيّة الأمر الذي يجعل جانب الإطار القواعدي باهتا .يبيّن هذا غيابَ أهمِّ خاصيّةٍ أو صفة واجبٌ توفّرها في وصيّ اللّدونة ألا وهي خاصيّة الحزم حين الضّرورة و مدى قدرته و مهارته في وضع الحدود و القواعد (règles).

تحقّقت الفرضية الثالثة إذا بالنسبة للحالة الثانية

III. الحالة الثالثة

بالرّجوع للجداول (4)، (10) و (11) نلاحظ أنّ درجة (G = 5) أي بنسبة مئوية (11%) وهي درجة منخفضة مقارنة بإجمالي الإستجابات . (F^+ %=58) و هي درجة مرتفعة .(A%=62) درجة منخفضة مقارنة بالدرجة المعيارية ، في حين نلاحظ أنّ درجة (K) تؤول للصّفر مع (1=K+k) . هذا مع ملاحظة تنويع بين (G) و (D) كإشارة إلى نمط إدراك سلس (غير صلب).

مؤشّرات في مجملها ذات دلالة على قدرة الحالة على استثمار موارده المعرفيّة و على توظيف ذكائه في مختلف المواقف (Richelle, 2009, p. 76)

1–فحص الفرضية الأولى:

للطفلَ اللّدنَ دفاعيّةٌ سلِسة تتيح له درجة مقبولة من التّكيّف مع الواقع، عكس الطّفل الغير لدن الذي يُبين عن دفاعية محدودة و أكثر صلابة لا تسمح بتكيُّفٍ إجتماعيٍّ.

المؤشّر	القيّ المتحصّل عليها	القيّم المعيارية
F%	93 -	57
A%	62 +	68
Ban	3 +	3.7
F^{+}%	58 +	56
D%	55 -	43
H%	20 +	10

جدول –10– :القيّم المتحصّل عليها و القيّم المعياريّة في الرّوشاخ لمؤشّرات الدّفاعية النّفسيّة للحالة الثّالثة

فرضية تتعلّق بالدّفاعية النّفسية و بالتّكيف الإجتماعي.نجد أنّ نسبة (F%) مرتفعة بكثير عن القيمة المعياريّة في إشارة إلى توظيف عقلاني مبالغ فيه (fonctionnement rationnel exagéré) تجلّيا في انخناق (étouffement) الحياة الوجدانية أو العاطفية (la vie affective) و حتّى الشّخصيّة (Richelle, 2009, p. 62).

قيمة (A%) تجاور القيمة المعياريّة .(BAN%) تجاور القيمة المعياريّة هي الأخرى, نفس الأمر بالنسبة لقيمة (F^+%)فهي تطابق القيمة المعياريّة كدلالة على دقّة السّيرورة الإدراكية لدى الحالة و إلى قوّة أناه , يشير ذلك حسب (Anziew & Chabert) إلى قدرة الحالة على توحيد تفكيرة (تركيزه) مع القدرة على الحكم بصفة دقيقة, في ذلك دلالة أيضا إلى قدرة الحالة على إدراك الواقع بطريقة مناسبة (Richelle, 2009, p. 63).

قيمة (D%) مرتفعة بحوالي 12 درجة عن القيمة المعياريّة , في ذلك دلالة على انخناق الحياة الوجدانية, الإنفعالية و الفكريّة,إشارة أيضا إلى سلوك قائم على التّجنّب بحثا عن الأمن في مقابل كل ما هو غير مألوف وجديد (Richelle, 2009, p. 59).

قيمة (H%) في حدود القيمة المعياريّة دون إجابات (K) , يشير ذلك إلى بحث يميّزه القلق عن الإتّصال بالغير كما قد يشير أيضا إلى صعوبات علائقيّة (Richelle, 2009, p. 72) ؟

أربعة مؤشّرات إيجابيّة من مجموع ستّة خاصّة بالتّكيّف مع الواقع في علاقته بالدّفاعيّة النّفسيّة , نستخلص أنّ الفرضيّة المتعلّقة بالدّفاعية النّفسيّة قد تحقّقت.

2–فحص الفرضيّة الثّانية:

يتمتّع الطّفل اللّدن بسعة الفضاء التّخيّلي كعاملٍ لإرصان الصّدمة على عكس الطّفل الغير لدن الذي يعاني فقرًا في الفضاء التخيلي.

المؤشّر	القيّ المتحصّل عليها	القيّم المعيارية
R	+ 43	17.5

F%	- 93	57
A%	+ 62	68
K	- 0	1.2
K+k	- 1	4
TRI	+ Extratensif 0/2.5	

جدول –11– :القيّم المتحصّل عليها و القيّم المعياريّة في الرّوشاخ لمؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي للحالة الثّالثة

فرضيّة تتعلّق بسعة الفضاء التّخيّلي ,إذ أنّ قيمة (R) مرتفعة مقارنة بالقيمة المعياريّة , و في ذلك إشارة واضحة لثراء الفضاء التخيّلي الذي تتمتّع به الحالة .

قيمة (F%) مرتفعة جدّا مقارنة بالقيمة المعياريّة , وفي ذلك دلالة على شدّة الرّقابة (controle) على كلّ ماله علاقة بالخيال و الإبداعية (l'imaginaire créatif) حسب "Rausch De Traubenberg" (1990).

قيمة (A%) معياريّة , أمّا قيمة (K) فتنعدم و تنخفض قيمة (K+k) عن القيمة المعياريّة كإشارة إلى كبح أو كف للحركات الإسقاطيّة أو إلى مراقبة للنشاط التّخيّلي (Richelle, 2009, p. 64) .

إرتفاع قيمة الإجابات الإجماليّة (R=43) و انخفاض قيمتي كلّ من (k) و (K+k) أخذا بعين الإعتبار للإجابات (K) الإضافيّة , نستخلص من ذلك أنّ الوظيفة التّخيّليّة (الفضاء التّخيّلي) تشهد كفّا أو قمعا (Répression) .

ثلاث مؤشّرات إيجابيّة من أصل ستّة مع ارتفاع قيمة (R) و انخفاض قيمة (K) , نستخلص من ذلك أنّ الفرضيّة الثّانية قد تحقّقت نسبيّا ,أي أنّ اظلفضاء التّخيّلي يتميّز بسعة و ثراء إلّا أنه معطّل نسبيّا أو غير مستثمر بكفاية وذلك لتعرّضه للكفّ .

3- فحص الفرضيّة الثّالثة :

يشكّلُ وجود وصيٍّ للّدونة في المحيط العلائقيّ للطّفل اللّدن سندًا يكون له نموذجا تقمّصيّا إيجابيّا، بينما يعدُّ غيّاب هذا الوصيّ في المحيط العلائقيّ للطّفل الغير لدن عقبَةً أمام التّقمُّص الإيجابي.

وُضعت كلّ الأدوات اللّازمة للرّسم أمام الحالة (ب.ف)، وطلب منها رسم الشّخص الأقرب إليها، رسمت الأمّ و الأب في نفس الورقة مستعملة ألوانا مختلفة وبأحجام متناسقة مع حجم ورقة الرّسم.

بدأت الحالة برسم الأب يسارا ثمّ الأمّ يمينا، تفصل بينهما مسافة واضحة ترجمة للمسافة العلائقيّة الموجودة بين أبويها في الواقع.

بعد الإنتهاء من الرّسم سُؤِلت الحالة عمّن تفضّل من بين أبويها فأجابت بعد تفكير للحظات بأنّها تفضّل الإثنين ، أُعيدَ السّؤال ثانيّةً فأجابت بانّها تحبّ الإثنين سويّا مع تفضيلٍ للأب لأنّه بالفعل سندٌ بالنّسبة لها ،يعمل جاهدا لإرضائها ، يزورها باستمرار ، لا يذكر عيبا يتعلّق بها ، فهو دائم المدح لها ؛ أمّا عن الأمّ فتذكر الحالة أنّها أيضا طيبة حنونة ، لكن ما يعاب عليها أنّها تنكر عشرة زوجها (والد الحالة) و تعاديه رغم مرور وقتٍ عن الطّلاق.تُظهرُ الحالة شعورا عميقا بالذّنب تجاه أمّها كدلالة على انشطار الموضوع (الأمّ) ، فهو طيّب أحيانا و سيّء أحيانا أخرى ؛ يظهر ذلك من خلال ردود فعل الحالة المتّصفة بالإشمئزاز و بمشاعر الكره تارة و بالودّ و الشّفقة تارة أخرى.

في سؤال حول ما إذا كانت الحالة ترغب في أن تكون مثل والدها جانب الشّخصية (التّفكير، السّلوك العامّ، نظرته للأمور، طريقة تعامله العامّة ....) فأجابت دون تردّدٍ بالإيجاب مضيفةً بأنّه فعلا سند لها في الحياة و بأنّ الحياة كانت ستكون صعبة للغاية من دونه (اشكره كثيرا لأنّه لم يتصرّف مثل غالبية الآباء المطلّقين) .

صفات وصيّ اللّدونة إذا تميّز أب الحالة (ب.ف) من تعاطفٍ و احترامٍ لإيقاعها إضافة للأخذ من فشلها وضعيّة طرفيّة ساعدتها على النهّوض و مواصلة التطوّر. وجود وصيّ للّدونة في المحيط العلائقيّ للحالة واضح وعليه نستطيع تأكيد تحقّقِ الفرضيّة الثّالثة .

IV. الحالة الرابعة

بالرّجوع للجداول (5)، (12) و (13) نرى أنّ درجة (G=6) أي بنسبة (35%) وهي درجة تميل للإرتفاع عموما. نلاحظ أنّ (**F^{+}%= 93%**) درجة مرتفعة مقارنة بالدّرجة المعياريّة . نلاحظ انخفاض درجة (A%= 52%) . في حين أنّ درجة (K) تؤول للصّفر منخفضة عن الدّرجة المعياريّة (0,8) . نلاحظ أيضا سلاسة فيما يتعلّق بنمط الإدراك في تنوّع بين (G) و (D) .

مؤشّرات تدلّ في مجملها على مستوى مُرضي (satisfaisant) في تعامل الحالة فكريّا و معرفيّا مع المواقف المختلفة. (Richelle & AL, 2009, p. 76)

1-فحص الفرضية الأولى:

للطفلَ اللّدنَ دفاعيّةٌ سلِسة تتيح له درجة مقبولة من التّكيّف مع الواقع، عكس الطّفل الغير لدن الذي يُبين عن دفاعية محدودة و أكثر صلابة لا تسمح بتكيُّفٍ إجتماعيٍّ.

المؤشّر	القيّم المتحصّل عليها	القيّم المعيارية
F%	- 88	64
A%	- 52	64
Ban	+ 3	3.8
F^{+}%	- 93	71
D%	- 58	38
H%	+ 17	14

جدول –12– :القيّم المتحصّل عليها و القيّم المعياريّة في الرّوشاخ لمؤشّرات الدّفاعية النّفسيّة للحالة الرّابعة

فرضيّة تتعلّق بالدّفاعية النفسية و التّكيّف مع الواقع: (F%) مؤشّر سلبيّ لارتفاعه بشدّة عن القيمة المعياريّة ,إذ يُعتبر ذلك مؤشّر على توظيف عقلاني مفرط (fonctionnement excessivement rationnel) من خلال انخناق الحياة الوجدانية (la vie affective) و الشخصيّة.

قيمة (A%) تنخفض بوضوح هي الأخرى عم القيمة المعياريّة كإشارة إلى مراقبة ضعيفة للواقع من طرف الأنا (Richelle, 2009, p. 71) .

(BAN) نجد قيمتها معياريّةً. (F^{+}%) ترتع قيمتها بشدّةٍ عن القيمة المعياريّة, قيمةٌ تدلّ على ضعف درجة الاجتماعيّةِ لدى الحالة (flechissement de la valeur de socialisation) (Richelle, 2009, p. 63)

ترتفع قيمة (D%) بشدّة عن القيمة المعياريّة,حسب "Castro" (2006) ,فإنّ ارتفاع قيمة (D%) يشير إلى انخناق الحياة الوجدانية ,الإنفعاليّة و الشّخصيّة للحالة (Richelle, 2009, p. 59) .

(H%) تجاور قيمتها القيمة المعياريّة.

مؤشّران إيجابيّان من ستّة مؤشّرات تتعلّق بالتّكيف مع الواقع ,نستخلص من ذلك أنّ الفرضيّة الأولى قد تحقّقت.

2-فحص الفرضية الثانية:

يتمتّع الطّفل اللّدن بسعة الفضاء التّخيّلي كعاملٍ لإرصان الصّدمة على عكس الطّفل الغير لدن الذي يعاني فقرًا في الفضاء التخيلي.

فرضيّة تتعلّق بسعة الفضاء التّخيّلي : قيمة (R) معتدلة معيارية. (F%) قيمتها مرتفعة جدّا كمؤشّر سلبي للمراقبة (controle) المسلّكة على الخيال الإبداعي (l'imaginaire créatif), إشارة أيضا إلى انخناق الحياة الوجدانية ,الإنفعاليّة و الشّخصية (توظيف عقلاني مفرط) (Richelle, 2009, p. 62).

(F^+%) تنخفض قيمتها عن القيمة المعياريّة ,يُعدُّ ذلك مؤشّرًا إيجابيّا . (k) و (K+k) تنخفض قيمتاهما المتحصل عليها عن قيمتيهما المعياريّتين كإشارة إلى فقر في الحركات الإسقاطيّة.قيمة (TRI) من جهتها تؤكّد وجود كفٍّ متعلّق بردّات الفعل,إذ تظهر هذه الأخيرة شكليّة سطحيّة تختلف عن ردّات الفعل الخاصّة بالنّمطين (extratensif و introversif) (Richelle, 2009, p. 79).

مؤشّران إيجابيّان من أصل ستّة مؤشّرات متعلّقة بمدى سعة الفضاء التّخيّلي, نستخلص بأنّ الفرضيّة الثّانية قد تحقّقت .

المؤشّر	القيّ المتحصّل عليها	القيّم المعيارية
R	+ 17	16
F%	- 88	64
A%	+ 52	64

K	0 -	0.8
K+k	1 -	3
TRI	Coartatif 0/0.5 -	

جدول –13– :القيّم المتحصّل عليها و القيّم المعياريّة في الرّوشاخ لمؤشّرات سعة الفضاء التّخيّلي

3–فحص الفرضية الثالثة :

يشكّلُ وجود وصيٍّ للّدونة في المحيط العلائقيّ للطّفل اللّدن سندًا يكون له نموذجا تقمّصيّا إيجابيّا، بينما يعدُّ غيّاب هذا الوصيّ في المحيط العلائقيّ للطّفل الغير لدن عقبَةً أمام التّقمُّص الإيجابي.

طُلِبَ من الحالة رسم أقرب و أحبّ شخص و الذي يعتلي أكبر منزلة بالنّسبة إليه ،أخذ وقتا قصيرا ليستفسر عن جنس الشخص، كان ردّنا بأنّه له كلّ الحريّة في الإختيار.

رسم امرأة وسط الورقة بحجم صغير دون ألوان ، لكنّ تركيزه على الاهتمام بالتفاصيل كان واضحا : شكل الأنف ،الأذنين، حجم الرّأس مقارنة بالجسد ، كانت له محاولة في الورقة الأولى ، طلب ورقة ثانية لينقل الرّسم دون شطب ..... سؤل عن فائدة ذلك فكانت إجابته بأنّه يرسم أعزّ شخص في حياته و عليه أن يظهره كما هو .....

في سؤال للحالة عن الخصائص الإيجابية الّتي يحبّذها في والدته كانت إجابته بأنّها الرّئتان اللّتان يتنفّس بهما ، متفهّمة، صبورة، مهتمّة بي و بكلّ ما أنا بحاجة إليه ..... منذ صغري و هيّ تضعني في مقدّمة أولويّاتها ،تعاملني كالكبار و هذا ما يعجبني .....

سؤل الحالة عمّا إذا كان يريد أن يصبح مثل أمّه حين مستقبلا فسبقت إجابته إبتسامة "كيف أصبح مثلها ؟ هي أنثى و أنا ذكر **!** " ، طرح السؤال بطريقة أخرى فأكّد الحالة أنه يودّ بكلّ تأكيد أن يتبنّى خصائص والدته من صبر و تفهّم و ثقة بالنّفس .... عكس والده المهمل الحقود في نظره .

صفات أو ملامح شخصية إيجابيّة في والدة الحالة تؤهّلها لتكون وصيّا للّدونة أو النّمو،فمن خلال ما سبق يتبيّن أنّ الحالة قد تمكّن من إيجاد نموذج تقمّصي في محيطه .

نستخلص بأنّ الفرضيّة الثّالثة لم تتحقّق بالنّسبة للحالة الرّابعة.

2-حوصلة النّتائج و مناقشتها:

2-1- حوصلة النّتائج:

حوصلة للنّتائج المتحصّل عليها على ضوء فرضيّات البحث ، نستطيع ايجازها كالتّالي:

أ-الأطفال اللّدنون :

-الحالة الأولى :

الفرضية الأولى : تحقّقت الفرضيّة.

الفرضيّة الثّانيّة: تحقّقت الفرضيّة.

الفرضيّة الثّالثة: تحقّقت الفرضيّة.

-الحالة الثّالثة :

الفرضية الأولى : تحقّقت الفرضيّة.

الفرضيّة الثّانيّة: تحقّقت الفرضيّة نسبيّا (فضاء تخيّلي غير فعّال، غير مستثمَر رغم سعته)

الفرضيّة الثّالثة: تحقّقت الفرضيّة.

ب- الأطفال الغير لدنين :

-الحالة الثّانية:

الفرضية الأولى : تحقّقت الفرضيّة.

الفرضيّة الثّانيّة: لم تتحقّق الفرضيّة (فضاء متميّز بالسعة و بعدم الفعاليّة).

الفرضيّة الثّالثة: تحقّقت الفرضيّة.

-الحالة الرّابعة:

الفرضية الأولى : تحقّقت الفرضيّة.

الفرضيّة الثّانيّة: تحقّقت الفرضيّة.

الفرضيّة الثّالثة: لم تتحقّق الفرضيّة الفرضيّة.

فيما يلي حوصلة لما ذكر في جدول.

	الحالة الأولى (لدنة)	الحالة الثّالثة (لدنة)	الحالة الثّانية (غير لدنة)	الحالة الرّابعة (غير لدنة)
الفرضية الأولى	تحقّقت	تحقّقت	تحقّقت	تحقّقت
الفرضية الثّانية	تحقّقت	تحقّقت نسبيا	لم تتحقّق	تحقّقت
الفرضيّة الثّالثة	تحقّقت	تحقّقت	تحقّقت	لم تتحقّق

جدول –14–: حوصلة النتائج

من خلال هذه النّتائج، نلاحظ مايلي:

- تحقّق الفرضيّة الأولى المتعلّقة بالدفاعيّة النفسيّة و علاقتها بالتّكيّف مع الواقع بالنّسبة لكلّ الحالات ،لدنة كانت أو غير لدنة .
- بالنّسبة للفرضيّة الثّانية ،المتعلّقة بسعة الفضاء التّخيّلي ،فقد تحقّقت مع حالتين، إحداهما لدنة (الحالة الأولى) و الأخرى غير لدنة (الحالة الرّابعة)؛تحقّقت نسبيّا مع الحالة الثّالثة (حالة لدنة) ولم تتحقّق مع حالة واحدة (الحالة الثّانيّة ،وهي حالة غير لدنة).
- لم تتحقّق الفرضيّة الثّالثة مع حالة واحدة (الحالة الرّابعة و هي حالة غير لدنة) مع تحقّقها مع الحالات الثّلاث الأخرى.
- تحقّقت الفرضيّات الثّلاث كلها مع حالة واحدة، الحالة الأولى و اللّتي تعتبر حالة لدنة،بينما كان تحقّق الفرضيات مع الحالات الثّلاث الأخرى نسبيّا أو جزئيّا.
- تحقّق الفرضيّة الثّانية نسبيّا (كفٌّ في الفضاء التّخيّلي) مع الحالة الثّالثة (حالة لدنة) لم يعق تفعيل سيرورة اللّدونة. نفس الأمر بالنّسبة للحالة الثّانيّة (حالة غير لدنة) ،إذ أنّ سعة الفضاء التّخيّلي المتعرّض للكفّ لم

تسمح بتفعيل اللّدونة في غياب دفاعية سَلِسة فعّالة. لم يسمح كذلك وجود نموذج تقمّصي إيجابي في محيط الحالة الرّابعة (حالة غير لدنة) بتفعيل اللّدونة في غياب دفاعية نفسية فعّالة.

- فيما يتعلّق بالفرضية الأولى، نجد أنّ تحقّقها يُعدُّ ضروريّا ، مؤكّدا لدى جميع الحالات لدنة كانت أم غير لدنة؛ فاللّجوء لآليات دّفاعية تكيّفيّة (mécanismes adaptatifs) اتّضح من خلال الرّوشاخ أنّه ضروريّ ،يُعدُّ ذلك نقطة مُحدِّدةً فارقة بين أطفال العيّنة اللّدنين و الغير لدنين.يظهر ذلك في قدرة الحالة الأولى على التّكيّف الإيجابي مع الواقع من خلال تحاشيه للمشاحنات و الصّراعات مع الأقران و التّركيز على أهمّية العلاقات الشّخصيّة ،إنغلاقه على نفسه مدّة من الزّمن عقِب الطّلاق ثمّ انطلاقته من جديد بالإجتهاد والتّركيز على العطاء أكثر في الدّراسة تخطيطا لمستقبل أفضل .بالنّسبة للحالة الثّانية، تَظهَرُ عدم فعالية الآليات الدّفاعيّة في استيعابها و رغبتها المستمرّة في عودة العلاقة بين والديها كنوعٍ من التّثبيت؛إضافة إلى انهيارها أمام فكرة إعادة ارتباط والدتها.أمّا الحالة الثّالثة فتُظهِرُ ميلا واضحا نحو التّفوّق و إصرارا على النّجاح رغم الظّروف الصّعبة اللّتي اجتازتها جرّاء طلاق والديها و حبس (incarcération) والدتها كحادثين كتزامنين. أمّا الحالة الرّابعة فتُظهِرُ انسحابا من الواقع واتّكاليّةً في كلّ شيء.

تلعب سعة الفضاء التّخيّلي دورا أقلّ أهمّيةً و هذا ما يظهر مع الحالة الثّالثة ،إذ نرى أن تحقّق الفرضيّة المتعلّقة به (الفرضيّة الثّانيّة) كان نسبيّا ،أي تميّزُ الفضاء التّخيّلي بالسّعة دون استثماره أو فعاليّته في الظّروف الحاليّة . يظهر ذلك مع الحالة الثّانية أيضا ،إذ و بالرّغم من عدم فعاليّة فضائها التّخيّلي (حاليّا) إلّا أنّه يتميّز بالسّعة .

تحقّقُ الفرضيّة الثّانيّة نسبيّا لدى الحالة الثّالثة (حالة لدنة) ،أي رغم سعة الفضاء التّخيّليّ في الظّروف العاديّة إلّا أنّه تعرّض للكفّ خلال الظّروف التي تميّزت بالشّدّة و الصّعوبة ؛ رغم ذلك نجد أنّ سيرورة اللّدونة لم تتأثّر (لم تُعَقْ) ، نفس الأمر بالنّسبة للحالة الثّانية اللّتي تعتبر غير لدنة ، فرغم فشل سيرورة اللّدونة و رغم عدم فعالية الفضاء التّخيّليّ

إلّا أنّ هذا الأخير و حسب النّتائج المتحصّل عليها من خلال اختبار "الرّوشاخ" يتميّز بالسّعة وهذا عكس ما فترضناه.

تحقّقت الفرضيّة الثّالثة مع ثلاث حالات من أربع، فالحالة الرّابعة رغم اعتبارها غير لدنة إلّا أنّها قد تمكّنت من إيجاد نموذج تقمّصيّ في محيطها العلائقيّ ،نجاحها في إيجاد هذا النّموذج التّقمّصيّ لم يسمح لها بتفعيل اللّدونة كسيرورة .

2-2- مناقشة النّتائج على ضوء الفرضيّات:

من خلال البحث المنجز على عيّنة من أربعة أطفال ضحايا الطّلاق، إثنين منهم لدنان (2 cas résilients) و إثنين غير لدنين (2 cas non résilients) وذلك استنادا إلى معايير تشخيصيّة تتعلّق بالسّلامة من التّظاهرات المرضيّة الجسديّة و النفسيّة إضافة إلى مقارنة مستوى التّحصيل قبل الطّلاق و بعده (Tychey & J.Lighezzolo, 2004) ؛ بحث متمثّلٌ في دراسة العوامل السّيكوديناميّة في علاقتها مع سيرورة اللّدونة ، كانت نتائج البحث كالتّالي :

- فيما يخصّ الفرضيّة الأولى المتعلّقة بتميّز الأطفال اللّدنين (résilients) بدفاعية سلسة تسمح لهم بحماية الأنا في مواجهة الصّدمات و الشّدائد مواصلةً للتّطوّر مقارنةً بالأطفال الغير لدنين (non résilients) و المتميّزين بدفاعية صلبةٍ غير فعّالة لا تسمح بتفعيل اللّدونة كسيرورة ؛ كانت النّتائج المتوصّل إليها مُؤكِّدةً لهذه الفرضيّة.

- أمّا الفرضيّة الثّانيّة المتعلّقة بسعة الفضاء التّخيّليّ لدى الأطفال اللّدنين مقارنةً بالأطفال الغير لدنين المتميِّزِ فضاؤهم التّخيّليّ بالفقر (pauvreté de l'éspace imaginaire) ،إذ تبيّن من خلال نتائج البحث

أنّ الفرضيّة محقّقةٌ نسبيّا ،فالحالة الثّانيّة (حالة لدنة) فضاؤها التّخيّلي غير فعّال على الرّغم من سعته،أمّا الحالة الثّالثة و على عكس ما افترضناه فقد تميّز فضاؤها التّخيّلي بالسّعة و عدم الفعاليّة.

– الفرضيّة الثّالثة المتعلّقة بأهميّة و ضرورة وجود نموذج تقمصيّ إيجابيّ في المحيط العلائقي للطّفل، فقد تحقّقت مع ثلاث حالات إلّا مع الحالة الرّابعة (حالة غير لدنة)، وبناءا على هذا فإنّ تحقّقها هي الأخرى كان نسبيّا (تحقّقت مع حالة غير لدنة و لم تتحقّق مع حالة غير لدنة أخرى ، بينما تحقّقت مع الحالتين اللّدنتين) ،وبهذا فإنّ مدى توفّروصيّ اللّدونة في المحيط العلائقي للطّفل يُعدّ ضرورة لتحقُّق الفرضيّة مع الحالتين اللّدنتين و تحقّقها نسبيّا مع الحالات الغير لدنة. .

يمكن إيجاز نتائج البحث في أنّ الدّفاعيةّ النفسية السّلسة تعدّ عاملا ضروريّا و محدّدا يسمح للأطفال ضحايا الطّلاق بتفعيل اللّدونة كسيرورة ، بينما يأتي النّموذج التّقمّصي المتوفّر في المحيط العلائقي للطّفل كداعم في المرتبة الثّانيّة من حيث الأهميّة ،لتأتي سعة الفضاء التّخيّلي أقلّ أهميّة من الدفاعية النفسيّة و النّموذج التقمّصي الإيجابي.

هناك توافق لنتائج بحثنا مع البحث المنجز من طرف "A .Theis" (2006) فيما يتعلّق بالفرضيّة الأولى،إذ تأكّدت ضرورة جاهزية منظومة دفاعية سلسة تتيح تكيّفا مع الواقع و تقي الطّفل ضدّ التفكّك النّفسي و العقلي. اختلفت نتائج بحثنا مع نتائج بحث " A .Theis" فيما يخصّ سعة أو ثراء الفضاء التّخيّلي في علاقته بتفعيل سيرورة اللّدونة لدى الأطفال أفراد العيّنة فقد خلصنا من خلال البحث المنجز بأنّ هذا العامل يعدّ أقلّ أهمّية من الدّفاعيّة النفسيّة و من ضرورة توفّر وصيّ اللّدونة ،في حين أكّدت نتائج بحث "A .Theis" (2006) بأنّ سعة الفضاء التّخيّلي مقترنة بالعقلنة تعدُّ عاملا مدعِّما للدّفاعية النفسيّة في تفعيل سيرورة اللّدونة حتّى وإن كان أقلّ أهمّيةً مقارنة بالدّفاعيّة النّفسيّة مع أسبقيّته على ضرورة توفّر وصيّ اللّدونة.قد يعود سبب اختلاف هذه تباين هذه النّتائج بلعب

وصيّ اللّدونة كعامل خارجيّ مدعِّمٍ للدّفاعية النّفسية دور المرافق للطّفل موفّرا جهد اللّجوء إلى الفضاء التّخيّلي و معوّضا له في حالة فقره.

إختلفت نتائج بحثنا مع النّتائج المتوصّل إليها في بحث " A .Theis" (2006) فيما يتعلّق بوصيّ اللّدونة، إذ خلصنا إلى أنّ وصيّ اللّدونة يعتبر مهمّا أكثر من سعة الفضاء التّخيّلي في تفعيل سيرورة اللّدونة ،في حين خلصت نتائج بحث " A .Theis" إلى عكس ذلك بعدم أهمّية هذا العامل.وقد يرجع ذلك احتمالا لفقد الأطفال الثّقة في مقدّم الرّعاية حتّى وإن تميّز بصفات اللّين ،القرب و التّفهّم.... فقد يكون الطّفل حذرا في علاقته به متخوّفا من تكرار سيناريو التّعنيف و الفقدان أو التّخلّي (l'abondon).

يشير "C.De Tychey" (2001) إلى الوظيفة المحوريّة للآليّات الدّفاعيّة في معالجة العواطف (affects) المزعجة المتولّدة عن الصّراعات و الصّدمات، يشير أيضا إلى دورها في تفعيل سيرورة اللّدونة على المدى القصير (court terme) بينما تلعب العقلنة (mentalisation) دورا هامّا في تفعيل هذه السّيرورة على المدى البعيد (long terme) .يعرض الباحث أهمّ الآليّات الدفاعية الممكن اللّجوء إليها في مواجهة الإثارة الزّائدة (l'excès de l'excitation) :اللّجوء للخيال (recours à l'imaginaire) ،الإنقسام (clivage)،روح الدّعابة (humour) ،الإنكار (déni) ، العقلانية (intellectualisation) مع أولويّة اللّجوء للخيال خلال سيرورة اللّدونة حفاظا على التّوازن النّفسي (De Tychey, 2001, pp. 53-55).

يوفّر لنا الإطار النّظري السّيكوديناميّ توضيحات و إجابات حول اللّدونة كسيرورة نفسيّة و ذلك من خلال إبراز الدّور الجوهري للآليّات الدفاعيّة (Anaut, 2015, p. 34).

هناك اتّفاق بين مختصّي اللّدونة على انحصار عوامل الحماية (facteurs de protection) ضمن الجوانب الثّلاثة التّاليّة : عوامل تتعلّق بذاتيّة الفرد أي بخصائصه الشّخصيّة،أخرى تتعلّق بالمحيط العائلي بكلّ ما يوفّره من سند و دفء في العلاقات،و يتعلّق الجانب الثّالث من العوامل بالمحيط الاجتماعي الموسَّع كالأقران و المؤسسات الإجتماعيّة.

تشير "Emmy Werner" إلى العوامل المتعلّقة بالمحيط:علاقات عائليّة متميّزة بالدّفء العاطفي،سند إجتماعي موثوق، تواصل جيّد بين الأبناء و الآباء، إضافة إلى السّند المتأتّي من خارج الإطار العائلي كالأصدقاء و المربّين (المدرّسين).يؤكّد " Norman Garmezy " من جهته على أهمّية عامل السّند من خلال توفّر بيئة عائليّة منسجم و متناسقة ، إهتمام الآباء أو من يشرف على رعاية الطّفل (Anaut, 2015, p. 33) .

جاءت نتائج بحثنا فيما يخصّ الفرضيّة الأولى و الثّالثة متوافقة مع ما يذهب إليه كلّ من "Emmy Werner" و "Norman Garmezy" إذ يؤكّدان على الدّور الجوهري للآليّات الدّفاعيّة في حماية الطّفل من الصّراعات الدّاخليّة و الخارجيّة وقايةُ له من التّفكّك وضمانا لتفعيل سيرورة اللّدونة ،إضافة إلى أهمّية السّند الاجتماعي والِدًا كان (parent)،مدرِّسًا أو مؤسسة إجتماعيّةً في الأخذ بيد الطّفل و مرافقته خلال سيرورة اللّدونة.إذ وبالإستناد للموروث النّظري و حسب نتائج بحثنا فإنّ توفّر وصيّ اللّدونة في المحيط العلائقي للطّفل كعامل خارجي يخفّف العبء على منظومته الدّفاعية المعتَبَرةِ الأهمَّ في سيرورة اللّدونة وذلك في علاقة تكامليّة تدعيميّة.

تتدعّم نتائج بحثنا بالنّتائج التي خلصت إليها أبحاث "Michael Rutter " ،إذ يقدّم تعريفا للّدونة على أنّها عبارة عن مجموعِ سيروراتٍ (ensemble de processus) ذات بعدٍ إجتماعي و نفسيّ عميق (intrapsychique) تجعل العيش ممكنا بطريقة صحيّة (vivre sain) في محيط غير صحّيّ، تنبثق اللّدونة مع الوقت من خلال تراكب أو إلتقاء عشوائي (combinaison hasardeuse) بين خصائص الطّفل

الشّخصية و بيئته العائلية،الاجتماعية و الثّقافية. ترجع اللّدونة إذا حسب "Michael Rutter" إلى سيرورة منبثقة عن تداخلٍ بين موارد الطّفل الشّخصية وموارد بيئته (Anaut, 2015, p. 33).

يذكر "Bergeret" (1991) بأنّ الخيال (l'imaginaire) يعتبر أهمّ الآليّات التي يتمّ اللّجوء إليها في مواجهة الإثارة الشّديدة (l'excès de l'excitation)؛ يُعرَّف الخيال بالنّسبة إليه على أنّه النّشاط الواعي أو اللّواعي الأحلام و الهوامات (activité de reves et de fantasmes) ،المتشكّل من الهوامات القبل شعورية،الشعوريّة و اللّاشعوريّة أو البدائيّة.يسمح الخيال للفرد بتجنّب الشّعور بالضّعف أمام ضغط العوامل الخارجيّة . (lighezzolo & de tychey, 2004, pp. 59-60)

يربط "Bergeret" الخيال بالعقلنة (mentalisation) ،إذ تعتبر هذه الأخيرة ترجمةً للخيال أو بالأحرى واحدة من أوجه توظيف الخيال، مخالِفةً للجسدنة (somatisation) و للسّلوك (lighezzolo & de tychey, 2004, p. 64) .

ترى "Mrty" (1991) بأنّ نوعيّة العقلنة و كذا الفضاء التّخيّلي قد تختلف من شخص لآخر، مع جوهريّة تأثيرهما في تفعيل سيرورة اللّدونة (lighezzolo & de tychey, 2004, p. 65) .

تؤكّد "F .Dolto" (1984) على أهميّة النّشاط التّرفيهي من خلال اللّعب (activité ludique) بعد اللّغة و نمط استعمالها كعاملَينِ مُحدِّدَيْن لنشأة و تعزيز الفضاء التّخيّلي خدمة لسيرورة اللّدونة (lighezzolo & de tychey, 2004, p. 67).

تؤكّد الأدبيّات المتعلّقة باللّدونة بأنّ دور الفضاء التّخيّليّ يعدّ جوهريّا في إرصان الصّدمة،إذ يسمح بعقلنتها من خلال تأويلها أي من خلال إعطائها معنى، و بالتّالي القدرة على التّعامل معها على المستوى العقلي؛إلّا أنّ نتائج

بحثنا أبانت عن دور أقلّ أهمّية لسعة الفضاء التّخيّليّ مقارنةً بالدّور الذي تلعبه الآليّات الدّفاعية و مدى توفّر وصيّ اللّدونة،إذ أكّدت نتائج البحث عن إمكانية تفعيل سيرورة اللّدونة حتّى دون إشراكٍ أو فاعليةٍ للفضاء التّخيّليّ (لفقره أو تعرضه للكفّ) شرط توفّر دفاعيّة سلسة و وصيّ للّدونة كسندٍ إجتماعيّ. وقد يرجع هذا الإختلاف في النّتائج احتمالا للدّور التّكامليّ بين الدّفاعيّة السّلسة كعامل داخليّ محوريّ مُدعّمًا بوصيّ اللّدونة كعامل خارجي و كسند يرافق الطّفل من خلال توفير نموذج تقمّصيّ إيجابي.

خاتمة:

إنصبّ اهتمامنا من خلال هذا البحث على دراسة العلاقة بين الدّفاعيّة النّفسيّة و اللُّدونة من جهة ،وبين سعة الفضاء التّخيّلي و اللُّدونة من جهة أخرى,إضافة إلى علاقة اللُّدونة بتوافر السّند الإجتماعي،تبيَّن بعد فحص الفرضيّات أنّ لدونة أطفال العيّنة مرتبطة بدفاعيّة سلسة متنّوعة تسهّل التّكيّف مع الواقع إذ تعدّ هي العامل المحدّد و الفاصل بين الأطفال اللّدنين و الأطفال الغير لدنين ،تبيّن أيضا أنّ النّموذج التقمّصي الموجود في المحيط العلائقي للطّفل يُعتبر عاملا مساعدا و داعما لسيرورة اللّدونة ولكن بدرجة أقلّ أهميّة من الدّفاعية النفسية، لتأتي سعة الفضاء التّخيّلي في المرتبة الثّالثة من حيث الأهميّة ؛فقد تكون عاملا مساعدا دون أن يكون لها وزن المحدّد .وفي المقابل وجدنا أنّ الطّفل يبتعد عن اللُّدونة كلّما تصلّبت دفاعيّته.

تحرّينا الدِّقّة قدر المستطاع لتشخيص اللُّدونة عند افراد العيّنة، لكن وبالرّغم من ذلك فإنّنا لا نستطيع الجزم بإمكانية تعميم النتائج المتوصّل إليها من جهة، كما أنّنا من جهة اخرى لا ننتقص من أهميّة هذه النّتائج الّتي يمكنها أن تؤخذ بعين الإعتبار وفي ظروف مماثلة مع عيّنات مشابهة ومتناسقة مع عيّنة بحثنا، يرجع هذا الإحتراز بالطّبع لطبيعة البحوث الكيفيّة الّتي ترتكز على العمق لا على الوصف.

في اختيارنا لأفراد العيّنة، حرصنا على أن تكون العيّنة متجانسة من حيث السّنّ، المستوى العقلي (الذّكاء)، المستوى الدّراسي استنادا إلى العلامات والمعدّلات المتحصّل عليها سابقا من قبل أفراد العيّنة، إضافة إلى المستوى الإقتصادي ونمط الحياة العامّ لأسرة الطّفل (أب، أمّ، أو أيّ أطراف متكفّلة بالإنفاق على الطّفل بعد الطّلاق)، وهذا لنتمكّن من حصر متغيّرات البحث بغية التّحكّم فيها.

تجدر الإشارة إلى أنّ تقييم المستوى العقلي العامّ لم نعتمد فيه على اختبارات تقييم الذّكاء وإنّما كان ذلك استنادا لتأكيدات الأوليّاء والمعلّمين، إضافة إلى المستوى العامّ من خلال الملاحظة المباشرة أثناء المقابلات، إذ يمكن

القول أنّ مستوى ذكاء أفراد العيّنة يعتبر عاديّا أي بعيدا عن الضّعف والإضطراب، الأمر الذي تأكّد ايضا من خلال اختبار الروشاخ.

إضافة لما سبق و كانتقاذ نراه بنّاءا لبحثنا ارتأينا أن نطرح التّساؤل التّالي: رغم تجانس العيّنة، ألا يمكن أن يكون لعامل الجنس (النّوع) تأثير مباشر أو غير مباشر في سيرورة اللُّدونة؟ لم يكن بوسعنا التحقق من هذا الإشكال التزاما بتوجّه البحث وأهدافه المحدِّدة، لذا فإننا نرى أنّه من الأجدى أن يكون ذلك ضمن آفاق هذا البحث.

درس موضوع اللُّدونة عند الأطفال وتقاربت النّتائج على اختلاف التّوجّهات، فمنها ما ركّزت على العوامل والأسباب، ومنها ما ركّزت على الآليّات، ومنها ما ركّزت على طرق وتقنيّات التّكفّل بالأطفال في حالة خطر تقديما للدعم وربحا للجهد والوقت.

في بحثنا هذا ركّزنا على ثلاث عوامل سيكوديناميّة فقط ليس تناسيا أو تجاهلا منّا لعوامل أخرى مهمّة وإنّما إدراكًا منّا أنّ الموضوع متشعّب، عميق وأعمق من أن يجمع بين كلّ العوامل في بحث واحد، يُعدُّ هذا أيضا من الدّواعي لتوسيع زاويّة البحث في موضوع اللُّدونة لدى الأطفال مهما كانت صعوباتهم الوجوديّة.

الملاحق

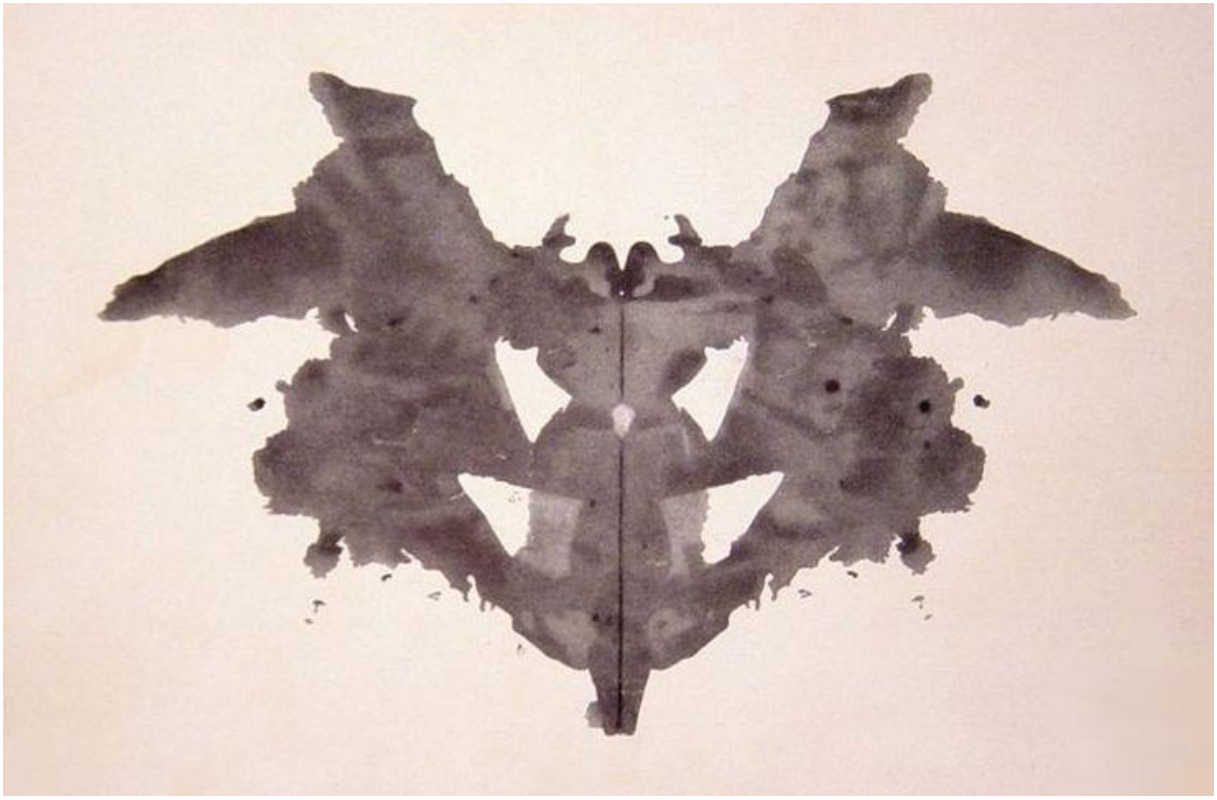

اللّوحة الأولى لاختبار الرّوشاخ

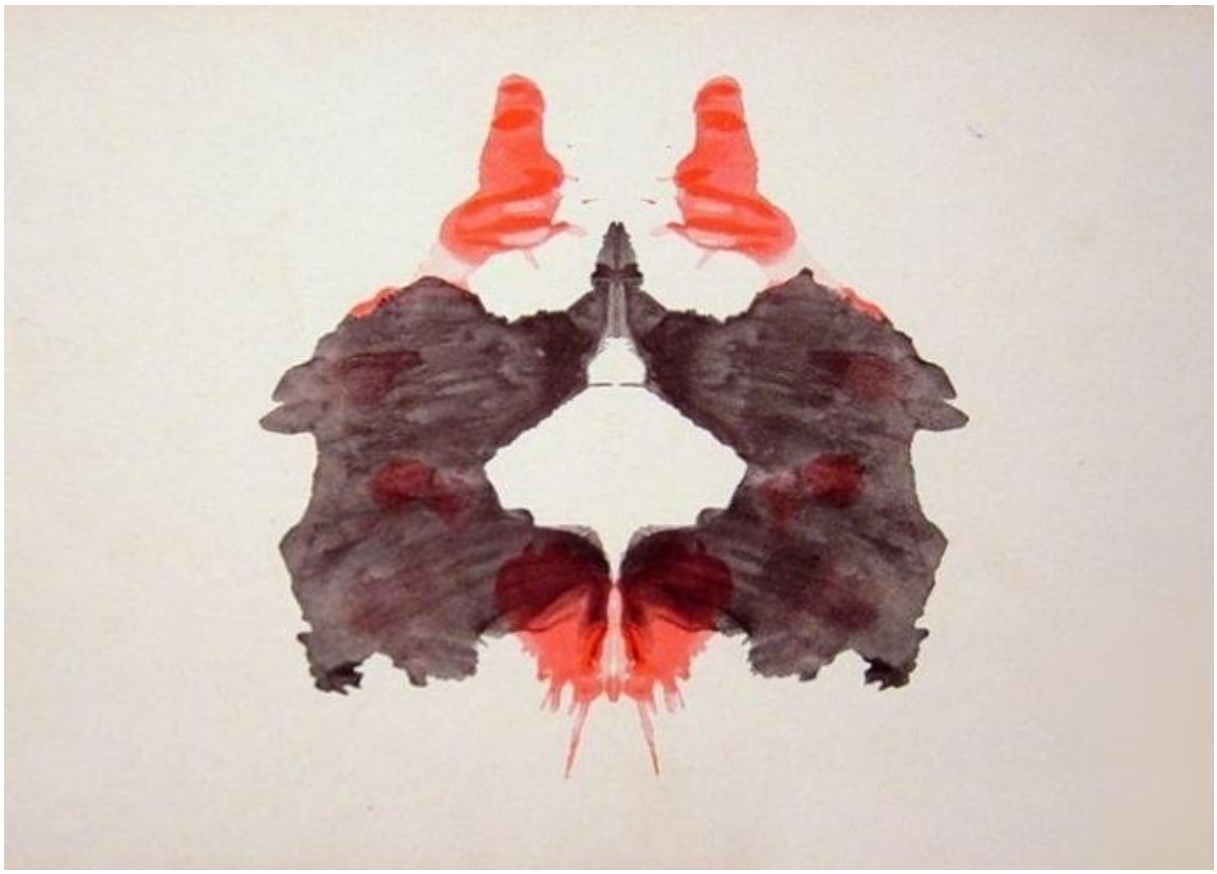

اللّوحة الثّانية لاختبار الرّوشاخ

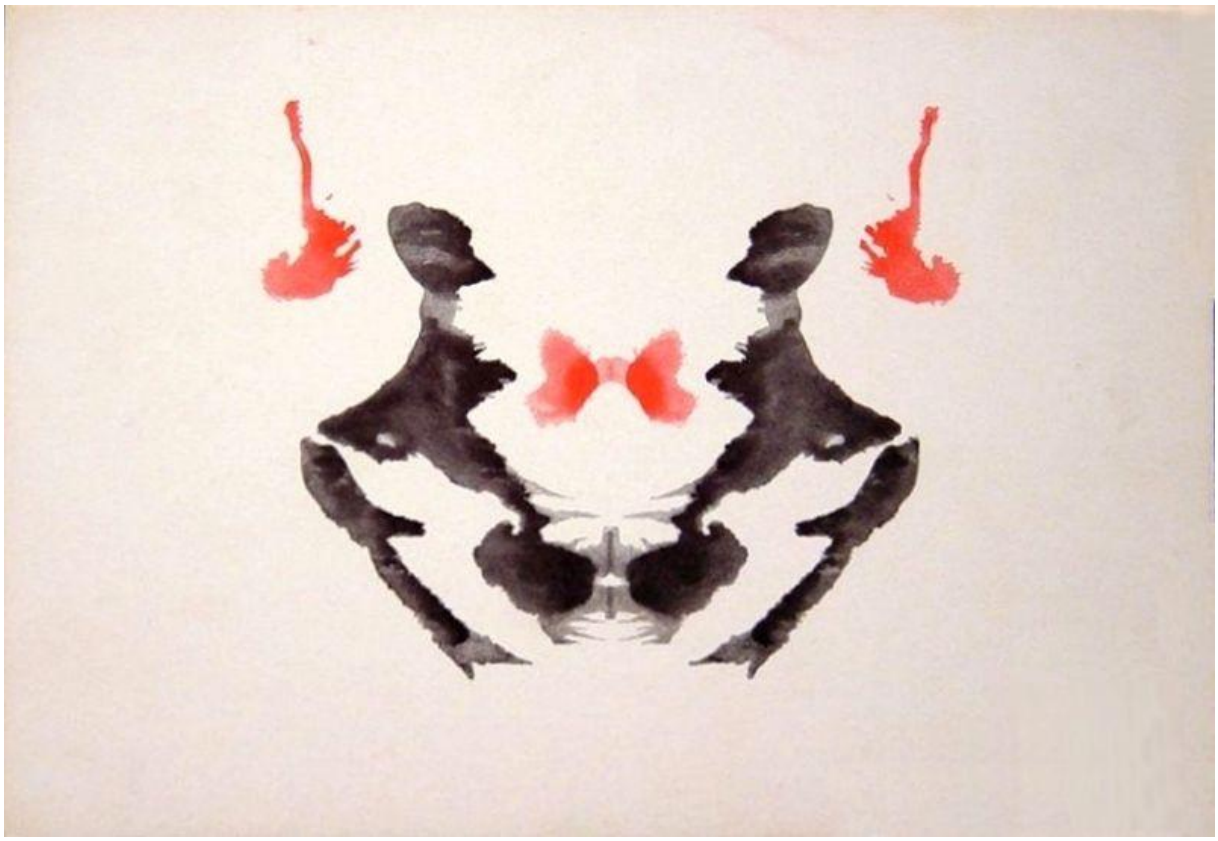

اللّوحة الثّالثة لاختبار الرّوشاخ

اللّوحة الرّابعة لاختبار الرّوشاخ

اللّوحة الخامسة لاختبار الرّوشاخ

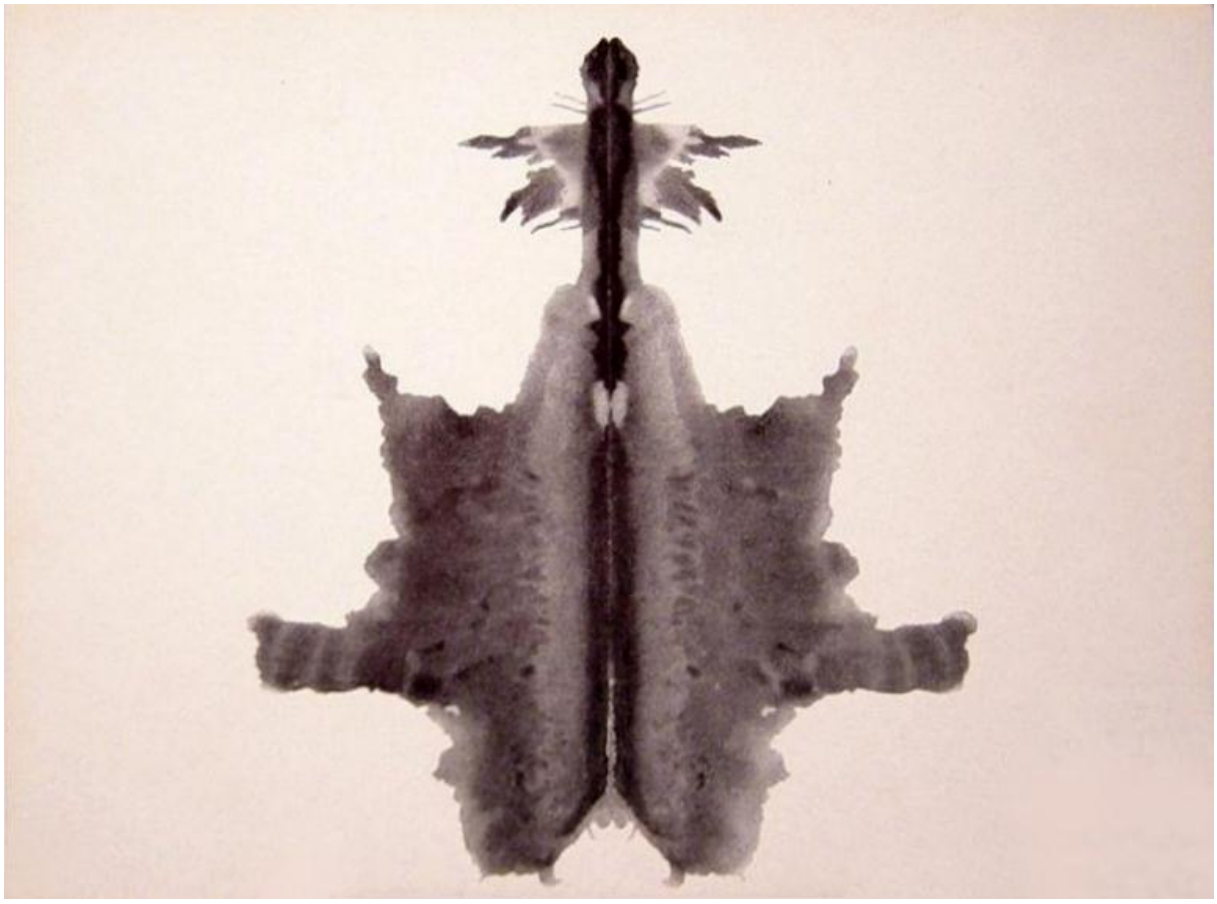

اللّوحة السّادسة لاختبار الرّوشاخ

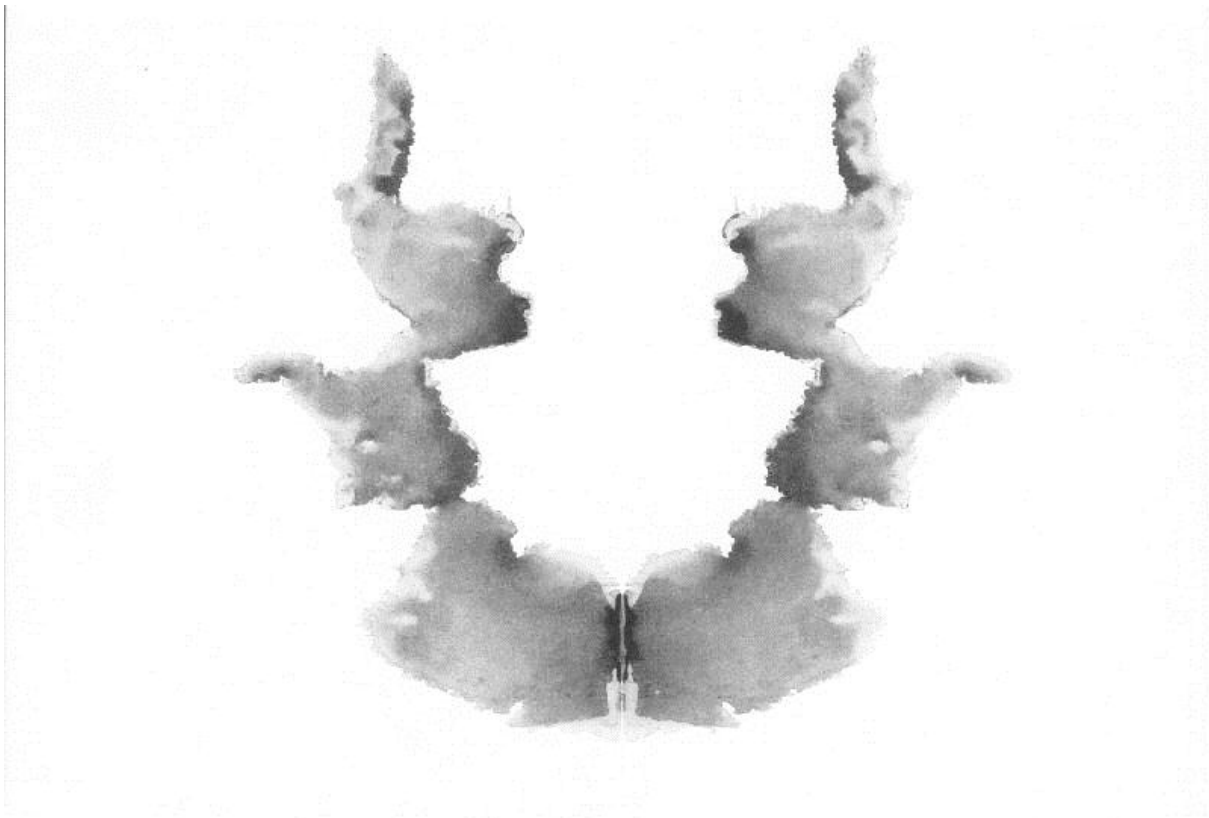

اللّوحة السّابعة لاختبار الرّوشاخ

اللّوحة الثّامنة لاختبار الرّوشاخ

اللّوحة التّاسعة لاختبار الرّوشاخ

اللّوحة العاشرة لاختبار الرّوشاخ

القيّم المعياريّة الخاصّة بالأطفال في الروشاخ (J.Blomart)

NORMES RORSCHACH POUR ENFANTS DE JEANNINE BLOMART *

		Garçons		Filles	
		8-10 ans	10-12 ans	8-10 ans	10-12 ans
Productivité	R	16	21	17,5	20
Localisation	G%	54%	57%	49%	45%
	D %	38%	33%	43%	43%
	Dd%	7%	8,5 %	7,5 %	11%
	bl%	1%	2%	0,7%	1%
	Bl + Bl %	8,15 %	11,7%	6,3 %	9%
Appréhension formelle	F %	64%	69%	57%	67%
	F+%	71%	64%	56%	69%
Déterminants kinesthésiques	K	0,8	1,1	1,2	0,7
	kan	1,7	1,4	2,7	1,3
	kob	0,5	0,9	0.4	0,4
	kp	0.04	0,02	0,05	0,03
Contenus	Ban	3,8	3,6	3,7	4
	A%	64%	53%	68%	58%
	H %	14%	13%	10%	13%
	IA%	9%	6%	8,5 %	8%

* J. BLOMART. Le Rorschach chez l'enfant et l'adolescent. Paris : EAP. 1998. p. 11-29.

السيكوغرام (Psychogramme)

Production	appréhension	Déterminants	contenus
R=	Nbre / %	F^+=	H=
R additive=		F^-=	(H) =
	G =	F=	Hd=
Tps total :	D =		(Hd) =
Tps moy./pl.	Dd =	**F%=**	
Tps lat. moy. :	Dbl =	**F% élargi=**	**H%=**
	Do/Di =	**F^+%=**	
		F^+% élargi=	
	G D Dd Dbl		A=
		FC= FC'=	**(**A**)=**
		CF= C'F=	Ad=
		C= C'=	(Ad)=
		FE= FClob=	**A%=**
		EF= ClobF=	
		E= Clob=	Elt=
			Frag=
		K=	Alim=
		Kan=	Géo=
		Kp=	Bot=
		Kob=	Pays=
		K C=	Anat=
		Kan C=	Sex=

		Kob C= Kp C= **TRI :** **F.COMP. :** **RC%=** **FC/CF+C :**	Sg= Obj= Symb= Sc= Art= Abs= **Ban=** **Ban%=** **IA%=** **Incert .Int. =**

المؤشرات الشكلية و صيغ الحساب

Chaque sigle rend compte de la fréquence des différentes cotations des réponses :

R	Nombre total de réponses cotables
Refus	Nombre de planches pour lesquelles aucune réponse cotable n'a été donnée (accompagné du numéro des planches concernées)
Tps total	Temps total de passation (= somme des temps totaux à chaque planche)
Tps moy. / pl.	Temps moyen par planche (= temps total divisé par le nombre de planches où au moins une réponse cotable est répertoriée)
Tps lat. moy.	Temps de latence moyen (= somme des temps de latence divisée par le nombre de planches interprétées, en secondes)
Localisation	Etablir un relevé des réponses pour chaque catégorie topographique (G, D, Dd, Dbl) et calculer les pourcentages respectifs de chacune par rapport au nombre total de réponses (G%, D%, Dd% et Dbl%). Souligner les catégories dont la valeur est supérieure à la norme et mettre entre parenthèses celles dont la valeur est inférieure à la norme). Ex : G (D) (Dd) Dbl. Relever également les Do / Di et les réponses position (Po).
Déterminants	Etablir un relevé des réponses pour chaque catégorie de déterminants (F, C, E, Clob, K, kan, kob, kp), y compris les déterminants associés (FC, CF, FE, EF, FClob, ClobF, KC, kanC, kobC). Pour les déterminants formels F et F+, calculer les pourcentages correspondant : F% (somme totale des F divisée par R, x 100) et F+% (somme des F+ additionnée de la moitié de la somme des F±, divisée par le nombre total des F, x 100). $F\% = \frac{\text{Nombre total des F}}{R} \times 100$ $F+\% = \frac{\text{nombre de } (F+) + \left(\frac{F\pm}{2}\right)}{\text{nombre total de F}} \times 100$ Lorsque les valeurs F% et F+% sont basses, calculer systématiquement un F% élargi et un F+% élargi : F% élargi (nombre total des F + K + kan + FC + FE + FClob, divisé par R, x 100) et F+% élargi (somme totale des F+, F± / 2, K+, kan+, FC+, FE+, FClob+, divisé par le nombre total additionné des F, K, kan, FC, FE, FClob, x 100) $F\%\ \text{élargi} = \frac{\text{nombre total de F + K + kan + FC + FE + FClob}}{R} \times 100$ $F+\%\ \text{élargi} = \frac{(F+) + \left(\frac{F\pm}{2}\right) + (K+) + (kan+) + (FC+) + (FE+) + (FClob+)}{\text{Nombre de réponses à dominante formelle(= numérateur du F\% élargi))}} \times 100$
Contenus	Etablir un relevé des réponses pour chaque catégorie de contenus.

Pour les seuls contenus H et A : calculer les pourcentages respectifs : H% (somme des H, (H), Hd, (Hd), divisée par R, x 100) et A% (somme des A, (A), Ad, (Ad), divisée par R, x 100).

$$H\% = \frac{H + (H) + Hd + (Hd)}{R} \times 100$$

$$A\% = \frac{A + (A) + Ad + (Ad)}{R} \times 100$$

TRI et fcompl.

Calculer le Type de Résonance Intime : comparer le nombre de K et la somme pondérée des réponses couleur (où FC / FC' = 0.5, CF / C'F = 1 et C / C' = 1.5).
A noter qu'il s'agit de l'appréciation d'un rapport et non du calcul d'une fraction. Il n'y a donc pas de résultat chiffré unique au TRI.
Ex : TRI = 3 / 6 et non TRI = 0.5.
Calculer de la même manière la formule complémentaire (ou TRI 2) : comparer le nombre de kinesthésies mineures (kan+ kob+ kp) et la somme pondérée des réponses estompage (où FE = 0.5, EF = 1 et E = 1.5).

RC%

Calculer le pourcentage des réponses aux trois dernières planches par rapport au nombre total de réponses : RC% = nombre de réponses aux planches VIII, IX et X, divisé par R, x 100).

$$RC\% = \frac{\text{nombre de réponses à VIII, IX, X}}{R} \times 100$$

IA %

Calculer l'indicateur d'anxiété Hd+ Anat+ Sex+ Sg : somme des réponses « HASS », divisée par R, x 100.

Incert. Int.

Calculer l'indicateur d'incertitude intérieure : somme des réponses Dd+ Do + Dbl, divisée par R, x 100

Banalités

Etablir un relevé des réponses banales et calculer le pourcentage correspondant : Ban et Ban% (nombre de Ban, divisé par R, x 100).

Choix préférentiel

Indiquer les planches choisies par le sujet (les deux qu'il préfère et les deux qu'il a le moins aimées) et noter la justification donnée.

Eléments qualitatifs

Noter les chocs / équivalents de choc, c'est-à-dire les perturbations du processus associatif ; celles-ci apparaissent au niveau du registre non verbal (par ex. nombreux retournements des planches, gestuelle, ...), du facteur temporel (par ex. l'allongement du temps de latence), de la séquence des modes d'appréhension, de la qualité des déterminants ou du contenus (par ex. des exclamations de type : « quelle horreur ! »).

A noter qu'il existe d'autres marqueurs des chocs, tels que les persévérations (lorsqu'une réponse adéquate à sa première apparition est répétée aux planches suivantes à deux reprises de façon arbitraire, selon RAUSCH DE TRAUBENBERG, 2000) ou les remarques « symétrie » (toute remarque par le sujet portant sur l'aspect symétrique des taches). Les propos critiques (auto- ou hétéro-adressés) constituent également des indicateurs de chocs possibles.

Il convient de spécifier ici qu'un indicateur pris isolément n'est jamais considéré comme étant en soi révélateur d'un phénomène de choc ; c'est la conjonction de plusieurs marqueurs qui permet de poser l'hypothèse d'un choc. Le cas échéant, il est également possible de préciser la nature du choc (par ex. choc couleur ou choc Clob).

قائمة المراجع

عبد الرحمان سي موسي، و محمود بن خليفة. (2010). *علم النفس المرضي التحليلي والإسقاطي*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

A.Theis. (2006, janvier 20). *approche psychodynamique de la résilience*. université nancy2. France

Aabbassi B,et Al.(2016). "Psychopathologie développementale et familiale de la séparation parentale".Enfances & Psy.vol (71),n° :3 .P :150-161

Abdalla M.(2011). *Pratiques Parentales, Adaptation Sociale, Réussite Scolaire.*éd : International Book Market Service Limited.

Albert D. (2003). Etude de cas et généralisation scientifique .Paris Dauphine University .F rance .

Alexandre A. (1998). "l'observation et l'entretien:bases de la méthode clinique".In *psychologie clinique et psychopathologie*. sous la direction de R.Samacher, Rosny. Bréal.PP.382-392

Aliain de Broca.(2006) . *deuils et endeuillés.*éd:3. Masson

Anaut M. (2003). *La résilience : surmonter les traumatismes*. éd : Fernand Nathan. Paris

Anaut M.(2005). " Le concept de résilience et ses applications cliniques ",In:Recherches en soins infirmiers. vol (82).PP:4-11

Anaut, M. (2015)." La résilience : évolution des conceptions théoriques et des applications cliniques ". *Recherche en soins infirmiers*.vol (2),n°:121 ."

Anaut M.(2008). *La résilience: Surmonter les traumatismes.*éd : Armand Colin

Andrew J et Al. (1998) . "effects of parental divorce on mental health throughout the life course". American Sociological Review, 63(2),PP : 239–249.

Annie P, Jacques V. (2020). Réussir ses études de psychologie: Nouvelle édition revue et augmentée.De Boeck Superieur .

Arbisio Christine L. (2002). "psychologie clinique:débats et enjeux.la psychologie clinique en dialogue". vol (2). Bréal

Arbision-L C.(2007).*l'enfant de la periode de latence*.Dunod

Azoulay, C.,et Al. (2020). *Manuel du Rorschach et du TAT: interprétation psychanalytique.* Dunod .

Bessoles P. (2001). "processus originaires et facteurs de résilience". synapse .n°:172. PP:21-25

Bourguinon O.(1985) .*du divorce et des enfants*.Paris:Ined

Bourguignon, O. (2006). " Perspectives théoriques et réalités humaines ". In: Boris

Cyrulnik éd., Psychanalyse et Résilience. PP: 105-126. Odile Jacob.

Carlson Elizabeth A. (1998). "a prospective longitudinal study of attachment disorganization/disorientation ".In:child developpment vol (69),n°:4 . PP:1107-1128 .

Chabert C, et Al . (2020)*Manuel du Rorschach et du TAT: interprétation psychanalytique.* Dunod.

Catherine A, et Al .(2022). *Nouveau manuel de cotation des formes au Rorschach (Les outils du psychologue).* Dunod .

Chabert C. (1998). *la psychopathologie à l'épreuve du rorschach*. 2éme édition.Dunod .

Chabert C. (2012). *le rorschach en clinique adulte:interprétation psychanalytique*.3 ème édition.Dunod

Chabert C. (2018). *psychanalyse et méthodes projectives* .Dunod .

Charritat et Al.(2008).*séparations conflictuelleset nouvelles formes de maltraitance*. Unité d'accueil des jeunes victimes- Hôpital d'enfants Armand-Trousseau. Paris .

Cherlin A, et Al. (1998). " effects of parental divorce on mental health throughout the life course ". American Sociological Review.vol (63) , n°:2 .PP :239-248 .

Chiland C. (1989). *mon enfant n'est pas fou*. Centurion

Claude M.(2015). L'après divorce: Lien familial et vulnérabilité . Presses universitaires de Rennes

Cloutier J. (2003). *qu'est ce que l'innovation sociale ?*.Crises .

Contamin E. (2021). *les 5 cercles de la résilience:prendre soin de soi,des autres et de la planète:tout est lié!* .Larousse .

Coutanceau R et Al.(2012).Trauma et résilience:victimes et auteurs.Paris:Dunod .

Cyrulnik B. (2001). *les vilains petits canards*. odile jacob: Paris.

Cyrulnik B. (2005). " résilience et développement cognitif ".In: le coq -héron. 181-2. PP: 112-127

Cyrulnik B .(2006) .*De chair et d'âme* .Odile Jacob: Paris

Cyrulnik B, Jorland G. (2012). *résilience:connaissances de base*.Odile Jacob .

Dana C. *9 études de cas en clinique projective adulte:Rorschach,TAT: questions diagnostiques,troubles de la personnalité,évaluation thérapeutique*.Dunod,Paris.

De Leonardis M et Al. (2003).*l'enfant dans le lien social*.Erès .

De Traubenberg N-R .(1970) .*la pratique du rorschach* .Paris: PUF.

De Tychey C. (2001). " surmonter l'adversité:les fondements dynamiques de la résilience ". In: cahiers de psychologie clinique. n°:16. PP:49-68

De Tychey C , Lighezzolo J. (2004)." L'évaluation de la résilience : quels critères diagnostiques envisager ? ". In: *perspectives psy*.vol (43),n°:3. PP:226-233.

De Tychey C, Lighezzolo J. (2012)."résilience psychologique",In: Cyrulnik B éd., Résilience:connaissances de base.PP:85-96. Odile Jacob

Debroux P et Al. (2009). *Manuel du Test de Rorschach: Approche formelle et psychodynamique.* De Boeck Supérieur.

Delage M.(2015)."le père et le système d'attachement dans la famille contemporaine" .cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux.vol(54),n°:1. PP:13-33 .

Demongeot N,Lighezzolo J-A .(2014)." l'attachement sécurisé:un facteur de résilience au service de la capacité de penser.étude clinique comparative chez des enfants de 6-12 ans " .Buletin de psychologie.vol (2),n°:530

Elicker J et Al. (1992)." Predicting peer competence and peer relationships in childhood from early parent–child relationships ". Dunod:Paris .

Espinoza O, Lecamus J. (1991). *les relations interpersonnelles précoces*.In: Hanna

Malewska-peyre éd.,la socialisation de l'enfance à l'adolescence.PUF.PP: 75-100.

Goldbeter-Merinfeld E.(2018). "Après la séparation : les difficultés de la parentalité. Introduction".Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux.vol(61),n° :2 . PP :5-12 .

Gueniche K.(2002). *psychapathologie de l'enfant*.Nathan Université.

Isabelle Roskam, Michel Manciaux.(2011). Les enfants difficiles, 3-8 ans: évaluation, développement et facteurs de risque. Editions Mardaga

L, Ahnert et Al. (2004) " transition to child care: associations with infant–mother attachment, infant negative emotion, and cortisol elevations " . In child devlopment . University of Chicago Press. PP. 639-984 .

Lansford J. (2009)."parental divorce and children's adjustment" .Perspectives on psychologycal science.vol (4),n°:2.PP:140-152 .

Laterrasse C. Beaumatin A. (1997). " la psychologie de l'enfant ". In:les essentiels Milan. éd:sciences humaines,vol (86).Milan .

Lecamus J.(2008)." le role du père dans la socialisation du jeune enfant",In: Les premiers pas vers l'autre.Eres:Toulouse. PP:45-56 .

Le prince C.(2010). " Le divorce : ses conséquences psychiques dans les liens familiaux ". Le Divan familial.vol(24),n° :1. PP :109-122 .

lighezzolo J ,De Tyche C.(2004). *la résilience,se reconstruire aprè le traumatisme .* in press éditions.

Lorandos D & Al. (2013). *parental alienation:the ahndbook for mental health and legal professionals*. Charles C Thomas Publisher.

Louis R. (2019) ." activation de la résilience chez des enfants placés du point de vue des professionnels des services de protection de l'enfance de l'ontario,canada ".carnet de notes sur les maltraitances infantiles. vol(9),n°:2. PP:27-50 .

Martin-Guehl C.(2003). *l'enfant anxieux:dépistage et soins*. collection pratiques en psychothérapie.Elsevier Masson.

Lartin M .(2012). "L'enfant sous emprise : le Syndrome d'aliénation parentale".Le Journal des psychologues .vol(294),n° :1 .

Meins E.(1998)." The effects of security of attachment and maternal attribution of meaning on children's linguistic acquisitional style ", Infant Behavior & Development.vol (21),n°:2 .

Mekiri K. (2010)."psychothérapies ,pathologies limites et résilience :données récentes et évaluation",In: F.Moussa éd.Casbah Editions .

Moussa F. (2010). *psychothérapies ,pathologies limites et résilience:données récentes et évaluation*. Agérie: Casbah Editions.

Moutassem-Mimouni B. (2005). "La résilience des enfants abandonnés en Algérie ". In : Fondation pour l'enfance éd., *La résilience : le réalisme de l'espérance* (pp : 117-126). Toulouse: Érès .

Patrick D.(2021).*Le divorce pourquoi?:une explication approfondie des causes du divorce*.Amazon Digital Service.

Pedinielli Jean-L, Rouan G.(1998). *l'entretien de recherche* .In: C.Cysau, l'entretien en clinique.Impress Editions:Paris .

Pierrehumbert B.(2007). *L'attachement,de la théorie à la clinique*. Erès

Pourtois J-P, Desmet H.(2022).*Au cœur de la résilience:quinze apparoches conceptuelles*. Odile Jacob .

Quartier V.(2010). "le temperemment de l'enfant et ses réactions émotionnelles" .Enfance et Psy.vol(49),n°:4. PP:31-39 .

Richelle J et Al. (2009). *manuel du test de rorschach:approche formelle et psychodynamique*. Bruxell: De Boeck Superieur.

Roger P .(2006) .*La pratique de la psychologie clinique*.psycho sup,psychologie clinique. Paris: Dunod.

Roman P. (2015). *Le Rorschach en clinique de l'enfant et de l'adolescent: Approche psychanalytique*. Dunod.

Rothbart M.(2000). " Temperament and personality: Origins and outcomes ". Journal of Personality and Social Psychology.vol (78),n°:1.PP:122-135.

Scroufe L,A et Al.(1983). " Attachment and dependency.in developmental perspective ". child development.vol (54),n°:6. PP:1615-1627.

Simpson J,A.(2007). " Attachment and the experience and expression of emotions in romantic relationships: a developmental perspective ".vol (92),n°:2.

Stifter C,A et Al (1993). " linking employment to attachment: the mediating effects of maternal separation inxiety and interactive behavior ". In: child devlopment. vol (64) n° (5). PP:1451-1460. publié par Wiley.

Thélot C. (2004). "Pour la réussite de tous les élèves : rapport de la Commission du débat national sur l'avenir de l'Ecole".In:Comprendre le proche orient. Editions Bréal.

Vangyseghem S, Appelboom J.(2004). *répercussion psychologique du divorce parental chez l'enfant.*Revue médicale de Bruxell.

Widlocker D. (1999). " la méthode du cas unique ",In:le cas en controverse.PUF. PP:191-200 .

المواقع الإلكترونية:

https://www.dorar.net

https://www.researchgate.net

https://**www.cairn.info**

https://www.asjp.cerist.

ملخص

يهدف البحث لدراسة العواملِ النفسيةِ الديناميكيةِ للّدونة لدى مجموعةِ أطفالٍ ضحايا الطّلاق.إنتهاجا للمنهج العيادي المرتكزِ على دراسةِ الحالة ومن خلال الملاحظة المباشرة و المقابلة النّصف-موجّهة ،إضافة إلى اختبار الرّوشاخ و رسم الشّخص الأكثرِ أهمّيةً أو قربا للطّفل،تمّت دراسة أربعِ أطفالٍ متمدرسين أعمارهم بين ستَّةٍ و إثني عشر سنة. أفْضت نتائج البحث إلى أهمّيةٍ للدّفاعية النّفسية كعامل مُحدِّدٍ،إلى أهمّية وجودِ نموذجٍ تقمّصيٍّ إيجابيٍّ في المحيط العلائقي للطّفل كوصيّ للّدونة وكعاملٍ تتحدّد أهمّيته بعد الدّفاعية النفسية،وإلى سعة الفضاء التخيّلي كعاملٍ مساعدٍ أقلّ أهمّية من العاملين السّابقين .

كلمات مفتاحية : اللّدونة,الطّفل,لطّلاق,الدّفاعية النفسية,الفضاء التّخيّلي,وصيّ اللّدونة .

Abstract :

This research aims to study the psychodynamic factors of plasticity in a group of children victims of divorce. Following the clinical approach based on the case study and through direct observation and semi-directed interview, in addition to the rorschach test and drawing of the person most important or close to the child, four schoolchildren aged between Six and twelve years. The results of the research led to the importance of psychological defense as a determining factor, to the importance of the existence of a positive embodiment model in the relational environment of the child as a guardian of plasticity and as a factor whose importance is determined after psychological defense, and to the capacity of the imaginative space as a catalyst, the least of the two most important factors.

Key word : resilience ;child ;divorce ;imaginary space ;psychic defense ;resilience tutor

Résumé :

Ce travail vise à étudier les facteurs psychodynamiques de la résilience chez un groupe d'enfants victimes de divorce.Suivant l'approche clinique basée sur l'étude de cas et à travers l'observation directe et l'entretien semi-directif, en plus du test de Rorschach et du dessin de la personne la plus importante de l'enfant, quatre enfants scolarisés âgés de six à douze ans ont été étudiés. Les résultats de la recherche ont conduit à l'importance de la défense psychique comme facteur déterminant,à l'importance de la disponibilité d'un modèle positif d'identification dans l'environnement relationnel de l'enfant en tant que tuteur de résilience dont l'importance est secondaire par rapport au facteur précédent.l'étendu de l'éspace imaginaire se trouve comme facteur auxiliaire moins important par rapport aux deux facteurs précédents (souplesse des mécanismes de défense et disponibilité d'un tuteur de résilience).

Mots clés : résilience ;enfant ;divorce ; éspace imaginaire ;défense psychique ;tuteur de résilience